

س. ن. لازاريف

أَوْجُهُ التَّكَبُّرِ

ترجمة: م. سبيل

س. ن. لازاريف. أوجه التكبر (صدر الكتاب أول مرة عام ٢٠١٨)

ما هو التكبر؟ كيف يبدو، ما المشاكل التي يُؤلِّدها؟ ما مقدار صحّة تصوّراتنا عن التكبر؟ لِمَ من الضروري التغلّب على التكبر؟
في هذا الكتاب لن نجدُ القارئ أجوبة عن هذه الأسئلة فحسب، إنما سيجدُ دليلاً للعمل كذلك.

اليوم لا وجود لأي اتفاقية بين المؤلف ودور نشر عربية لطبع ونشر كتبه. لذلك قانونية وشرعية فقط نُسخُ الترجمات الرقمية إلى اللغة العربية على الصفحة – www.lazarev.ru

سيرغي ن. لازاريف

نيسان ٢٠١٩

هذا الكتاب ليس دليلاً في الطب

كلمة مترجم الكتاب

أولا أود حمد الله الذي دفعني إلى التعرف على أبحاث سيرغي نيكولايفيتش لازاريف قبل ٢٥ عام، وأشكر سيرغي ن. لازاريف على جهوده الجبارة ومساهمته التي لا تُقَدَّر بثمن في إنقاذ البشرية وفتح أبواب رؤية وجودية جديدة. كذلك أشكره على ثقته بي في ترجمة كتبه. تجدر الإشارة إلى أن أُمِّي روسية...

بفضل الله وأبحاث س. لازاريف اكتسبت حياة عدد كبير من الناس مغزى عميقا، هم أدركوا هدف حياتهم - الحب - وبات كل شخص مهما كان دينه، إيمانه، معتقده يفهم دينه، إيمانه بشكل عميق، مُدرك، دون تطرّف. وبفضل الله وأبحاثه شُفّي عدد كبير من الناس من أمراض مستعصية، وأنا أحدهم. تسمح أبحاث س. لازاريف لكل إنسان بأن يصبح عالما في النفس، فهم أسباب ما يُصيبه ويصيب أقرباءه والعالم، فهم قوانين العالم التي تتحكم بصحتنا، مصيرنا وإدارك أن جميع الأحداث في الحياة ذو علاقة دياكتيكية وعلاقة سببية وليست سلسلة عشوائية من الأحداث الفوضوية، العرضية، وإن هذا أكثر ما نحتاجه نحن اليوم.

فور إنهائي الدراسة المدرسية، يوم الأحد في الـ ٢٩ من حزيران من العام ١٩٩٧، أصبْتُ فجأة بإسهال قوي سرعان ما تلاه سيلان دم من المعى الغليظ رغم أن صحتي، كما كان يبدو، كانت ممتازة دائما، إلا أنني كنتُ عمليا ميتا على مستوى البنيات الحقلية. حدّدت التحاليل أنني أُصِبتُ بالتهاب القولون النقرّحي. هو مرض مستعص يتجلى على شكل إسهال قوي يستمر ٢٤ ساعة في اليوم، إسهال مصحوب بنزيف دم وغالبا بتشنجات وأوجاع لا تُحتمل في البطن. تناولتُ أدوية قوية مثل: الكورتيزون، الأزاكول وغيرها مدة خمس سنوات. كان كمّ الأدوية كبيرا لدرجة أن رائحتها بدأت تفوح من جلدي وعرقِي، وفي النهاية تسمّمت بها من كثرة تناولها، فبات جسدي يرفضها، - بدأت أنقيئوها. لدى دراستي في موسكو اكتُشِف لدي تضخم في المرارة. هذه الأمراض جرّت خلفها مشاكل أخرى وسببت الأدوية عوارض ثانوية: ضيقا في التنفس، انهيارات عصبية بسبب انعدام النوم عمليا، سقوط الشعر، فقدان الذاكرة، تدهور البصر، فقر الدم، توقفت الغدد الكظرية عن العمل، انخفض

وزني إلى ٦٢ كيلوغراما... حاولت العمل على ذاتي حسب منظومة لازاريف. عدد كبير من الناس يشفى بعد عدة جلسات عنده أو بعد قراءة كتبه الثلاثة الأولى، لكن أنا كان وعي الباطن مُشبَّعا بعدائية باطنة هائلة بسبب تعلقاتي الهائلة بالمستويين الثاني، الثالث. لذلك، بهدف الشفاء، كان علي الانسلاخ عن العالم المحيط، الاعتزال. كنتُ أدرس، أعاني من مشاكل عاطفية ومالية، فلا يُفارقني التوتر. تسنَّت لي فرصة العمل على ذاتي في أواخر أكتوبر ٢٠٠٦ حين انهار مصيري تماما ولم تبقى لديَّ فرصة للنجاة إلا بالاعتزال والعمل على ذاتي. كما يقول لازاريف، يسع الإنسان فهم بعمق وتطبيق ما يقوله هو فقط حين تبلغ مُعاناته أوجها. انقطعتُ عن كل ما يُعَلِّق الإنسان بالدنيا. أوصلتُ خلال تلك الفترة تواصلتي مع الناس إلى أدنى درجة ممكنة، انقطعتُ عن وسائل الإعلام، صمتُ صوما صارما. استرجعتُ أحداث الماضي وتقبَّلْتُها بعواطف الحمد لله، صفحتُ عن ذاتي والجميع. أوقفتُ نشاط الوعي المُفرط - توقَّفتُ عن التفكير والتحليل غير المجديين، الزعل، الانتقاد، الإدانة، ساعيا بذلك للحفاظ على الحب كلَّ لحظة، فأعيش "هنا والآن"، وعلى خلفيَّة ذلك كلِّه أصلي ٤-٥ ساعات يوميا، أذكر وأنا في الطريق، أشعر بالله يخلقني ويخلق كل ما في الوجود كلَّ لحظة. فزال التوتر والخوف الواعي واللاواعي. اختبرتُ خلال تلك الفترة شعور حبٍّ عميق، فتنزل علي السكينة، كنتُ أشعر بأنَّ كل شيء مقدس، حبٌّ... في تلك اللحظات كنتُ أعلم بوجود الله وأدركُ أنَّه حبٌّ. بعد ٧-١٠ أيام من بداية تقشفي بدأتُ أشفى. استمرَّ تقشفي ٦٠ يوما. بعد هذه التجربة توقف الإسهال ونزيف الدم، شُفيْتُ من تضخم في المرارة وكل ما تبقى. لكن حين أعود للتعلم بالدنيا فترتفع عدائيتي تسوء حال المعى الغليظ (أصاب بإسهال خفيف لكن دون نزيف دم)، الأمر الذي يذكرني بأني عدتُ للسير في الطريق الخطأ. فأزيل العدائية، فتنحسَّنْ حالتي. نقطة هامة لا بد من ذكرها: إن كان الإنسان يستهدف بواسطة أبحاث لازاريف تحسين صحته، مصيره، فستكون النتيجة معدومة. تستهدف أبحاث لازاريف تعليم الحب وشفاء النفس، لا الجسد. أما تحسُّن الصحة والمصير إن حصلا فهما مفعول ثانوي وطبيعي لازدياد الحب في النفس، تحسُّن الطبع وتغيُّر ردادات الفعل العاطفيَّة على العالم المحيط. أبحاث لازاريف ليست حبة دواء وكتاباتهِ ليست كلمات سحرية تُحقِّق الأمنيات والرغبات، إنما تطبيق ما يقوله يتطلَّب جهدا هائلا مدى الحياة.

كلمة بخصوص الترجمة. أنا مُضطرٌّ لترجمة بعض الكلمات الروسية بكلمتين، مثلاً: "razvitiye" أترجمها أحياناً "نمو" وأحياناً "تطوُّر"، وذلك بحسب مضمون النص؛ "pokloneniye" أترجمها "تقديس" أو/ و "تعبد؛" "sposobnosti" – "قدرات" أو/ و "مواهب". أود التشديد على أنه يستعمل كلمات: "الله"، لا "إله"، نادراً كلمة "رب"؛ "الوعي الباطن"، لا "اللاوعي"، "العقل الفائق" أو "العقل الباطن"؛ "برامج"، لا "ملفات".

"أوجه التكبر"، مثل كتب "طوبى للفقراء بالروح"، "شفاء النفس"، "لقاء العلم والدين" وغيرهم – ينتمي إلى مؤلفات س. ن. لازاريف المتأخرة حيث هو يكشف جوهر أبحاثه ورؤيته الوجودية في صورة ناضجة ومتكاملة.

كلمة من س. لازاريف: "يشكر المؤلف س. ن. لازاريف م. سبيل على الترجمة النوعية التي قام بها عن غير طمع بهدف مساعدة الناس، وكذلك يشكر السيد مالك سليمان، السيدة اكتمال علي حسن، السيد حسام الجمل والسيدة لوريت وسوف الذين قدّموا للمترجم المساعدة في التدقيق باللغة العربية".

المُقَدِّمَة

يُقال في الكتاب المُقدَّس أنَّ خطيئة الإنسان الأساسية – التكبر. التكبر لا يُصبح سبب الأمراض والمآسي، باثولوجيا النفس والطبع وحدهم، إنما هو أساس كلِّ خطيئة كذلك.

منذ أكثر من عشرين سنة أنا أحاول الإمعان في مسألة التكبر فإدراكها. تصوُّر الناس المُعتاد عن التكبر سطحي للغاية. على الرغم من الحقائق المعروفة المعروضة في الكُتب المُقدَّسة نحن لا نملك حتى الآن إدراكا واضحا لهذه المسألة الجديدة.

عادة يُقصَدُ بالتكبر تعظيم الذات والاستخفاف بالآخرين. إنما في الواقع التكبر هو عدم الرغبة في العيش، واليأس، وعدم حبِّ الذات، وعدم حبِّ الناس، والشعور بأنَّ العالم عديم المعنى وقاسي... كلُّ هذا - أوجه التكبر. قد يبدو أنَّ بهدف التغلب على التكبر يكفي التخلُّص من جميع هذه الصفات. لكن لسبب ما يعجز الناس عن القيام بذلك مُنذُ أكثر من ألفي سنة. بهدف فهم ماهية التكبر وكيفية التغلب عليه من الضروري تحليل التجربة التاريخية، استبيان كيفية نشوء التكبر ومقدار خطورته ليس على شخص مُنفرد فحسب، إنما على حضارتنا كُلِّها كذلك.

مُعَمَّى بالتكبر يتبجَّح الإنسان بإنجازاته أمام الله، ناسيا بأنه حصل عليها منه. الإنسان المُتكبر واثقٌ من أنه حقَّق كل شيء بنفسه وليس بمُساعدة وإرادة الله. الإنسان المُتكبر لا يحمَد الله على ما يملك.

إدراك القوانين الكونية يحصل تدريجيا. بتفطُّننا لقصص وأمثالات الكُتب المُقدَّسة يمكننا رؤية مغزى الظواهر الحقيقيَّة وإدراك صِلَة مشاعرنا وسلوكنا بما نُسميه بالتكبر. عندما يكون الإنسان في خطر مميت هو يعتزل جميع التعلقاته، فيحصل إدراك الله حينها بشمولية أوسع وأعمق.

هذا الكتاب – نتيجة بحوثٍ دامت سنوات طويلة وتجارِبٍ حياتيَّةٍ جديَّة. الإدراك الحقيقي لا يحصل على مستوى الوعي، إنما يحصل على مستوى المشاعر. المشاعر والأحاسيس بحد ذاتها ليست إدراكا بعد. من الضروري

تَكُونُ صُورَةٌ تُوجَدُ جميع المعلومات في وحدة تامة. هذه الصورة تتكون لدى التكرار مرات كثيرة.

بهدف أن يفهم الإنسان أمرا ما يجب إظهار الحقيقة ذاتها له من جهاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، من وجهات نظرٍ مُخْتَلِفَةٍ. الحكمة الشعبية تقول: "الإعادة – أمُّ التعليم". إن في السابق لدى تأليف الكتب كنتُ أعتبر أنه لا ينبغي التكرار، فالآن أدركُ أنَّ من الضروري شرح المعلومات الهامة مرات كثيرة. يجب تسليط الضوء على الفكرة العميقة، الجدية من جميع الجهات بالعودة إليها مجدداً ومجدداً.

المشكلة رقم واحد

في العهد القديم مكتوب: "أول كبرياء الإنسان ارتداده عن الرب، إذ يرجع قلبه عن خالقه. فالكبرياء أول الخطايا، ومن رسخت فيه فاض أرجاسا. ولذلك أنزل الرب بأصحابها نوازل غريبة، ودمرهم عن آخرهم".

خطيئة الإنسان الأساسية – التكبر. التكبر هو ما يقع في أساس جميع الخطايا تحديدا. أحد أهم دلائل التكبر هو شعور تفوق الإرادة البشرية على الإرادة الإلهية، شعور أولية "الأنا" البشرية الخاصة. التكبر أشبه بالخلية السرطانية التي تريد إخضاع الجسم كله لذاتها.

يُقال في "سفر التكوين" أن الله نفخ النفس في الإنسان. نفس الإنسان إلهية في الأصل. نحن لدينا "الأنا" المرتبطة بالجسد، توجد "الأنا" المرتبطة بالوعي، وتوجد "الأنا" العليا. الإنسان مُتعدّد الطبقات. الإنسان – نفس، روح (وعي) وجسد. لكن قبل كل شيء الإنسان – نفس.

تملك نفسنا عدّة مستويات. ينسى الإنسان المُتكبر أنه مُتعدّد الطبقات وأنّ لديه "الأنا" العليا. هو يعتبر أساسية "الأنا" الظاهرية، العابرة خاصته التي تخدم جسده والمُرتبطة به على مدى عدة عقود.

النفس – هي مجموع المعلومات والطاقات. النفس مُرتبطة بالزمان، المكان والمادة، وفي ذات الوقت تتخطى حدود هذه الفئات. النفس أولية، وحين ينهار الجسد هي تستمر بالبقاء. النفس المُرتبطة بالوعي الباطن تحوي في ذاتها تجارب مليارات السنوات. وعينا الباطن يعلم كل شيء عن الماضي والمستقبل، وعينا الباطن يحيا حسب القوانين الإلهية.

يجري الكلام عن مفهوم التكبر في جميع الأديان، لكن حتى اليوم لا يفهم الناس ما هو التكبر. كيف على الإنسان أن يفهم أن لديه تكبرا مُرتفعا وأنّ عليه أن يتغيّر؟

"بداية الخطيئة – الكبرياء". الخطيئة – هي فقدان السعي لله، استبدال الله بأهداف أخرى. في البداية يختفي الحب في نفس الإنسان، ثم تبدأ الأخلاقيات بالتضاؤل، وفي النهاية يقترب الإنسان الجريمة. في البداية يقتربها بحق الناس الآخرين، ثم – بحق ذاته.

الإنسان المتكبر يتوقف عن رؤية الإرادة الإلهية في كل شيء ويُقسّم العالم إلى خير وشر. هو يعتبر أنّ الخير من الله، أما الشر – فمن الشيطان. وبما أنه يعتبر كلّ السيء في الحياة مكائد من الشيطان، فإنّ الحفاظ على الحب في النفس يُصبح مستحيلاً عملياً. فيُخزّن الإنسان الاستياءات، يشعر بعدم رضا بالمصير، الحقّ، يتهم الجميع بالتسبّب له بالمآسي فيمتنع عن الحب دون أن يلاحظ ذلك.

الخطيئة الأكثر تسبّباً وخطورة – هي التخلي عن حبّ الله وفقدان شعور أنّ كل شيء صادرٌ عنه. الخالق – ليس مصدر الخلق فقط، إنما الدمار كذلك. إرادته تتحقّق من خلال القوانين الكونيّة، وحين نُخلّ بهذه القوانين، حينها تحضّر البلايا والمآسي. بهذه الطريقة نكون نحن أنفسنا مؤلفو هذه الآلام. يعتبر كثيرون أنّ الله يُعاقب الإنسان على الخطايا. في الواقع نفسنا نخزّن ذكريات جميع أفعالنا، مشاعرنا، أفكارنا، ويعود هذا كله إلينا كالكيد المرتد حسب القوانين الكونية. يسمح لنا العليّ باقتراف الأخطاء، مثلما يُسمح بذلك للأطفال الصغار، بهدف أن ننمو، نتطوّر. لكن مع ذلك هو يبعث إلينا بإشارات تُنذّرنا. بإمكان الشخص الذي يستخفّ بالإشارات اعتبار أنّ الله يُعاقبه. في الواقع، سبب ما يحصل هو نقص الحب في النفس، عدم الكمال والكسل البشري.

يوجد ضلالٌ آخر: في غابر الزمان خلق الله الكون، أما الآن فإنّ كلّ شيء موجود باستقلال عن إرادته. لكن، الحق يُقال، أحياناً يأتي الله إلى الأرض لتنظيم الأمور. لكن المسيح قال عكس ذلك تماماً: كلّ جزء من الثانية نحن نحصل على الطاقة من الله ويستحيل علينا البقاء دون حبه.

يتحكّم الله بالكون كلّ جزء من الثانية. على المستوى الخارجي توجد الإرادة البشرية، أما على المستوى الداخلي – فلا وجود لإرادة غير الإرادة الإلهية. يُقال في الكتاب المقدّس أنه لن تقع شعرة واحدة من رأس الإنسان دون الإرادة الإلهية.

بما أنّ أحد تجليات التكبر هو شعور التفوّق على الآخرين، يعتبر كثيرون خطأً أنّه إن قمنا بقمع ذاتنا، امتنعنا عن رغباتنا، اعتزلنا العالم، فسنتمكّن من التغلّب على التكبر. لكنّ إهلاك الذات، عدم النشاط، الشعور بتفاهة الذات واثميتها – كل ذلك تجلٍ للتكبر كذلك.

لا ضرورة لاحتقار الجسد، الامتناع عن اليُسْر الخارجي، رَشّ الرأس بالرماد... من الطبيعي حبُّ الجسد والاهتمام بهناء العائلة. لكن يجب فهم أنَّ ذلك ليس أهم شيء في الحياة، أنَّه لا يجب أن يكون ذلك هدفاً مُطلقاً.

طريق التخلي عن جميع النعم الدنيوية – هو توقُّف للنمو. قال المسيح أنَّه يحق للإنسان أن يسعى لمراذه ويؤمن بأنَّ رغباته قد تتحقَّق. توجد لدى الإنسان طاقة الرغبات التي من الضروري تحقيقها، - وإلا فهو سيتشَبَّه بالذي يدفُن وزنته في الأرض. الوزنة – هي مقياس الجُهد المستثمر. إن كان الإنسان يدفُن وزنته في الأرض ويمتنع عن النمو، فالله يُعاقبه. التغلُّب على التكبر ليس تدميراً ذاتياً ولا امتناعاً عن الرغبات، إنما تحوُّل من الأصل الحيواني إلى البشري، ثم – الإلهي.

على طاقة الإنسان أن تنمي نفسه وتملأها حُباً أولاً، ولاحقاً فقط عليها أن تُوجَّه لتحقيق الغرائز. يجب أن تكون رغبتنا الأساسية تلبية حاجات النفس، ولاحقاً تلبية حاجات الروح والجسد. يجب أن يقع في المقام الأول – الحبُّ والأخلاقيات، شعور الوحدة مع الكون كُلِّه، تنمية الصفات النبيلة في الذات، ولاحقاً فقط كلُّ ما تبقى: السعادة العائلية، اليُسْر والصحة الجسدية.

السعي لإدارة المصير الخاص، التحكم به كذلك دليل تكبر مرتفع. الإنسان ذو التكبر الزائد يُحاول التحكم بالعالم المحيط من خلال وعيه. لكن كل ما في الأمر هو أنَّ تحكم وعينا بالموقف ضئيل. الإرادة الإلهية أُولِيَّة: الله يتحكَّم بنا من خلال نفسنا، أي من خلال مشاعرنا. الإنسان ذو التكبر الزائد عاجز عن سماع نفسه. هو يحيا بوعيه، فلا مفرَّ من إصابته بالتوتر، الاضطراب الداخلي المُفرط، فيحصل فقدان للطاقة، ما يؤدي إلى مشاكل وأمراض.

يتجلَّى التكبر على شكل عدم رغبة في التغيُّر. الإنسان ذو التكبر الزائد يتوقَّف عن النمو. حين يقدِّس الإنسان جسده، اليُسْر، اللذة، تبدأ نفسه بالتشوُّه. تحصل هذه العملية خلسةً، خاصة عندما تكون في بدايتها، لكن عواقبها يُرثى لها. مُجملًا، يُساعد الإنسان من الأعلى في تطهير نفسه من خلال المتاعب والأمراض التي تدفعه للتغيُّر.

إلا أنَّ الإنسان المُتكبر يستمرُّ في قتل نفسه لأنَّ جسده اعتاد إِملاء أحلامه ورغباته عليه. هو لا يريد أن يكون مُصاباً بمرض مستعصٍ ويُعاني، هو يُفضِّل الموت. اليوم يُفضِّل الناس الموت الرحيم على المعاناة.

يُقال في الإنجيل: "الله – حب". التكبر هو فقدان الحب في النفس. ينسى الإنسان أنه نفسٌ أبدية خرجت من الخالق. هو يرتدُّ عن الله، يتوقَّف عن

الحصول على الحب والطاقة من العليّ، فتبدأ نفسه بالمُعانة. يمكننا أن نكون سعداء فقط حين تكون نفسنا حيّةً وتحصلُ على الحب من الله.

بفقدانه للسعادة الداخلية يبدأ الإنسان البحث عن السعادة في العالم الخارجي. يتحوّل حبه تدريجياً إلى شهوةٍ وشغف؛ هو يجد السعادة في اللذة. يهرب الإنسان من الألم، يرفض التضحية والاهتمام بالأقرباء. هو يسعى للحصول واللذة فقط، ناسياً أن دون الألم والعطاء النمو مستحيلٌ.

كلما كان رفض الإنسان لله أشدّ، اشتدّ انجذابه للملذات الظاهرة. كلما ازداد ابتعاد الإنسان عن الله، ازدادت عليه صعوبة تقبّل خسارة ما هو مُتعلّق به. كلما اشتدّ التعلّق بالحياة، اشتدّت صعوبة تقبّل خسارة الحياة.

حين يشتدّ التكبر هو يبدأ بالتجلي على شكل قطعّة، كبرياء، حسد، بُخل، انعدام اللين، عدم رغبة في التغيّر، على شكل شعورٍ بالحقانية المُطلقة، عدم رغبة في الاعتراف بالأخطاء الخاصة.

أولاً علينا الاهتمام بالنفس ولاحقاً فقط – بالسلامة الروحية والفيزيائية. قال عيسى المسيح: "تستحيل على أحد خدمة سيّدين. فإما سيُبغض أحدهما ويُحبّ الآخر، أو يُلأزم أحدهما ويحتقر الآخر. لا تقدرون خدمة الله والمال". هذا يعني استحالة السعي لهدفين في آن واحد. في المقام الأول يجب أن تقع خدمة الله، أما الباقي – فتأثري.

حبُّ الله أهم من الحياة البشرية. الإنسان المُتكبر ينسى ذلك ويضع الحياة في أساس الزاوية. تُصبح رغبة البقاء على قيد الحياة الشيء الأهم بالنسبة له. من أجل ذلك قد يمتنع الإنسان في البداية عن الإيمان، الصلاة، ثم – عن الأخلاقيات وكلّ ما يجعل الإنسان إنساناً.

تقديس، تعبّد الحياة يُؤدي إلى فقدها. يجوز تقديس، تعبّد الله وحده، وحده حبُّ الله، أي الوحدة معه، السعي له، يمكن أن يكون مغزى الحياة. جميع الأهداف الأخرى – الحياة، العائلة، العلاقات، السلطة، النجاح، الصحة – ثانويّة؛ إن كان حبُّ الله لدى الإنسان غير كافٍ، فإن السعي لهذه الأهداف قد يُضِرُّ بالنفس. حبُّ الله يتجلي على شكل خدمة الله وتنفيذ وصاياه.

التغلب على التكبر ممكن بالسعي المُتواصل لله، بتقبّل إرادة الخالق، بالاعتراف بأوليّيته وجبروته المُطلق. يتغلب الإنسان على التكبر حين يكون الحب في النفس أهم بالنسبة له من الحياة، العدالة وأي نعيم.

من الضروري الحفاظ على الحب في النفس، ويزيادته الشعور بأنّ العالم واحدٌ وأنّ كل إنسان يستحقُّ الحبّ، - فالخالق يحضر في كلّ إنسان. من غير

المُباح إساءة التفكير بالناس، إدانتهم، احتقارهم. من ناحية، من الضروري الاهتمام بالجسد والروح؛ من ناحية أخرى، يجب كبح رغبات جسدنا ووعينا. إن كُنَّا قادرين الشعور بأنَّ الإرادة الإلهية تتجلى في كلِّ شيء، حينها لا ينشأ التكبر الذي هو نتيجة الابتعاد عن الله. حين نشعر بحضور الله ونفهم أنَّ الخالق مصدر كلِّ شيء، حينها يصبح بمقدورنا الحفاظ على الحب في أي موقف.

مستويات التكبر

توجد عدة مستويات من التكبر. الإنسان – كائنٌ مُتعدِّد الطبقات؛ التكبر موجود على مستوى الجسد، على مستوى الروح وعلى مستوى النفس. إدراكك ذلك يُساعد في العمل على الذات.

إنسانُ الجسدِ يدرك ذاته كغشاء فيزيائي. هذا المستوى الأكثر بدائيةً. إنسانٌ مُماثلٌ يتعاطى مع الناس الآخرين بكونهم مُنافسين في صراع البقاء. علاقته بالناس تتجلى كإطاحة، قمع وتدمير. إنسانٌ مماثلٌ يحتاج لأن يُثبت باستمرار تفوقه وثبوته. هو يتعامل مع الضعفاء باحتقار، استهزاء، يفرض عليهم الخضوع الصارم له. هو يُحاول الكذب على نظرائه وإخضاعهم. أما الأقوياء فيخافهم ويتذلَّل لهم.

بالنسبة للحيوانات إبراح الضعيف ضرباً – أمر طبيعي، في عالم الحيوان يبقون أحياء الأقوياء وحدهم. على فكرة، يمكن رؤية هذا المستوى من السلوك لدى الأطفال. لدى الأطفال ليست نامية المهارات الاجتماعية وتحضر لديهم أولوية الأصل الحيواني. بخضوعهم للغرائز يسخر الأولاد من الضعيف، يُحاولون إظهار تفوقهم قدر المستطاع. نحن ننظر إلى ذلك بكونه باثولوجيا، إلا أنه ليس باثولوجيا. إنه سلوك بدائي من المستوى الحيواني. بنموه، بلوغه ينتقل الإنسان إلى مستويات أعلى، - تستمر هذه العملية طوال حياتنا.

إنسان الروح لا يستهزئ بالآخرين، لا يحتقرهم. يحضر لديه شعور التفوق، هو يُثبت باستمرار أنه أذكى من الذين يُحيطون به. حاضرٌ لديه شعورٌ بثبوت داخلي وعلاقة حمائية، ولاية للآخرين. هو قد يُساعد لكن مع ذلك هو يجمع في أمورٍ ما، يُظهر تفوقه، يحتال.

إنسان الروح يريد أن يكون الجميع مَوْحَّدِينَ معه، يُشَبِّهونه. يجب أن يتناسب الجميع مع تصوُّراته ومبادئه. هو قادر على التضحية، منح الهدايا، الاهتمام بالقرب إلى حين يندمج الأخير في تصوُّره للعالم. لكن إن كان أحد لا يتناسب مع مبادئه، مثله أو حالته الداخلية، ينشأ لدى إنسان الروح الغيظ، الغضب، الرغبة في قمع الآخر والتحكُّم به.

إنسان الروح يريد أن يكون الضعفاء شبيهين به، وهو يسعى للتحكم بهم، إخضاعهم. يُحاولُ إقناع نُظَرَاءه في حقانيَّته وإخضاعهم كذلك. وفيما يخصُّ الأقوياء فهو يحسدُهم، يخشاهم ويحلمُ الانتصار عليهم مع الوقت.

إنسان النفس يُظهرُ مستوى الوحدة. هذا الإنسان لا يحتقِرُ أحدا ولا يستهزئ بأحد. هو لا يحتاج لإظهار تفوُّقه والتحكُّم بالآخرين. إنسان النفس يشعر بالوحدة مع الناس، هو يتعاون معهم ويُساعدهم. هو يتمنى المساعدة وحلَّ مشكلة المُجْتَمَع، لا قمع وإهانة الخصم. هذا نموذجُ سلوكي جديد تماما.

يمكن تقسيم إنسان النفس اصطلاحيا إلى مستويين: البارُّ والقديس. أوَّلُ مستوى إنسان النفس – هو البارُّ. البارُّ يشعر بالوحدة مع الآخرين. هو يُريد أن يُساعدَ الجميع بعضُهم، يهتموا ببعضهم. البارُّ يعتبر أنه يحق للجميع أن لا يكونوا متشابهين، لكن على الجميع أن يكونوا أخلاقيين. هو يسعى للاتحاد مع الآخرين ضمن إطارٍ مثاليٍّ مُعيَّن.

إن لدى إنسان الجسد تنشأ عدائيَّة ورغبةٌ في سحق وتدمير الآخر، إن كان إنسان الروح يُدين أو يُعَاتِبُ الآخر، فلدى إنسان النفس (البار) ينشأ غالبا احتقارُ تُجاه الناس اللاأخلاقيين وغير الكاملين.

مستوى إنسان النفس الثاني – هو مستوى القديس. هذا الشخص يتقبَّل الناس كما هم عليه. هو يُدركُ أنَّ جميع الناس غير كاملون. هو يُدركُ أنَّ بإمكان الناس أن لا يشبهوه بتاتا، لكنهم إلهيون في الداخل جميعا، كلُّهم قادرون على التغيُّر، يمكن تربيَتهم ومن الضروري مساعدتهم. إنسان النفس (القديس) يُربي الضعفاء ويُساعدُهم، هو يتعاون مع نظرائه، أما الأقوياء فيتعلَّم منهم.

بهدف النمو بشكل طبيعي علينا مُساعدة الضعفاء، التعاون مع النظراء، التعلم من الأقوياء والاجتهاد لبلوغ مستواهم. على كلِّ إنسان أن يعي طريقة تعامله مع الناس. يجب الابتعاد تدريجيا عن سلوك إنسان الجسد وإنسان الروح، - حينها طبعنا ومصيرنا سيتغيَّران حقيقةً.

بداية الخطيئة

حبُّ الله – هو مصدر السعادة، الفرح، الصحة، النجاح، وإنَّ أعظم جريمة هي التخلي عن الحب. دون حبِّ الله نفس الإنسان عاجزة عن النمو وتبدأ بالانطفاء. كلُّ منا إلهي في جوهره، لكن كثيرين نسوا هذا الأمر. نحن لا نتخيَّل حتى كم أنَّ وعينا الباطن مُثقلٌ بالتعلُّق بجميع مستويات الوجود. توجد ثلاث خطايا أساسية تُبعدُ الإنسان عن الله.

الخطيئة الأولى – خطيئة الملاك – غيرُ محسوسة عملياً. في البداية لا تؤثر هذه الخطيئة بتاتا على حالة الجسد والروح، إلا أنَّ النفس قد تتألم أحيانا بسببها. التعالى أمام الآخرين، شعورُ التفوُّق، الكذبُ كوسيلة للتحكم – كلُّ هذا يظهرُ لاحقا. فصلُ الملاك ذاته في داخله عن الخالق – فأصبح شيطانا. هو فقدَ إحساس الوحدة مع الخالق وقرَّر أنه فريد وأنه ليس جزءا من الخالق. لم يحتمل الشيطان الإغراء فوضع "الأنا" خاصته في المقام الأول، أما الحب فوضعه في المقام الثاني. مواهبه، قدراته ورغباته التي كانت صادرةً عن الحب كانت لديه أعلى بكثير مما هي لدى الآخرين. هو كان الكائن الأذكى، الأجمل، الأكثر موهبةً وروحانية، لهذا السبب تحديدا اسمه - "لوسيفر"، ما يعني "الساطع".

الشيطان لم يُدِن أحدا، لم يخشى شيئا، لم يبخل، لم يحسد، لم يزن، لم يشرب، لم يُدخِّن، لم يُفِرط في الأكل. الشيطان شعر ذاته شيئا مُستقلا تماما عن الله وفقدَ بذلك شعور السعادة، الحب والسكينة الأولى الناتج عن الوحدة مع الخالق.

الخطيئة الثانية – هي خطيئة آدم وحواء. هذه الخطيئة تحوي في ذاتها خطيئة الشيطان السابقة وخطيئة قابيل (ابن آدم وحواء حسب الأسطورة) المُقبلة. القسم الأول من خطيئة آدم وحواء – عدم الخضوع لله وعدم تقبُّل إرادته. عصى آدم الله، بدأ بمقاومة الإرادة الإلهية. القسم الثاني من الخطيئة، خطيئة حواء، وهي تقديس الحياة والتعلُّق بالحياة. إنها الشهوة والاستعداد لاقتراف الجريمة بهدف الحفاظ على الحياة واستمرارها. هذه الخطيئة تؤدي إلى الزنى، تعبدُ الجنس واللذة وانحلالِ نفس الإنسان.

نحن لا نشعر بخطيئة آدم وحواء في ذاتنا، كما لا نشعرُ بخطيئة الشيطان. تجليات خطيئة آدم وحواء – الغضب، الزعل، الغيظ، إدانة العالم والناس.

عدم تقبُّل المستقبل، الخوف، الاكتئاب، عدم الإيمان بالذات، عدم الرضا من المصير، الندم على الماضي، الكذب الذي يُؤلِّد نتيجة الخوف على الحياة، - هذه كلها دلائل خطيئة آدم وحواء.

عندما يفقد الإنسان حبَّ الله والوحدة معه، هو يبدأ بمُصارعة الإرادة الإلهية. ينشأ الاستياء من الحاضر، الندم على الماضي، الخوف من المستقبل. التخلي عن الله يؤدي إلى تقديس المعبودين: الذات، الرغبات، الناس الآخرين، الحياة. عدم تقبُّل انهيار الماضي، الحاضر والمستقبل يحصل بسبب التعلُّق بالتصور الراسخ عن العالم وتقديسه. ما يُريده الله قد يكون غير مريح للإنسان، وعندما تتصدَّر مصالح الإنسان الشخصية المرتبة الأولى يبدأ الصراع مع الإرادة الإلهية. يعجزُ الإنسان تقبُّل انهيار التصوُّر المُعتاد عن العالم، فيبدأ بالحدق، الندم، ويُصابُ بالاكتئاب.

باشتدادهما في الأبناء قد تؤدي هتان الخطيئتان إلى خطيئة قابيل. عدم تقبُّل الإرادة الإلهية والحسد هما تحديدا سببُ الجرائم. عملية فُقدان الإلهي تحصل في نفس الإنسان خلسة. عدم التغلب على هتين الخطيئتين يُسفر عن ردات فعلٍ وسلوك مُحدَّد. بعد اقتراف الإنسان لأول خطيئتين، هو ينتقل إلى الثالثة - يبدأ بالقتل، السرقة، النهب في الواقع.

خطيئة قابيل - أوَّلُ خطيئة بشرية على الأرض. حسد قابيل أخاه هابيل فسرق حياته. خطيئة قابيل باتت خطيئة على مستوى السلوك، التصرف. هذه الخطيئة تتجلى على شكل استهلاكية، حسد، بُخل، غيرة، عدم رغبة في التضحية، عدم رغبة في الصفح، سرعة ضيم، سعي للانتقام. خطيئة النفس تُفترَف بشكل غير ملحوظ، لاحقا هي تتجلى على مستوى العواطف، وبعد ذلك يبدأ الإنسان المُصابة نفسه بالمرض باقتراف الجرائم الإدارية والجنائية. بدورها خطيئة قابيل تُقسَّم إلى قسمين: تقديس غريزة حفظ الذات، البقاء وتقديس غريزة حفظ النسل، التناسل. إن كان الإنسان يُقدِّس غريزة حفظ الذات، يخاف على حياته، يقلق على المستقبل، يحيا بالمستقبل، حينها هو يبدأ تلقائيا بتقديس غريزة حفظ النسل، الشهوة، ينشأ لديه توقُّ لا يُقام للمتعة ويعجزُ عن كبح رغباته.

حين تضعفُ حاجة الإنسان لله والحب هو ينسى الوصية الأولى ويبدا بتقديس الثانوي كأساسي. تدريجيا تفقدُ نفسه الحب الذي يتحوَّل إلى تعلُّق، وبذل السعادة الحقيقية يُشعرُ التعلُّق الإنسان باللذة، ثم يسبَّب له شعور اليأس، الغيرة والخوف. تنضب طاقة النفس، فتضعف الروح ويضعف الجسد.

مُحاولًا التخلُّص من هذه الآلام، يَغوص الإنسان في لَذَّة الروح، فيستَهويه الركن خلف السلطة، المال، اليُسْر. إلا أنَّ حالته لا تتحسن، فينحط إلى مستوى الجسد: الطعام، الكحول، المُخدرات، الجنس، الانحرافات التي تُعزِّز اللذة. ثم يَحُلُّ نُضوبٌ على جميع المستويات، فيحصل الإنسان حينها على انهيارٍ في المصير، الأمراض، وفي النهاية يحصل على الموت كخلاص من الانهيار التام للنفس.

يبدأ تكوُّن الخطيئة في النفس من فَقْدان السعي لله وَحْبِهِ. هذا يحصل في نفس كلِّ منا باستمرار، ومن الضروري التغلب على ذلك. هدف حياتنا – تعلُّم الحفاظ على شعور الحب في النفس، السعي لله بكونه قيمةً عُلْيَا والحفاظ على الوحدة مع الخالق.

الكتب المقدَّسة عن التكبر

الدين يُساعدنا في الاهتداء في هذا العالم وإدراك مغزى وجودنا. جهل وعدم معرفة القوانين الكونية، الارتداد الداخلي عن الله وأولويَّة الإرادة الخاصة يُعزِّزون تعلق الإنسان بالذُّنيا. هذا يؤدي إلى تعاطف قيمة "الأنا" البشرية، اشتداد العدائية وبدء الطبع بالانحطاط.

إن كان الإنسان يفهم أنَّ التكبر يؤدي إلى انحلال النفس، الأمراض، الموت، الحروب، حينها هو يُحاول التغلب على التكبر، ويصبح الدين بالنسبة له مُساعدًا ودليلاً في الطريق إلى الله.

جميع مواضيع الكتب المقدَّسة اصطلاحية ورمزية. قوانين الوجود تُوصَف بشكل مجازي من خلال تفاعل شخصيات أسطورية مُختلفة. لقد شَدَّدت مرارًا وتكرارًا على أنَّ الشيطان وأدم وحواء لم يتواجدوا في الواقع. في الأمثولات مُشغرة قوانين تطوُّر النفس. الإنسان المُتناغم يشعر بنسبيَّة ما يُقال في الكتب المقدَّسة، وهو يفهم أنَّ التفسير الحرفي لقصص وأمثولات الكتب المقدَّسة – هو السبيل إلى الضلال.

من قراءة الكتب المقدَّسة علينا استخلاص إدراكاً وإحساساً لصورة صحيحة عن الوجود. كون الكتب المقدَّسة تشقُّ طريقها إلينا عبر مَوسُور عدم كمالنا البشري، فإنَّ المعلومات بتكليفها مع وعينا تبدأ بالتشوُّه في الشكل مثلما يتشوُّه الضوء الذي يمرُّ عبر زجاج العكر. يجب إدراك المعروض في الكتب المقدَّسة بالمشاعر، لا بالوعي.

تعريف رائع للتكبر وأساليب التغلب عليه ممنوحون في الديانة الهندية. تكمن ميزة الديانة الهندية في أن العلم والدين معروضان هنا على شكل وحدة تامة ومع ذلك يُحافظ على استقلالهما عن بعضهما.

حسب الفلسفة الهندية التكبر – هو الابتعاد عن الله، تقديس للعالم المحيط وتعلق به. في الكتب الهندوسية المقدسة يُقال أن العليّ – هو السبب الأول لكل شيء، هو حاضر في كل شيء. الإنسان الذي يبدأ الإحساس بالوحدة مع العليّ يتغلب على التكبر الذي هو أساس الخطيئة.

في البهاغافاد غيتا مكتوب: "أنا – مصدر كل شيء، مني يصدر كل شيء. مدركين ذلك يتعبّدني الحكماء مُفعمين بالحب... أنا – الروح العليا، الحاضرة في قلب كل كائن؛ أنا – بداية، منتصف ونهاية جميع الكائنات".

تحكم في العالم ثلاث غونات (الطباع الثلاث. من المترجم): الساتفا – الصلاح، الرادجاس – الشهوة، والتاماس – الجهل (ملاحظة من المترجم: من المُعتمد ترجمة كلمة "رادجاس" كـ "انفعال" إلى العربية. لكن في اللغة الروسية هي تُترجم كـ "شهوة"، وكون لازاريف يبني الفصل على أساس ترجمة "رادجاس" كـ "شهوة" فأنا مضطر لاستعمال كلمة "شهوة" وليس "انفعال"). هذه الغونات تُطبق ثلاث مستويات من الوجود البشري: النفس، الروح، الجسد. الإنسان الحاضر في غونا الساتفا، الصلاح – هو إنسان النفس. الإنسان الحاضر في غونا الشهوة موجود على مستوى الروح. إنسان الجسد يحيا في غونا الجهل والظلام. مكتوب في البهاغافاد غيتا عن كيفية نشوء ونمو الخطيئة. يُقال أن بوابات جهنم – هم الشبق، الغضب والبخل. "لكن ما الذي يدفع الإنسان إلى اقتراف الخطيئة حتى بالرغم من إرادته وكأن قوة ما تجذبه؟

...يا أردجوننا، هذه القوة ليست شيئا غير الشبق الذي ينشأ تحت تأثير غونا الشهوة ويتحوّل لاحقا إلى غضب. الشبق هو العدو الأثم الذي يلتهم جميع الكائنات في هذا العالم".

سابقا كنتُ أربط الشبق بالجنس فقط، أما البخل فكنتُ أربطه بالمال، فتكوّن صورة غير مفهومة: في البداية ينشأ لدى الإنسان الانجذاب جنسي، ثم – الغضب، ثم البخل في المال. مرّ الوقت، فأدركتُ أن كل هذا منطقي للغاية في الواقع. الشبق – هو تعلق النفس، الغضب – هو تعلق الروح، البخل – هو تعلق الجسد.

حين يُقَدِّسُ الإنسان اللذة ناسيا الإيمان والحب تلتصقُ نفسه بالدُّنيا. هو يُصابُ بالغضب إن حُرِمَ من اللذة. الحبُّ هو شعورٌ بالسعادة، الوحدة، هو الحصول على المُتعة وفي الوقت نفسه تضحيةٌ، أي جمعُ المُتناقضين. الشبق هو الحب الذي يتحوّل إلى شهوة. هو تعلّق، استعداد للاستهلاك والحصول، لكن ليس التضحية. حين يتعلّق الإنسان بالعالم يظهر لديه التكبر والغيرة. التكبر هو التعلّق بالذات، تعبُّدٌ لـ "الأنَا" الظاهرية الخاصة، أما الغيرة فهي تعبُّدٌ للإنسان الآخر.

حسب الهندوسية توجد في كلّ إنسان صفاتٌ إلهية تُقَرِّبُه من الله، كما توجد فيه صفات شيطانية تُبَعِّده عن الله. الإنسان المُعترِزُ وغير المُتعلّق داخلا، الذي رغبته الأساسية الوحدة مع العليّ، يبتعدُ عن الصفات الشيطانية، يقتني السعادة العليا ويتغلّب على خطيئة التكبر في جذرها: "من حوّل نظره إلى داخل ذاته ويستمدّ السعادة والفرح من الداخل، ذلك اليوغي الذي غاص في البراهمان، يبلغ نعيم البرهمان".

الشهوة، التعلّق بالعالم يُؤلِّدُ الشبق والغضب، الغيرة والتكبر. تُصبح العواطف شهوانية حين يُستبدلُ حبُّ الله بحبِّ العالم. يتحوّل الحبُّ أولا إلى تعلّق، ثم - شهوة. التغلّب على التكبر يحصل من خلال التوازن الداخلي بين النشاط والخمول، من خلال التنحي عن التعلّق بمواضيع مشاعرنا، من خلال عدم مماثلة الذات بالأشخاص المُقَرَّبين، من خلال التقبّل الهادئ لكل ما يحصل - المرغوب وغير المرغوب، والإخلاص الراسخ للخالق.

"بالنسبة للذي تغلّب على العقل، العقل - أفضلُ صديق، لكن بالنسبة للذي لم يتمكّن من القيام بذلك، يبقى العقل عدواً". بإمكان العقل أن يكون صديقا للإنسان، لكن بإمكانه أن يُصبحَ عدوا كذلك. حين يكون السعي للعليّ هدفا أساسيا بالنسبة للإنسان، أما الوعي، العقل، المنطق فيقعون في المرتبة الثانية، حينها يُصبحُ العقل صديقا للإنسان ويُساعدُه على النمو. أما إن نسيَ وعي الإنسان الله وكان مُوجَّها كليا إلى العالم، فهو يبدأ بتدمير كلّ ما يُحيط بالإنسان والإنسان نفسه. حينها يبدأ الوعي الباطن بتكوين الأمراض للجسد والوعي.

لدى دراسة أوجه التكبر يستحيل عدم المرور من أمام أحد كتُب الهندوسية المُقدَّسة - "مهابهاراتا".

في هذا الكتاب تُحصى أربعون علامة تكبر:

١. أنا مُحَقَّقٌ دائماً.
٢. علاقَةٌ مُظَاهِرَةٌ بِالْآخَرِينَ وتعاملٌ مُتَعَجِّرف.
٣. شعورُ الأهمية الذاتية.
٤. إهانة الذات والآخريين.
٥. أفكار بأنك أفضل من الآخرين، تَبْجُح.
٦. القدرة على وضع المُنَافِس في موقف مُخَسِر.
٧. التحكُّم بالموقف، لكن عدم رغبة في تحمُّل المسؤولية.
٨. العجرفة، الململة، الرغبة في النظر إلى الذات في المرآة.
٩. إظهارُ الرخاء، اللباس وما إلى ذلك.
١٠. عدم السماح للآخرين بمساعدة الذات والعمل مع الآخرين.
١١. تولي عمل يفوق القدرة.
١٢. الإفراط في العمل.
١٣. لفت الانتباه للذات.
١٤. سرعة الضيم.
١٥. كثرة الثرثرة أو التكلم عن المشاكل الشخصية.
١٦. الحساسِيَّة الزائدة أو انعدام الإحساس.
١٧. الاهتمام المُفْرَط بالذات.
١٨. التفكير بخصوص ما يفكرُ به ويقولُه عنك الآخرون.
١٩. استعمال كلمات يجهلُها الآخرون وأنت تعلم ذلك.
٢٠. الإحساس بأنك لا تصلحُ لشيء.
٢١. عدم الصفح عن الذات والآخريين.
٢٢. جعلُ معبودٍ من الذات والآخريين.
٢٣. تغييرُ النمط السلوكي بحسب الشخص الذي تُكَلِّمُه.
٢٤. نُكران الجميل.
٢٥. تجاهل الناس الأقل مقاماً.
٢٦. السهو (لدى دراسة الكُتُب المُقدَّسة).
٢٧. التكلُّم بنبرة مُتهَيِّجة.
٢٨. رفع الصوت بنبرة غضب وضجر.
٢٩. عدم الخضوع لإرادة العليِّ، انتقاد المُعلِّمين الروحانيين.
٣٠. نقص احترام الذات.

٣١. الطيش والتهور.
٣٢. عدم الأمانة مع الذات والآخرين.
٣٣. عدم القدرة على إيجاد حلول وسط.
٣٤. الرغبة في ترك الكلمة الأخيرة للذات.
٣٥. عدم الرغبة في مشاركة الآخرين المعارف الخاصة بهدف التحكم بالوضع.
٣٦. عدم الاهتمام بالجسد الفيزيائي أو الاهتمام المفرط به.
٣٧. التفكير بضرورة حل مشاكل الآخرين.
٣٨. التحامل على الناس من مظهرهم الخارجي.
٣٩. الاحترام المفرط للذات.
٤٠. السخرية، الفكاهة الاستهزائية، السعي لوخز الآخر بالكلمات، التنكيت والضحك عليه.

أُلِّفَت هذه القائمة قبل خمسة آلاف عام، لكن الناس لم يتعلموا حتى الآن التغلب على التكبر. بهدف التغلب على التكبر يجب فهم جوهره، معرفة جذوره. إن حاولنا العمل مع كلٍّ من هذه العلامات الأربعين، فمن المستبعد أن نتمكن التغلب على التكبر. مُصارعة الشكل مع تجاهل المضمون – لا جدوى منها. إن لم تُقتلَ الجذور فإنَّ النبتة تستمرُّ بالنمو. يجب التغلب على التكبر تدريجياً، على المستويات الثلاثة – الجسد، الروح والنفس.

يُقال في العهد القديم أنَّ التكبر هو جذر الخطيئة. من وجهة نظر اليهودية قدَّر الإنسان الأساسيُّ هو تنفيذ الوصايا، علماً بأنَّ الوصية الأولى هي حبُّ الله والتشبُّه به. لكنَّ ناس ذلك الزمن كانوا عاجزين عن إدراك ما هو التشبُّه بالله. كانوا عاجزين عن تصوُّر أنَّ مغزى الحياة يمكن أن يكون السعي لله. ما كان مغزى حياتهم؟ حماية الحياة نفسها، تعزيز اليُسْر، الصِّحَّة، الاستقرار.

شكل الحقائق المعروضة في العهد القديم مُكَيَّفٌ مع مستوى ناس ذلك الزمن. مكتوب في التوراة أنَّ في حال كان الإنسان يُنْفِذ الوصايا ويتصرَّفُ بطريقة أخلاقية، فسيحصل على كلِّ ما يحلُم به. لم يكن الإنسان حينها يحلُم بالحب والسعي لله، إنما كان يحلُم بالحياة اليسيرة والمُتعة.

حين ينسى الإنسان بأمر الله، فإنَّ حريَّة إرادته تُصبحُ مصدرَ جميع مصائبه ومأساه. يسمح الأهل للطفل القيام بأمور بنفسه بهدف أن يتعلَّم الطفل

القيام بذلك. في البداية يقترفُ الطفل الأخطاء، ثم يُصَحَّحها. يُسَاعِذه الأهل في تصحيح أخطائه. يتمنَّعُ الإنسان بحرية الإرادة، لكنه يجهل كيفية التصرف بها. حين هو يتولَّع بحريته ويُرَتِّب الأولويات بشكل خاطئ هو يقع في حالة الخطيئة.

الخطيئة – عَثْرَةٌ تَعْنِي أَنَّ الإنسان لا يَتَّجِهَ لله، إنما يبتعدُ عنه. الخطيئة هي نتيجة الإخلال بوصية موسى الأولى – نتيجة فقدانِ حُبِّ الله والوحدة معه. تلي هذه الخطيئة الخطيئة الثانية – تعبدُ السعادة البشرية. حين يرتدُّ الإنسان عن الله هو يبدأ بتعبد ذاته، رغباته، غرائزه، الإنسان الآخر... تعبدُ أي شيء أو أي أحد غير الله هو وثنيَّةٌ ودليل تعلُّقٍ وشبقٍ. بعد التخلي عن الله تظهر العدائية ويحصل تدمير ما نحن نضعه أعلى من الله. إن لم يحصل تدمير ما نحن نضعه أعلى من الله فإنَّ نفسنا تهلك.

وصايا موسى تخصُّ بشكل أساسي سلوك الإنسان الظاهري. تنفيذ الوصايا، كبُحْ "الأنَا" البشرية (ego)، الغرائز، الرغبات، الشبق هما آليَّة التعلُّب على التكبر الأساسية في اليهودية. وصايا موسى مَوْجَّهة بالمقام الأول لوعي الإنسان، لذلك فإنَّ العقل، المنطق يقعان في اليهودية في المقام الأول، أما الحب – ففي المقام الثاني. في هذا يكمن أحد أسباب الأزمة العميقة التي بدأت في اليهودية قبل ألفي عام.

أتى عيسى المسيح بتصورٍ جديد تماماً للعامل. كلُّ شيء – من الخالق. كلُّ ما نحصل عليه هو تجلي لحبِّ الخالق، بركته. كشف المسيح بشكل أكثر كملاً معنى الوصية الأولى. قال المسيح أنَّ من يغضبُ من أخيه – أكثرُ إجراماً من السارق والقاتل، أنَّ الخطيئة تُقْتَرَفُ بالإنسان في الداخل وليس من الخارج.

الشيخ "بايسي سفياتوغوريتس" (Payisiy Svetogorets) كتب: "الكبرياء، الأنانية، الغرور – هم الشهوة نفسها لكن بظلال معانيها وتجلياتها المُختلفة". (تجدر الإشارة إلى أنَّ كلمة "strast" التي أترجمها كـ "شهوة" تتضمن كذلك معنى – "شغف". من المترجم) ما هي الشهوة؟ هي التعلُّق بـ "الأنَا" خاصتنا، رغباتنا، غرائزنا. هذا التعلُّق يؤدي إلى اشتداد الكبرياء، الأنانية، الغرور، الحسد، البُخل.

إن كانت الوصايا الممنوحة من قِبَلِ موسى تتمنَّع بطابع تحريمي، فإنَّ وصايا المسيح إثباتيَّةٌ: "طوبى للفقراء بالروح"، "طوبى للذين يبكون"، "طوبى للودعاء" وإلى آخره. هذه الوصايا مَوْجَّهة لنفس الإنسان وليس

وَعِيهِ، وهي إحدى أهم الاختلافات بين المسيحية واليهودية. لدى التوجُّه لوعي الإنسان كَلِمَةً "لا" المُفْتَدَّة مُنَاسِبَةً. لكن في نفسنا، في وعينا الباطن توجد "نعم" فقط، فقط تقبُّل إرادة الخالق والمُوافَقَة عليها.

تقول المسيحية أنَّ بهدف التغلُّب على خطيئة الشيطان من الضروري الإحساس بالإرادة الإلهية كل ثانية وإدراك الخالق بكونه المصدر الأولي المُحِب وشعور الذات جزءاً منه.

في اليهودية تُطلَبُ من المؤمن التوبة، الأُضْحِيَّة، إقامة الصلوات. في المسيحية يجري الحديث في المقام الأول عن تحوُّل الطبع والشخصية. من الضروري تغيير الطبع، الرؤية الوجودية والشخصية نحو الأفضل كلَّ يوم لكي نُصْبِحَ أبناء الله.

اقترح عيسى المسيح مُقاربة دِيَالَكْتِيكِيَّة: الامتناع عن النِعَم الدنيوية يُسْتَبَدَلُ بالتَّنْحِي عنها، الرغبات الحيوانية تتحوَّلُ صَهِراً إلى بشرية ثم – إلهية. بفضل مُقَابَرَةٍ مُمَائِلَةٍ يتغلَّبُ الإنسان على التكبر وبإمكانه امتلاك جميع النِعَم البشرية. الجريمة الكُبرى – هي التخلي عن الحب.

مصفوفة المُستقبل

الوضع في العالم مُرتبطٌ مُباشرةً برؤيتنا الوجودية وحالة الوعي الباطن الخاص بالمُجتمع. عواطف كلِّ إنسان فائقة العمق تؤثر على حالة الحضارة كلّها في الحاضر والمستقبل.

التكبر هو ضلالُ الإنسان، إزاحةُ اهتماماته عن الأهم نحو السطحي، الأنّي. الحياة قصيرة، الجسد فانٍ ويتحوّل مع الوقت إلى رُفات، أما النفس فأبدية وحاضرة في الخلق.

إن كان الإنسان لا يتقيّد بقوانين الوجود، يحيا بالغرائز والرغبات، فإنّ تكبره يتعاضم. كلما كان التكبر أشدّ، اشتدّ جهاد الإنسان المُستमित في مُصارعة الإرادة الإلهية، المصير الخاص وقدره. ترتفع العدائية وتحوّل إلى برنامج تدمير ذاتي. في النهاية يختفي عن وجه الأرض الإنسان وأنجاله الذين ورثوا طبعه. التكبر المفرط يؤدي إلى تصوّر قاسٍ عن العالم، عدم قدرة على التأقلم داخلا مع العالم المحيط، عدم القدرة على الموافقة على الحل الوسط.

ما نحن نُسَميه بالتكبر، - هو انتصار العقل و"الأنا" البشرية. لدى الحضارة المُتطوّرة انتصار العقل يبلغ المدى الأقصى.

حسب رأي العلماء سبق أن وُجِدَت ست حضارات مُتطوّرة فُنيّت. لا أحد قادرٌ على شرح سبب فنائها بحجج واضحة. فضلا عن العوامل الخارجية توجد عوامل داخلية كذلك.

يوجد مفهومٌ مثل مصفوفة بشرية المستقبل. يتكوّن الحاضر من أحداث الماضي والمستقبل، علما بأنّ المستقبل هو ما يكوّن الحاضر تحديدا. مصفوفة المستقبل - هي البشرية الجديدة. إن كانت تُتَوَقَّع في المستقبل تغييرات جذرية، فإنّ البشرية تشعر بتوتر قوي على مستوى الوعي الباطن. بانتظار بشرية اليوم تغييراتٌ وعلينا التأقلم مع المستقبل، تقبله دون عدائية، حينها سنتمكّن من البقاء أحياء في هذا المستقبل. على المستوى الرفيع حصول الأحداث يسبقُ بكثير حصولها على المستوى الفيزيائي. بدأت

التغيرات منذ عام ٢٠١٢، ومنذ عامي ٢٠١٥-٢٠١٦ هي تحصل بوتيرة أقوى.

في السابق رأيتُ على المستوى الرفيع أن ابتداءً من عامي ٢٠١٥-٢٠١٦ قد تنشأ في المجتمع نزعة تعاطف العقم. كنتُ أفترضُ أن تلك نتيجة تراكم الخطايا، العواطف السلبية، العدائية. إنما لاحقاً نشأ إدراكٌ بأن هذا هو اللقاء الأول مع المستقبل.

إن كان الإنسان لا يتقبل ما يحصل معه، إن كان يتعاطى بشكل خاطئ مع المواقف المُسببة للتوتر، حنيتها تثور لديه العدائية. بعد مرور بعض الوقت تتحول العدائية المُخزنة إلى برنامج تدمير ذاتي. يتجلى ذلك لدى النساء على شكل عقم. لدى الرجال - على شكل ميلٍ للمخدرات، الصراعات، الحرب، الهلاك.

الإنسان المُتكبر عاجزٌ عن التغير. هو يُدافع عن "الأنا" الظاهرية خاصته، وكلما اشتدت مُطالبَةُ الموقف له بأن يتغير، بات هو أكثرَ عدوانيةً. ولاحقاً يمكن توقعُ الأوبئة، الكوارث، الحروب والموت غير الملحوظ.

حين تبلغ الحضارة أوج التطور التكنولوجي، كذلك يبلغ التكبر أعلى نقطة له. فتسكُر "الأنا" البشرية من قوتها، قدراتها وتُحاول قمع الإرادة الإلهية، الأمر الذي يؤدي إلى الإلحاد الشامل. الآن حان عصر الناس الذين لا يؤمنون بالله. الأخلاقيات والإيمان يُفقدون، أما التطور العلمي-التكنولوجي فيستمر في التسارع. الحضارة المُعاصرة هي السابعة حسب الإحصاء ولديها جميع فرص إعادة مصير الحضارات الست السابقة السيء.

الإنسان المُعاصر يحيا بالملذات التي ستؤدي به عاجلاً أم آجلاً إلى وضع وُجدت فيه سدوم وعموره. فقدَ الناس إدراك أولوية الإرادة الإلهية، توقّفوا عن تقيد رغبات جسدِهم والاهتمام بالنفس. القوى والطاقة كلها مُوجّهة للحصول على المُتعة.

مؤخراً أرسل لي قارئ رسالةً مع سؤال مثير للاهتمام: "ما الخطيئة التي يجب أن تسود لدى الشعب لكي تؤدي به إلى الحرب؟ ما الرؤية الوجودية وأي صفات يجب أن يتميز بها السكان لكي لا تُجرّ الدولة إلى الحرب؟ ما هي النسبة الضرورية للناس الذين فقدوا الأخلاقيات لكي يأتي هيتلر إلى السلطة؟"

قبل الحرب يملك المجتمع برنامج تدمير ذاتي مرتفع يؤدي إلى الزلازل، الكوارث والحروب. برنامج التدمير الذاتي هو نتيجة التكبر المرتفع. ناسين الله، ناسين مفاهيم مثل الإيمان، الأخلاقيات والنفس، يبدأ الناس بتعبّد النواحي الظاهرة. يشتدّ تعلّقهم، يتغيّر طبعهم نحو الأسوأ، تشتدّ العدائية. المرحلة التالية – هي الأمراض، المآسي، الكوارث، الحروب. تبدأ الحروب حين ينسى الناس أمر الحب، الإيمان والأخلاقيات. إن كان الحبّ حاضراً، فنحن نشعر بالوحدة مع بعضنا، وحينها يكون ممكناً حلّ أيّ مشكل بروح التضامن. إن كانت الوحدة معدومة، فإنّ المشاكل تُحلّ بالقضاء على المنافس.

الحرب العالمية الثانية باتت نتيجة لحالة البشرية العامة. حين يقع المال في المقام الأول، حينها تتراجع الحياة إلى المقام الثاني. حين تُقدّس الحياة، نحن نفقدها. حين تُقدّس المال نحن سنفقّد المال وكذلك الحياة في نهاية المطاف. يجوز تقديس الله وحده.

كان هيتلر يقول أنه يؤمن بالمصير. حصلت أكثر من ٤٠ محاولة لاغتياله، كانت فرص نجاته ضئيلة، لكنه بقي حياً. كلّ ما في الأمر هو أنّه كان على العالم كلّهُ أن يتأكّد من أنّ الفاشية محكومٌ عليها بالهزيمة. ليس هيتلر نفسه من خلق الفاشية. الفاشية – هي نتيجة انهيار الأخلاقيات، حين السلطة، الغنى وأهميّة "الأنا" البشرية يتصدّرون المركز الأول.

الخسائر الأكثر خطورة هي تلك التي لا نلاحظها، تلك التي لا ندرّكها. يفقد الإنسان حبّ الله والأخلاقيات بشكل غير ملحوظ، لكن لفترة مُعيّنة بعد ذلك هو يستمرّ بالحصول على المتعة، يشعر باللذة. الطاقة المُخصّصة للتواصل مع الخالق تُصرف على حاجات اليوم.

عالم اليوم يُعاني من نقص طاقة المستقبل. إيكولوجيا الكوكب في حالة يرثى لها، الطعام والهواء باتا مُقرّفين. كلما اشتدّ تقديس البشرية للمصير اليسير، تضاعل كمّ المواد الغذائية الطبيعية التي نأكلها.

اليوم سلوك عدد كبير من الدُول انتحاريّ. الحضارة الغربية تتعبّد غريزة حفظ الذات وغريزة حفظ النسل. لكنّ كلّ ما نحن نتعبّده غير الله يجب أن يُفقّد. تفكّك الأسر، العقم، اللواط – كلهم نتيجة طبيعية للرؤية الوجودية الناقصة.

في جلسة الأمم المتحدة اتُخذ قرارٌ بمُكافحة فكرة إعطاء النازية وجهاً بطولياً. صوّتت ثلاث دولٍ ضد هذا القرار؛ تصرّفها هذا هو في جوهر الأمر

حُكِّمَ بالانتحار على الذات والحضارة كُلِّها. صَوَّتت هذه الدول لأنَّ يحقَّ حرق الناس في مُعسكرات الاعتقال، تحويلهم إلى حيوانات، صَوَّتت لأنَّ يحقَّ قتل الأطفال الرضع وإبادة غير المرغوب بهم. هم يعتبرون جائزا الامتناع عن جميع أشكال الأخلاقيات، الإخلاص والشرف، ناهيك عن الإيمان بالله والتقيُّد بالوصايا.

في هذا الصدد يخطر على البال موضوع الفيلم المعروف "ذهبوا مع الريح". في أحد المشاهد ترفع البطلة الأساسية يدها نحو السماء وتصرخ أنها مستعدة للقيام بأي شيء من أجل اليُسْر: الكذب، النهب، السرقة، القتل. العقار الاقطاعي هو رمز السعادة بالنسبة لها. الأرض تمنحنا الحُبْر، الحماية وهي تجسِّدُ للحياة. تقديس الأرض على حساب الحبِّ والأخلاقيات – هو تخلٍّ عن الله. البطلة الأساسية تقول أنَّ مغزى حياتها هي الحياة واستهلاك النِّعم الحياتية، أي خدمة المال.

ليست صُدْفَةً أنَّ رواية "ذهبوا مع الريح" نالت شهرة واسعة. هي مبنيةٌ بدقَّةٍ حسب القوانين الكونية. يُولَدُ لدى البطلة الأساسية أطفال، هي تُمنَحُ إمكانية الشعور بسعادة الأمومة. لكن الأولاد يموتون. قتلُ النفس لا يزول دون ترك أثر، - تنهار الأسرة، ينقطعُ النسل.

الأمر الوحيد الذي كان يدفعني لاحترام كارل ماركس هو قوله في جوهر الرأسمالية الذي قرأته في الماضي في كتابه "رأس المال". لكن كما تبين هذه الكلمات لا تخصُّ ماركس، هو اقتبس قول الكاتب الاجتماعي الانكليزي الذي عاش في القرن التاسع عشر ت. د. دايِنغ: "لدى الحصول على نسبة ربح ١٠٠% هو (رأس المال) ينتهك جميع القوانين البشرية، ولدى ربح يُساوي نسبة ٣٠٠% لا وجود لجريمة لن يُخاطر باقترافها ولو تحت تهديد المشنقة". هنا مُدرَكٌ ومنقول بدقَّةٍ جوهر الرأسمالية.

ك. ماركس تخلى عن الدين ووضع النِّعم المادية في أساس الزاوية. حاول ربط تاريخ البشرية بأدوات العمل، شروط الحياة المادية. ضلَّاه بات ضلالاً ومأساة الملايين.

تأذى عدد كبير من الناس إذ صدَّق بأنَّ الجسد ذو أهميَّة من الدرجة الأولى. الهول والمُعاناة للذات كانا من نصيب البشرية في الـ ١٥٠ سنة الأخيرة، - هما نتيجةُ الضلال وعدم فهم القوانين الكونية. بكلام آخر، ذلك نتيجةُ للتكبر الذي يدفع الإنسان إلى وضع "الأنا" خاصته (ego)، أي الجسد والوعي أعلى من النفس، الأخلاقيات والإيمان.

لقد اعتدنا اعتبار أنَّ الرأسمالية هي "ملكيَّةٌ خاصةٌ على موارد الإنتاج". في الاتحاد السوفياتي كانت الملكيَّةُ الخاصةُ معدومة. الاتحاد السوفياتي كان دولة عبودية، حيث كانت النُخبَةُ استعباديَّةً و كان الشعب عديم الحقوق تماماً. لمَ ظهر في الاتحاد السوفياتي مجتمعٌ عبودي؟ كلُّ ما في الأمر هو أنَّ من دون إيمان، دون التقيد بالوصايا، دون أخلاقيات يستحيل أن يبلغ المجتمع مستوى مرتفعاً من التطوُّر. نظام الرِّق هو نظامٌ وثني. لولا اليهودية والمسيحية لاستمرَّينا بالعيش في نظامٍ عبودي. التطوُّر التكنولوجي مع مستوى أخلاقيات مُتدنٍ كان ليؤدي بحضارتنا إلى الهلاك. دلائلُ المجتمع المُتنامِ هم الأخلاقيات، الإيمان، تنفيذ الوصايا. إن كانوا معدومين، فمهما كان مستوى المجتمع التكنولوجي مُرتفعاً، مهما كانت الآداب صارمةً، فإنَّ هذا المُجتمعَ محكوم عليه.

المجتمع الرأسمالي هو مُجتمعٌ امتنع عن الإيمان بالله ويخدم المال. الاستهلاكيَّة، الطمع، الكذب، الزور، الخيانة يُميِّزون هذا المجتمع. مرحلة الرأسمالية العليا هي الفاشية. الرأسمالية تتحوَّل حتماً إلى فاشية لأنَّ فقدان الإيمان بالله يؤدي إلى فقدان العلاقة الأخلاقية بالناس.

إن كانت نفس الإنسان فاقدةً لحب الخالق، فهو يتوقَّف عن حبِّ الناس. ضمورُ حب الناس، ضمور الأخلاقيات، الرحمة والشفقة هو الفاشية تحديداً. المُجتمعُ المثاليُّ مع رحمة، شفقة وأخلاقياتٍ مبتورين - مُجتمعٌ فاشي. كلما كان الإنسان أكثرَ ذكاءً وموهبةً، كلما كانت حياته أكثرَ يسراً، كلما ازداد تحقُّقُ رغباته، ازدادت عليه سهولة نسيان الله. الوضع الحالي في العالم هو التالي: إن لم يبدأ كلُّ إنسان بتغيير ذاته نحو الأفضل، فإنَّ مُستقبلَ حضارتنا قد يكون مؤسفاً. الحضارة المُتطوِّرة المُعاصرة التي تتمتع بتفكير علمي وتتعبَّدُ العِلْمَ ناسيةً الدين، تقتربُ من نهايتها. من التوحيد هي تعود إلى الوثنيَّة والسحر حين على الرغبات أن تتحقَّق نتيجةً التحكُّم بالمُستويات العليا. بدأ العلم الآن بالاقتراب من السحر والباطنية (esoterics)، - هذه عملية خطيرة للغاية.

يوجد اليوم في العالم نظامين إيديولوجيين فقط: الاشتراكية والرأسمالية. الاشتراكية ماتت، الرأسمالية ماتت. الاشتراكية الصينية هي ليست اشتراكية تماماً كونه يُحلُّ فيها بمبادئ الاشتراكية الأساسية. كيف يجب أن يكون المجتمع القابل للحياة، - هذا لا يعلمه أحد؛ لا تملك البشرية نموذجاً عن المُجتمع المُتنامِ.

تملكُ حضارتُنا فرصةً لخلق نموذجٍ مُجتمَعٍ مُتناغمٍ وإنسانٍ مُتناغمٍ. لكن
بهدف ذلك من الضروري فهم أسباب ظهور وُهلاكَ الاشتراكية والفاشية، -
حينها فقط سينشأ إدراكٌ واضحٌ عن كيفية بناء دولة جديدة.

قصتان

عدم فهم قوانين الكون وعدم الرغبة في إدارتها يؤديان إلى مشاكل خطيرة. القصتان المذكورتان أدناه تُبينان بشكل ممتاز ماهية التكبر، عدم تقبل الإرادة الإلهية وعدم الرضا عن المصير.

حصلت أول قصة قبل أكثر من خمس عشرة سنة. أتينا إلى نهر الفولغا لصيد السمك، واشتكى أحد أصحابي من شعوره بتوَعُّك. كان يُعاني من ألم في الأربية. تبين أن الوضع في غاية الخطورة، ما كان مُصابا به كان يُشبه الغغرينا.

الحالة الفيزيائية مرتبطة مباشرة بعواطفنا. هناك العواطف الظاهرة، هي عابرة ومُرتبطة بالموقف، وتوجد عواطف عميقة. إن توَعَّل الشعور الخطير في عمق النفس فقد يتستّر هناك لسنوات، كما أنه قد يخرج بعد شهر على شكل مشاكل صحية خطيرة.

حُكِّم على سرعة وخطورة جريان المرض حصل لدى صاحبي أمر ما مؤخرا. حدَّثته عن إدراكه للحياة، فتبين أنه كان يُصاب غالبا بنوبات غير. كان يخشى حدّ الذعر ركوب الطائرات، علما بأن هذه الفوبيا مرتبطة بالغيرة. قبل شهرين اتصلت به زوجته وقالت أنها اختُطفت ولافتدائها مطلوب مبلغ كبير من المال. صدم. هو لم يكن يملك ذلك المبلغ. بواسطة معارفه وجد أشخاصا يعملون في الشرطة، وتوجّهت فرقة من القوات الخاصة إلى حيث كان من المفترض حصول تسليم المال.

في النتيجة تبين أن زوجته هي التي دبّرت كل شيء مع عشيقها. بهذه الطريقة قرّرت المرأة الحصول على مبلغ مُعيّن من المال. أصيب صاحبي بالغضب، اضطرّ موظفو الشرطة لتهدئته وإيقافه لكي لا يُبرح ضربا عشيق زوجته. عانى كثيرا بسبب خيانة زوجته، والآن، بعد شهرين، أصيب بمشاكل صحية.

شرحت له أن سببا للمشاكل الصحية هما التكبر والغيرة. قد يتجلى التكبر على شكل بُخل، حسد، اكتئاب، احتقار تجاه الذات، إدانة للناس. التكبر، شعور التفوق، القطعية، عدم الرغبة في التغير، الإحساس بالحقانية الذاتية

في أي موقف - هم دلائل أنه حان الوقت لإعادة الإنسان النظر في ماضيه بجدية.

حين يكون لدى الإنسان مستوى مُرتفع من التكبر وغيره في آن واحد، فإن وضعه يزداد سوءا. يستحيل تصحيح وضع مُماثل بالصلوات وإعادة النظر في الحياة. تقديس القيم البشرية و"الأنا" البشرية (ego) أمر في غاية الخطورة ويؤدي إلى المأساة. قلتُ لصديقي:

- وضعك سيء. صلّ، أعد النظر في حياتك واصفح عن جميع من أسأوا إليك. تذكر أن الأهم هي الإرادة الإلهية، الإرادة البشرية لا تعني شيئا بالمقارنة بالإرادة الإلهية. إن كنت لا تلاحظ الإرادة الإلهية، فأنت تستاء وتكره. حين يتوغّل هذا الحقد في النفس هو يتحوّل إلى حقد تجاه الله. في أفضل الأحوال سيؤدي ذلك إلى المرض والموت، لكن النفس ستنجو. لكن إن طالت هذه العملية، فسيبدأ انحلال النفس، فيؤدي ذلك إلى مشاكل خطيرة لدى الأبناء. صلّ، سامح، تقبّل الموقف، - لقد حصلت على ما من المُفترض أن تحصل عليه. إن خانوك، - فذلك يعني أن السبب فيك. يرقصُ التango اثنان دائما. ليس من الضروري الحفاظ على علاقات ودية مع الذي خانك، لكن لا تحقق إدانته وكُرهه.

بعد ساعة ونصف من عمله على ذاته تحسّنت حالته كثيرا. بعد هذه الحادثة أدركتُ تماما أن التكبر المُفرط، الاحتقار، الإدانة، الزعل، عدم تقبّل الإرادة الإلهية قد يؤدون إلى الموت.

القصة الثانية حصلت مع إحدى معارفي. اتصلت بي؛ كان صوتها غريبا مُخشعا. بإمكان الصوت قول الكثير عن حالة الشخص. صوتها كان كصوت الشخص الذي يُشرفُ على الموت. هي كانت في المستشفى، توقّفت كليتها عن العمل. أقيم لها مصرف لإفرازات الجرح، تناولت الأدوية خمس أيام، لكنّ كليتها لم تعودا إلى العمل.

في الماضي كانت مُصابة بسرطان نقيلي في المرحلة الرابعة. شرحتُ لها حينها أن التكبر هو أحد أهم أسباب أمراض ومآسي الإنسان، إنه زعل قوي من الأقارب وعدم قدرة على رؤية الإرادة الإلهية. غالبا تنهال على النساء المآسي حين تستعدّ للزواج وإنجاب طفل. غالبا ما تصطدم النساء بعلاقة خاطئة من ناحية الإنسان الحبيب والأهل. إن شعرت

المرأة في ذلك بالإرادة الإلهية، حينها هي تصمد أمام التجارب الضرورية لتطهير الأبناء المستقبليين. يُولد لديها أبناء غير مُثقلين بالخطايا، فتجري حياتهم بسعادة ويُسر.

إن كانت المرأة تتميز بتكبر مُفرط، تميل للإدانة، غير مستعدة للموافقة على الحلول الوسط، إن هي لم تتعلم تقبل مصيرها، عدم الحقد، عدم الشعور بالاكْتئاب والكره، - ففي هذه الحال بانتظارها مشاكل. هي قد تقوم بإجهاض بسبب الزعل، قد تُضمر زعلا من الأقارب، قد تتخلى عن من تُحبُّه، تقوم بمحاولة للانتحار أو احتقار الإنسان القريب أشهرا طويلة. المرأة لا تشبه حتى إلى ماذا قد يؤدي ذلك.

قلت كل ذلك لإحدى معارفي، فبدأت العمل على ذاتها. بدأ طبعها بالتغير، فتوقّف الورم السرطاني عن النمو. بعد فترة قال الأطباء أنها سليمة. لكن في عمق نفسها ظلّ لديها عدم رضا بالمصير وعدم تقبل الإرادة الإلهية. كلما كان الإنسان أكثر استياء من مصيره، ازدادت مشاكله.

الآن حصل التالي. امرأة شابة - طبيبة - وصفت لإحدى معارفي دواءين غير متلائمين، فتوقّفت كليتها عن العمل. حصل تدخل خارجي، إلا أنّ كلّ ما يُصيّبنا هو نتيجة حالتنا الداخلية. بقي في نفس المرأة عدم رضا بالمصير، في حين أنّ النفس مرتبطة بالأنجال بشكل مُباشر. بقي مستوى تكبرها مُرتفعا. لو تدنى مستوى تكبر المرأة لكان من الممكن أن تفقد الأدوية خواصّها المُدْمِرة.

شرحتُ لإحدى معارفي عبر الهاتف سبب توقّف كليتها عن العمل:

- في جسم الإنسان الكبدُ مسؤول عن مُكافحة السموم واستيعاب جميع المعلومات التي تصلُ القناة المَعِدِيَّة المَعْوِيَّة. الكبد يُكافح السموم على المستوى الفيزيولوجي والمستوى المعلوماتي كذلك. حين تناولت دواءين غير متلائمين، تلقى الكبد أمرين يُناقضان بعضهما، وبالنتيجة تدهورت وظيفته. تدني وظيفة الكبد أدى إلى عدم إفقاد السُم لتأثيره، فبدأتسم الجسم. أثر هذا على الكلى التي توقّفت عن العمل.

بدايةً يجب إشفاء الكبد. يُعاني الكبد حين نُدِين، حين نشعر بالاستياء، أي حين يكون وعينا في حالة هيجان مُفرط. يجب التوقّف عن إدانة الأطباء والذات، التوقف عن سؤال المصير: "لِمَ أصابني هذا؟!". يجب تقبل ما حصل وتحرير كلّ الزعل. حين نتقبّل إهانة "الأنا" البشرية خاصتنا، حينها نفعل "الأنا" العليا خاصتنا القادرة على حمايتنا من جميع الأمراض.

بعد حديثنا اتصلتُ بهذه المرأة عدة مرات أخرى شارحا كيفية إعادة النظر بالحياة الخاصة وكيفية تقبُّل أي موقفٍ والمصير الخاص. عادت كليتها إلى العمل، لكن بدأ يتراكم سائلٌ في العمود الفقري. استنتجتُ أننا لم نُوقِف البرنامج الذي يُشكِّل أكبر خطر على المرأة، البرنامج الذي يَصْرُبُ الأُنجال، - الاكتئاب. كره الذات وعدم الإيمان بالذات هما تجلٌّ للاكتئاب. بإحساسه بهذه العواطف لا يقوم الإنسان بقتل ذاته فحسب، إنما كذلك يستفِرُّ المحيطين به على ذات العلاقة تُجاهه.

يوجدُ مفهومٌ مثل "الغراب الأبيض". اللون الأبيض - دليلٌ أنَّ الجسم ضعيف القابلية للحياة وأنه يعملُ فيه برنامج التدمير الذاتي بشكل ناشط. يُطَوَّقُ هذا البرنامج بسقوط الشعر، تغيُّر لونه. لِمَ يشيبُ الشعر في الشيخوخة؟ ينخفض مستوى الطاقة، لذلك يتغيَّر لون الشعر أو يحصل تساقطه. يُفَعِّلُ برنامج التدمير الذاتي بسبب التعلُّق بالعالم.

الاكتئاب هو خمولٌ داخلي، شلل نفسي، عدم رغبة في الكفاح. نحن نتعلَّم تقبُّل الإرادة الإلهية تماما إلا أنَّ ذلك لا يعني أنَّه يجب عدم فعل شيء والاتكال على الله فقط. هذا الرأي خاطئ تماما. تقبُّل الإرادة الإلهية يعني عدم الاحتجاج عليها، عدم الاستياء، عدم الخوف، عدم الزعل وعدم الاكتئاب. من الضروري المواجهة وحلَّ المشاكل الخاصة بنشاط مع البقاء إنساناً طيِّب النفس ومُحِباً.

قال عيسى المسيح: "اطرقوا، يُفْتَحْ لَكُمْ". كان يدعو لموقف حياتي ناشط. مع ذلك كان عيسى يقول عن عدم جواز الإدانة. "الأنا" الإلهية خاصتنا "نُعَلِّقُ" بالخوف، الاكتئاب، الحقد، الإدانة. "الأنا" الإلهية خاصتنا بحاجة للحب، الفرح والطاقة.

قلْتُ لإحدى معارفي أنَّ عليها الاجتهادُ للتخلُّص من الاكتئاب. أما هي فأخبرتني بأنَّ الأطباء وصفوا لها أدوية غير متلائمة مُجَدِّدا. توجَّهتْ أختها إلى طبيب تعرفه، وصَفَتْ له الوضع بالتفصيل وطلبت منه التحدُّث مع الأطباء الذين يُعالِجون أختها. رداً على ذلك قال الطبيب أنَّ هذا التصرُّف سيكونُ لأخلاقيا. طبيبةٌ وصَفَتْ مستحضرات مُتعارضة، الأمر الذي كاد أن يؤدي بحياة المريضة، والطبيبة الأخرى وصَفَتْ دواء خطيرا آخر. الطبيب الثالث، عالما بهذه الوضع كلِّه، يُعلِنُ: "من غير الأخلاقي الاتصال بطبيكما ونصحهُ بإلغاء الدواء الموصوف. هذا سيضع مؤهلاته تحت الشك".

يهيئ الطبُّ الجسدَ الفيزيائي أولاً. من أجل الشعور بألم ومُعاناة الإنسان الآخر يجب الإيمان بالله. حين يحيا الإنسان بالمفاهيم المادية يتدنى مستواه الأخلاقي. هو ينسى بأمر الشفقة، الحب، العناية.

نحن لا نفهم ما هو الإنسان، وعدم فهمنا هذا يؤدي إلى مشاكل خطيرة. حين تكون النفس معدومة من الإيمان والشعور بأنَّ مصدرَ الشر مثل الخير هو الله، حينها يبدأ الإنسان بكره المرض وتقديس الصحة. هو يعجز عن إدراك أنَّ المُتناقضين ممنوحان لخيره.

الطبيب غير المؤمن الذي يُشفي على الإنسان المريض يأخذ أمراضَه على نفسه ويُقلِّصُ حياته الخاصة. حسب الإحصاء يعيش أقصر حياة أطباء الإنعاش والجراحون لأنهم يخشون أكثر من غيرهم على مصائر الناس الذين يحاولون إنقاذ حياتهم.

أطباء كثر، رغبة في إنقاذ ذاتهم بشكل لاواعي، يقعون في التطرُّف الآخر: من الشفقة هم ينتقلون إلى اللامبالاة التامة والوقاحة. هذا يُحسِّنُ صحتهم الفيزيائية، لكنهم يتوقفون عن الشعور بألم الإنسان الآخر ولهذا السبب قد يهلكون المريض بلامبالائهم، عدم رغبتهم بالشعور بحالته. هذه هي مُشكلة الطبِّ المعاصر وعلم النفس المعاصر.

كلما كانت التكنولوجيا والحضارة أكثر تطُّوراً، اشتدَّت الخطورة على النفس. جهلُ قوانين الكون، عدم القدرة وعدم الرغبة في إدراكها، عدم فهم أنَّه يجب التفكير والاهتمام بالنفس أولاً - هذا كله يؤدي إلى أنَّ أناساً يمرضون، أما آخرون، مُحاولين شفاءهم، فيدمرونهم.

سبب ذلك هو التكبرُ الذي قد يبدو بطرُقٍ مُختلفة تماماً. التكبرُ يبدو - كطبيب لأمبال يُوصَفُ أدوية خطيرة للمريض، أو كطبيبٍ أخلاقي بشكل مُبالغ لا يتجرأ أن يقول لزميله أنه يقتل المريض. التكبرُ يبدو - كزعل من الناس، كإكتئاب وعدم رغبة في إنقاذ الحياة الخاصة لدى التواجد في شروط صعبة.

في روسيا أدى التفكير الوثنى إلى نتائج كارثية. لكن تكمن ميزة بلدنا في أنَّه رغم مستوى الثقافة الحياتية المُتدني، تبقى النفس بالنسبة لمواطنينا في المقام الأول. في الغرب يقع في المقام الأول الجسد الفيزيائي واليسر المادي، فلذلك الثقافة الحياتية واقعة على مستوى مرتفع.

يمكن التكلُّم عن نوعين من التكبر. يكون مستوى تكبر الإنسان مُرتفعاً إن كان يحتوِّرُ جسده، مصيره ويُقدِّس النفس، - كما في روسيا. بذات المستوى

المرتفع يكون تكبرُ ذاك الذي يحتقرُ النفس ويُقدِّسُ الجسد، الراحة واليُسْر، -
كما في الغرب.

الإنسان، مثل الله، ثلاثي (الله واحدٌ لكننا نُدرِّكه من خلال المكان، العالم المادي والزمان). لكن في المقام الأول على الإنسان الاهتمام بالنفس خاصته. حين سنتعلَّم الجمع بين المفاهيم المتناقضة، حينها سنتمكَّن من الحفاظ على الحب في كلِّ موقفٍ. حينها ستظهرُ لدى البعض فرصةٌ للشفاء، ولدى آخرين - فُرصةٌ للشعور بالآخر ولمُساعدته في التغلُّب عليه.

مصير الإنسان الموهوب

ظهر في عملي تقليد القيام بالتحليل الدراماتيكي لمُختلف الأفلام. في الفيلم السيري عن "باتريك سويزي" معروضةً بِدِقَّةٍ عجيبة حياةُ إنسان ذو تكبرٍ مُفرط.

"باتريك سويزي"، نجم هوليوود صاحب لقب أكثر رجلٍ إثارةً في أمريكا، حقّق في الحياة كلّ ما يمكن الحلم به. الموهبة، البسالة، النشاط، الكاريزما والمثابرة كانوا يميّزونه عن الآخرين ويُساعدونه في بلوغ نجاح لا مثيل له. لكن خلال حياته كلّها كانت تُرافقه الإصابات، سوء الحظ والإدمان على الكحول والنيكوتين. في عمر الـ ٥٧ تُوفي من سرطان البنكرياس.

بطل الفيلم السيري يجربُ ذاته في صفة لاعب فوتبول، لاعب جمباز، راقص. يحقّق نتائج هامة في جميع المجالات، ووحدها إصابات ركبته المتكررة لا تسمح له بلوغ الأهداف المرجوة. النجاح الكبير في الحياة يفترض طاقةً داخليةً كبيرة. الإنسان الشجاع يدرك في داخله قوّته ولا يخشى شيئاً. هو يشعر بأنه سيحقّق كلّ شيء.

إذ قرّر تجربة ذاته في دور ممثلٍ يُسافر "باتريك سويزي" مع زوجته لغزو هوليوود. كان يقدّم على أي عمل لإطعام عائلته. انتظر الدور الأساسي طويلاً، لكن الأمر كان يستحق الانتظار: أول فيلم بمشاركة حصل على نجاح هائل.

لكن تحديداً حين تبدأ حياته بالانفراج هو يبدأ بالشرب، التدخين كثيراً، تنهال عليه خيبات الأمل في حياته الشخصية. يُقال في الفيلم عن أن إدمانه على الكحول هو نتيجة عقدة النقص. بفضل جهده ومثابرته يبلغ هذا الإنسان علوّ لا يمكن تصوّره، هو يُسمى بالممثل الأكثر إثارةً في أمريكا، - إذا، لم شخص بالغ مثل هذا النجاح يُعاني من عقدة النقص ويحصل على إصابات باستمرار؟

جميع الإصابات كانت كما لو تصرفه عن النجاح والتيسر. كان "باتريك سويزي" يُحاول تنفيذ جميع الحركات البهلوانية بنفسه رافضاً اللجوء إلى مُمثلين بُدلاء. هذا ليس منطقياً، لكنه كان يقوم على مستوى الوعي الباطن

بكل شيء للتسبب بأقصى ضرر لذاته. بشكل أساسي إصاباته مرتبطة بالأرجل أو الضلوع. الركب والضلوع السفلية مرتبطة بالأولاد، باستمرار النسل. بواسطة الإصابات الركب المستمرة كان المصير يُلْمَح له إلى مشكلة كبيرة مع الأُنجال.

في لحظة ما يتغلب "باتريك سويزي" على الإدمان على الكحول، يتصالح مع زوجته، يبدأ بلعب أدوار في الأفلام بشكل ناشط. تستوي حياته، لكن تأتي مُصيبة أخرى: يُكتشف لديه سرطان البانكرياس. مرض البانكرياس – هو موضوع الغيرة، لكننا نتكلم عن التكبر. لِمَ أصابه هذا المرض تحديداً؟ عدد كبير من الرجال في سلالته كان لا يصل إلى عمر الأربعين. الرجل ذو التكبر المفرط يهلك بنفسه، أما التكبر المفرط لدى المرأة فيؤدي إلى انقطاع النسل. التكبر لدى المرأة يضر الأُنجال، التكبر لدى الرجل يضر الرجل نفسه.

الحياة مُكوّنة من ناحيتين – الهدف والعملية. الإنسان المؤمن يدرك أن أي هدف موضوع في الحياة هو مجرد حُلقة ولا يمكن للهدف أن يكون أساسياً. الأهم في الحياة هو عملية الإدراك، النمو، التطور، تغيير النفس الخاصة. أما أي هدف فهو أحد الوسائل لفتح النفس الخاصة. الاسترشاد بالمنطق يقول أن الأهم هو الهدف، أما العملية فهي وسيلة لبلوغ الهدف. لكن، في الواقع، الأهم هي عملية تغيير الإنسان، أما الهدف – فهو وسيلة من أجل تغيير الإنسان. على هذا الشكل تبدو الديالكتيكية: على المستوى الخارجي الأهم هو الهدف، أما على المستوى الداخلي فالأهم هي العملية.

إن كان الإنسان يتجه نحو الهدف بتعصب، فما إن يبلغ هذا الهدف حتى يفعل لديه برنامج التدمير الذاتي. حين تستوي حياة "باتريك سويزي" يثور برنامج التدمير الذاتي. بهدف إنقاذ أُنجاله لا يسمح له مصيره بلوغ الأهداف التي وضعها لنفسه.

لكن لِمَ مسموح لشخص بلوغ كل ما هو يريده، أما لآخر – فغير مسموح؟ في عائلة "سويزي" كان الجميع يسترشد بالمبدأ الحياتي: "كل شيء – أو لا شيء". كان "سويزي" يحب أن يُعيد: "نحن" "السويزي" لا نفعل شيئاً جزئياً. دليل التكبر هو التطرف. كما هو معلوم، يتجلى الشيطان في التطرف، أما الله – ففي الوسطية الذهبية. إنسان التطرف يختار شيئاً واحداً ويخدم ذلك بتعصب. بالنسبة للإنسان ذو التكبر المفرط الأهم هو الذكاء، الأهداف، الخطط، أي الوعي.

يُقَال في الفيلم أَنَّ الممبِّلَ كَانَ يُدْخَلُ ثَلَاثَ عُلْبَ سَجَائِرٍ يَوْمِيَا. التَّكَبُّرُ هُوَ تَرْكِيزُ زَانَدٍ عَلَى الْوَعْيِ. تَسْمَحُ السَّجَائِرُ بِكِبْحِ الْوَعْيِ. مِنْ نَاحِيَةِ، السَّجَائِرُ هِيَ مُنَشِّطَاتُ (doping)، وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، هِيَ كِبْحٌ لِلْوَعْيِ الْوَاقِعِ فِي حَالَةِ هِيْجَانٍ مُفْرَطٍ. الْإِنْسَانُ ذُو التَّكَبُّرِ الْمَفْرَطِ يَمِيلُ دَائِمًا لِإِدْمَانٍ مَا، - قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ لَعِبِ الْوَرَقِ، الْكَحُولِ، الْجِنْسِ، الطَّعَامِ وَإِلَى آخِرِهِ.

يَحْصُلُ هِيْجَانُ الْوَعْيِ الْمَفْرَطُ بِسَبَبِ صِرَاعِ الْإِنْسَانِ الْدَاخِلِيِّ مَعَ مَصِيرِهِ. يُؤْدِي هَذَا الصِّرَاعُ إِلَى فَقْدَانِ الطَّاقَةِ الرَّفِيعَةِ، الْأَمْرُ الَّذِي يُؤْدِي إِلَى عَدَمِ الرَّاحَةِ الْدَاخِلِيَةِ وَنَقْصٍ فِي إِحْسَاسِ السَّعَادَةِ. حِينَ يَقُولُ الْإِنْسَانُ: "أَنَا أُرِيدُ بَلُوغَ الْهَدَفِ مَهْمَا كَلَّفَ الْأَمْرَ"، فَإِنَّ ذَلِكَ سَيُؤْدِي حَتْمًا إِلَى مَشَاكِلَ كَبِيرَةٍ. فَقْدَانُ الطَّاقَةِ الرَّفِيعَةِ يَتَجَلَّى عَلَى شَكْلِ مَشَاكِلَ مَعَ الْأَنْجَالِ، إَصَابَاتٍ، شُعُورٍ مَأْسَاةٍ دَاخِلِيٍّ، اِكْتِنَابٍ، إِحْبَاطٍ.

بَطْلُ الْفِيلْمِ الْأَسَاسِيِّ يَرْفُضُ تَقَبُّلَ مَصِيرِهِ، فَيَبْدَأُ صِرَاعًا دَاخِلِيًّا مَحْمُومًا. كَلِمَاتُهُ نَمُوذَجِيَّةٌ لِلْغَايَةِ: "اَعْتَدْتُ الذَّهَابَ حَتَّى النِّهَايَةِ"، "الْإِنْتِصَارُ أَوْ الْمَوْتُ"، "كُلُّ شَيْءٍ - أَوْ لَا شَيْءٍ". لَا حَدِيثَ عَنِ الْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ. فِي حِينَ أَنَّ صِرَاعَ الْإِنْسَانِ مَعَ مَصِيرِهِ هُوَ صِرَاعٌ مَعَ اللَّهِ فِي نِهَآيَةِ الْمَطَافِ.

لِدَعْمِ الْجَسَدِ الْفِيزِيَائِيِّ يَجِبُ أَنْ تُصَرَّفَ نِسْبَةٌ قَلِيلَةٌ مِنْ طَاقَةِ الْإِنْسَانِ الْحَيَوِيَّةِ. تَيَّارُ الطَّاقَةِ الْأَسَاسِيِّ يُصَرَّفُ عَلَى الْجَسَدِ الرُّوحِيِّ الْمُرْبُوطِ بِالْمُسْتَقْبَلِ. يَجْذِبُ الْوَعْيُ الْبَاطِنُ الْمَرَضَ بِشَكْلِ حَدْسِيٍّ بِهَدَفِ إِنْقَازِ الْحَيَاةِ وَإِقْيَافِ صَرَفِ الطَّاقَةِ الْخَاطِئِ. بِمَرَضِهِ يَتَوَقَّفُ الْإِنْسَانُ عَنِ مُصَارَعَةِ الْمَصِيرِ، فَيَبْدَأُ شِفَاءَ النَّفْسِ.

بِالنِّسْبَةِ لِلْعَقْلِ الْهَدَفُ هُوَ الْأَهَمُّ، أَمَا بِالنِّسْبَةِ لِلنَّفْسِ فَالْعَمَلِيَّةُ هِيَ الْأَهَمُّ. بِهَدَفِ التَّغَلُّبِ عَلَى التَّكَبُّرِ يَجِبُ وَضْعُ النَّفْسِ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ. هَدَفُ النَّفْسِ وَاحِدٌ - الْوَحْدَةُ مَعَ الْعَالَمِيِّ، أَمَا كُلُّ مَا تَبْقَى فَهُوَ وَسِيلَةٌ.

مَا هُوَ الْمَصِيرُ؟ نَحْنُ لَدَيْنَا جَسَدٌ، رُوحٌ وَنَفْسٌ. "الْأَنَا" الْمُرْتَبِطَةُ بِالنَّفْسِ مُتَعَدِّدَةُ الطَّبَقَاتِ. "الْأَنَا" الظَّاهِرِيَّةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالْجَسَدِ الْفِيزِيَائِيِّ وَالْوَعْيِ. "الْأَنَا" الْعَالِيَا مُتَّصِلَةٌ بِالْبُنْيَةِ الْحَقْلِيَّةِ، الْمُسْتَوِيَّاتِ الرَّفِيعَةِ وَالْمُسْتَقْبَلِ. "الْأَنَا" الْعَالِيَا تَعْلَمُ الْمُسْتَقْبَلَ، قَدَّرَهَا، - يُمْكِنُ تَسْمِيَةَ ذَلِكَ بِالْمَصِيرِ.

لِنَفْتَرِضَ أَنَّهُ مُقَدَّرٌ عَلَى الْإِنْسَانِ الْإِنْتِقَالُ مِنَ النِّقْطَةِ "أ" إِلَى النِّقْطَةِ "ب". طَوْعًا أَوْ قَسْرًا، إِلَّا أَنَّهُ سَيَصِلُ بِكُلِّ الْأَحْوَالِ إِلَى حَيْثُ مُقَدَّرٌ لَهُ أَنْ يَصِلَ. الْإِنْسَانُ حُرٌّ أَنْ يَخْتَارَ الذَّهَابَ إِلَى هُنَاكَ عِبْرَ طُرُقِ السَّعَادَةِ أَوْ طُرُقِ الْمَأْسَاةِ.

في حالة الشخص الداخلية مُشَفَّرَة حياة الإنسان، وإن تغيَّرت الشخصية بعمق فحينها من الممكن أن يتغيَّر المصير كذلك.

لنفترض أنَّه مُقدَّرٌ للإنسان امتلاك عائلة وأبناء، لكن بسلوكه، أفعاله هو يُدَمِّرُ مستقبله هذا. بهدف أن يتمكَّن الأبناء من الولادة والعيش لا بُدَّ من وجود طاقة، لكن الإنسان الذي "اعتاد الذهاب حتى النهاية" يصرف احتياطي طاقة المستقبل كُلَّه المُخصَّص للأبناء على بلوغ أهدافه. هو يُمنَحُ مُساعدةً لإنقاذ مصيره، - تبدو هذه المساعدة على شكل متاعب، مشاكل، أمراض.

الإنسان الذي يعيش حسب مبدأ "إما كلُّ شيء أو لا شيء" يتصدَّر الآخرين غالبا ويَحَقِّقُ في الحياة الكثير. لكن في اللحظة المَارَقِيَّة بعلاقته الخاطئة بالموقف هو يُفقد ذاته وأبناءه الطاقة. سيُحكِّم على سلالته بالانقراض بسبب شخص واحد قام بـ "امتصاص طاقة" الجميع قليلا إذ أراد بلوغ هدف مهما كلف الأمر.

نسي "باتريك سويزي" أنَّ الإرادة الإلهية أُولِيَّة. كان عاجزا عن سماع صوت النفس. الوعي، المجدُّ، السمعة، المال كانوا في المقام الأول بالنسبة له. كان "يشدُّ اللحاف" على ذاته، وسحب الطاقة كُلَّها من المستقبل إلى يوم الحاضر لأن الطاقة ضرورية لحلِّ المسائل الهامة.

بطل الفيلم حصل على لقب أكثر رجال أمريكا إثارة. ما الذي نسميه بـ "المثير جنسياً"؟ إن نظرنا في الأمر بشكل سطحي، فإنَّ الإثارة الجنسية هي جاذبية ظاهرة. لكن في الواقع الإثارة الجنسية هي طاقة من المستوى الرفيع. يمكن ملاحظتها من خلال لمعان العينين، مرونة الحركات. بهدف استمرار النسل ضرورةً طاقة المستوى الرفيع هذه تحديدا. لذلك في عالم الحيوان لا تختار الأنثى الذكر الجميل ظاهرا ذو الطبع السيء، إنما تُفَضِّلُ الذكرَ الفَرَّحَ والنشط.

الإطراء الأهم في الولايات المتحدة: "كم أنت مُثير! كم أنت مُثيرة!". بالترجمة إلى لغة الطاقة الحيوية هذا يعني: رغم الأعمال والانشغالات اليومية تبقى لدى الشخص طاقة تتَّجَّه لتأمين غريزة حفظ الذات وغريزة استمرار النسل.

شخص يُنَقِّدُ العمل بصعوبة ويشعُرُ نفسه مُتعبا، فاقدا للطاقة. الثاني يُنَقِّدُ العمل بهدوء وتكفيه القوى لذلك. أما الثالث فيُنَقِّدُ هذا العمل بسهولة وفرح. إنَّ فائض الطاقة يتجلى على شكل شعورٍ بالسعادة، الفرح، كشعور طيران.

سُمِّيَ بطل الفيلم الأساسي بأكثر رجال أمريكا إثارةً، - إذا طاقته الحيوية كانت مُرتفعةً. ينشأ لدى الإنسان الذي يتمتّع بطاقة مرتفعة شعور قوّة، إثارة جنسية، نجاح. لكن إن كان الإيمان بالله ناقصاً، حينها يزداد صرف الطاقة على الغرائز، فتحصل عملية عكسية - تبدأ الطاقة بالتناقص.

يسهل كثيرا الاعتماد على الطاقة المرتفعة. يُرَكِّز الإنسان عليها، ينسى أمر الإرادة الإلهية، فيبدأ الانحلال بشكل غير ملحوظ. يريد الإنسان القيام بشيء، إلا أنه لا ينجح في ذلك. في شبابه كان ينجح في كلّ شيء، إنما لاحقاً يبدأ كلّ شيء بالانهيار، ولا يفهم الإنسان سبب ما يحصل.

تشتدّ عقدة النقص لدى "باتريك سويزي" مع ازدياد النجاح والثروة. كلما كان التكبر أعلى، اشتدّ خوف فقدان خسارة كلّ شيء. بدايةً يتجلى التكبر على شكل شعور تفوّقٍ واحتقار، ثم يحصل فقدان للطاقة ويُفَعَّل برنامج التدمير الذاتي.

تَسْجَلُ لدى البطل الأساسي نزعة تكبرٍ مخلوطة بنزعة الشيطنة. يمنحه المصير إنذارات مستمرة. كلُّه المحبوب مات من السرطان، أخّته أنهت حياتها بالانتحار. في الجبل كلّهُ يلاحظ سوء الحظ، علماً بأنه مُرتَبَطُ بالبطل الأساسي. قبل إصابته بالورم السرطاني يبعثُ إليه المصير بإنذار جدي خطير - هو يَفْقُدُ وعيه خلال قيادة الطائرة.

الإنسان المُتناغم يشعر بالمأساة قادراً على التوقف في الوقت المناسب. "باتريك سويزي" اعتاد الذهاب حتى النهاية"، هو يبدأ بسحبٍ وصرف طاقة المستقبل. تكون الجهود المُفرطة مُفيدة أحياناً، لكن إن هي حصلت باستمرار، فلحظة الجهود المُفرطة تحديداً يبدأ الإنسان بإفقاد مستقبله ومستقبل أبنائه الطاقة.

شعرت زوجته بأنه لا يحتاجها، فتركته. لم تبقى لديه طاقة للتواصل معها؛ كانت الطاقة كلّها مصروفةً على تصوير الأفلام والكحول. كلما اشتدّ تركيزه على أفلامه، النجاح، اشتدّت وتيرة تعاضم تكبره. لم يولد الأبناء لأن الطاقة لم تكفي البطل للعائلة والأُنجال.

ما هو التكبر وما هي الغيرة؟ الإنسان ذو التكبر المُفرط أكثر من يُحِبُّه هو نفسه ناسياً الله، أما الإنسان الغيور فأكثر من يُحِبُّه هو الآخر وكذلك ناسياً الله. هما وجهان لعملة واحدة: ما إن يظهر التكبر حتى تظهر الغيرة معه كذلك.

كلما كان نجاح وشهرة "باتريك سويزي" أوسع، ارتفع مستوى تكبره وغيرته. غيرته تجلّت على شكل تعلّق قوي جدا بزوجته، كعدم قدرة على تقبّل موت الناس المقربين. مع مرور السنوات كان يشتدّ تعلّقه بأقاربه. شعور الخوف هو دليل تعلّق الإنسان بالعالم. الإنسان المتكبر وشديد التعلّق يخشى خسارة الناس المقربين، عاجز عن تقبّل موتهم. ينشأ الخوف حين يعجز الإنسان عن تقبّل الموت والخسارة كمنوحين من الله.

في الماضي أعطيت امرأة استشارة. خلال حملها ماتت قريبتها. لم تتمكّن المرأة من تقبّل ذلك فأنجبت طفلاً مريضاً. عدم تقبّل موت قريب – هو عدم تقبّل الإرادة الإلهية. الإنسان الغيور هو الذي يعارض الإرادة الإلهية. هو عاجز عن تقبّل الفراق، الخيانة، موت الأقارب.

الإنسان الذي يصبح شخصيّة تزداد شهرتها مُجبّر العمل على طبعه. منحنّا المسيح خوارزمية تغيير الطبع. هي القدرة على العيش بالنفس، الجلم، القدرة على تقبّل المصير الخاص، القدرة على الموافقة على الحل الوسط. لا يجري الحديث بتاتا عن الخمول والامتناع عن الأهداف الخاصة. كان المسيح يتكلّم عن أنّ الإيمان قادرٌ على إزاحة الجبل من مكانه. لكن مع إدراك قوة الإرادة البشرية يجب فهم أنّ الإرادة الإلهية أوليّة رغم كل شيء.

بطل الفيلم الأساسي غير قادر على التوقّف ويتّجه نحو الهدف حتى النهاية. "باتريك سويزي" سَحَق مستقبل أبنائه ومستقبله. التكبر يتحوّل إلى غيره، ويبدأ سرطان البانكرياس. ما هي ردة فعل الإنسان المتكبر على تغيير مصيره؟ ردة فعله الأولى على المرض المميت – الغضب، الكذب، الحقد، الزعل، اليأس. الإنسان المتكبر عاجز عن تقبّل الإخفاق وقبول المصير.

المرض هو تغيير المصير، تغيير سيناريو الحياة. الإنسان الحليم يدرك أنّ المرض لم يظهر صدفةً، يجب تغيير شيء ما في أسلوب الحياة والطبع. أما الإنسان ذو التكبر الزائد فمتأكّد من أنه يتحكّم بمصيره بنفسه. حين تريد الخليّة التحكّم بالجسم، فذلك أسلوب تفكير الورم السرطاني. حين يريد الإنسان التحكّم بمصيره دون فهم أنه جزء من المصير، أنّ المصير يتحكّم به، فذلك ينتهي بشكل مؤسف.

"دلوني على مكان عدوي وسأقاتله"، - يقول البطل الأساسي. هو لا يفهم أنّ عدوّه الأساسي هو نفسه ورغبته في وضع إرادته في المقام الأول، أي الانتصار على المصير والله في نهاية المطاف. لكن يستحيل أن تتغلّب الخليّة على الجسم، لا يقوى الجزء التغلب على الكل. نحن موحّدون مع الكلّ ونحقّق

إرادتنا بهدف مماثلة الكلّ، لا بهدف مُصارعة الكلّ مُحاولين تدميره. هذا الفيلم إرشادٌ رائع عن كيفية ما لا يجب أن يكون عليه الإنسان. كان "باتريك سويزي" يحبّ تكرار: "عليّ إما أن أنتصر، أو أموت". بلغة الوعي الباطن هذا يعني أنّ الإنسان مستعدّ لسحب طاقة المستقبل كلّها من أنجاله، أقربائه، والبشرية كلّها بهدف بلوغ هدفه. وهو مستعدّ للموت إن لم يتمكن من الحصول على مُرادِه.

هذه ليست مأساة "باتريك سويزي" وحده، إنما مأساة هوليوود كلّها والولايات المتحدة عموماً. تقدّيس، تعبّد اليُسّر والنجاح في أمريكا قوي جداً. في هذه الناحية تتصدّر الولايات المتحدة العالم كلّها. لهذا السبب تحديداً حاصر في الولايات المتحدة الخوف من الإخفاق وأعظم إهانة هناك هي علامة "فاشل".

يُقال في الفيلم أنّ جميع نجوم هوليوود عملياً يشربون وتعالجوا من مستوصفات المدمنين على الكحول. يُغادر الحبّ نفس الإنسان المُزاحة أولويّاته. هو يبدأ بمناهضة المصير فيفقد قواه لأن مُصارعة المصير هي صراعٌ مع الله. تبدأ نفس إنسانٍ مماثلٍ بالمعاناة.

إن لم تكن النفس تحسّ بعواطف إيجابية، حينها يبدأ البحث عن الملذات الخارجية: مُخدرات، سجائر، كحول. قوانين هوليوود قاسية: بركضهم خلف الشهرة يصرفُ الناس طاقةً أكثر بكثير مما يحقّ لهم أن يصرفوا. يؤدي هذا إلى فقدان الداخلي للطاقة الذي يتجلى على شكل إحساس بالمأساة.

مثلاً، باستطاعة شخص القفز إلى ارتفاع مترين، هذا أقصى حدّ له. لكي يتمكن القفز إلى ارتفاع مترين ونصف من الضروري أن يتغيّر طبعه، أسلوب حياته، تغذيته ورؤيته الوجودية. إلا أنّ كثيرين يتناولون المنشطات بكل بساطة ويقفزون إلى ارتفاع مترين ونصف. إلا أنّه لا مفرّ من دفع ثمن هذا النجاح لاحقاً.

هناك منشط على شكل أدوية، كما أنّ هناك منشطاً على شكل رؤية وجودية يُظهرها "باتريك سويزي". هو يضبط مزاجه: "عليّ أن أكون الأول، أنا لا أستسلم أبداً". هذا هو المنشط تحديداً الممدّد على سنوات طويلة، وبفضل هذا المنشط هو حقّق نجاحاً. كان مصيره يُلْمَح له باستمرار أنّ من غير المسموح بلوغ الأمر المرغوب بهذه الطريقة، وفي النهاية بدأت لديه المشاكل.

أخُتُ "باتريك سوزي" كانت مُصابةً بمرض اضطراب العاطفة ثنائي القطب، أو الهوس الاكتئابي، كما كان يُقال في السابق. ما الذي يعنيه هذا المرض؟ حين يتوقَّف الإنسان عن الإيمان بالله في الداخل، هو يسترشِدُ بقواه وحدها. هو يقذف طاقة أكثر بكثير مما مسموح له. بدايةً يحصل انفجار من الطاقة، ينتاب الإنسانَ شعور بالطيران، يبدو له أنه قادر على "طوي الجبال"، لكن بعد ذلك يبدأ إحباطٌ، فيستلقي فاقدًا القوى، خاليًا تمامًا.

على خلاف "باتريك سوزي"، انخفاض الطاقة لدى أخته لم يؤدي إلى موتٍ خطير، إنما أدى إلى كآبة وعدم رغبة في العيش. إنه الرسم نفسه، إنما أقصر. ما خاصية الإنسان المُصاب بمرض اضطراب العاطفة ثنائي القطب؟ لا يُنتِجُ لديه السيراتونين – هورمون السعادة. المثير للاهتمام هو أنَّ السيراتونين لا يُنتِجُ في الدماغ، إنما ينتج في الأمعاء.

رغبة المرأة في أن تكون دائماً وأينما كان الأولى تجعلُ أنجالها غير قابلين للحياة. هي تنقل إليهم هذه النزعة – السعي لأن يكونوا أوائل دائماً، فسيقوم أبناؤها بهدر طاقتهم وطاقة أنجالهم إرضاءً لوعيمهم. لهذا السبب تُصابُ أخُتُ الممثل بمرض اضطراب العاطفة ثنائي القطب. على المستوى الخارجي هي تتزوج، تُنجبُ أطفالاً، لكنَّ سعيها الداخلي لأن تكون الأولى أينما كانت وفي كل شيء يؤدي إلى الصراع المستمر مع المصير. في حين أنَّ الصراع مع المصير يؤدي دائماً إلى التوتر الداخلي وانعدام العواطف الإيجابية في النفس. كان محتماً على هذه المرأة أن تمرض، أو تبدأ بالشرب، أو تبدأ بتناول المُخدرات. يظهر المرض كمُساعدة من الأعلى. الأطباء يعجزون عن مُساعدتها، لكن يجدون مُعالِجاً يُشفيها من الكآبة. هي تعود إلى الحالة الطبيعية، ويقرر الجميع أنَّ مرضها قد قُهر. لكن بكل بساطة وَجَدَ المُعالِجُ آخرَ الاحتياطاتِ الداخلية في وعيها الباطن. نزول الكآبة، تشعر نفسها بحالة ممتازة. يحصل قذفٌ آخرٌ لحصّة كبيرة من الطاقة، فيلي ذلك تفعيلٌ برنامج التدمير الذاتي كوسيلةٍ لإنقاذ الأبناء من الموت، فتُنتهي الأخُتُ حياتها بالانتحار.

قيل في الفيلم: "الشياطين تغلبوا عليها". مفهومٌ أنَّ الشياطين بحد ذاتهم غير موجودون، الشياطين هي نزعة في نفس الإنسان. إن كان الإنسان يقذف الطاقة في الاتجاه الخاطئ – أولاً بهدف بلوغ أهداف مثل المجد، الشهرة، المال، ولاحقاً فقط يوجهها لنفسه وحبِّ الله، تبدأ حينها المشاكل الخطيرة. على أنفسنا أن تسعى لله أولاً، ولاحقاً فقط – لليسر.

يوجد اليوم عددٌ هائل من الأمراض غير القابلة للشفاء - التوحّد، مثلاً. راقبتُ عدداً كبيراً من الحالات حين بعد قراءتهن لكتّبي كانت أمهات المُتوحدين تبدأ بالعمل على الذات، فتتحسّن حالة أولادهن. كان تشخيص "التوحّد" يُزال ويُوضع تشخيص "تأخّر في النمو". لكن فجأةً كان سلوك الأولاد يُصبح عدوانياً جداً.

يزداد اليوم عدد الأولاد المُصابين بالتوحّد، الشيزوفرينيا وأمراضٍ مماثلة أخرى. الطفل يقذف كما كبيراً من الطاقة خلال الخلاف لأنّ إرادته الشخصية بالنسبة له واقعة في المقام الأول. هو يُصرُّ على رأيه مهما كُلف الأمر، هو يريد "حرق الموقف بثقله"، الأمر الذي يُسبّب هدراً لكمّ هائل من الطاقة. في جوهر الأمر، هو يُحاول "حرق" الكون كله، إلا أنّ ذلك أمر غير ممكن. نتيجةً لذلك تُغلّق له من الأعلى إمكانية قذف كمّ هائل من الطاقة بهدف أن لا يُفقد النفس طاقتها.

يُحاول الأطباء تنشيط المُتوحّد، في حين أنّ من الضروري القيام بالعكس - يجب تعليمه كبح عواطفه. يقوم الأطباء بما يحميه منه المصير. إن هو تعلّم تقبّل الإرادة الله والشعور بثانويّة إرادته الخاصة، فإنّ وعيّه سيبدأ بالانفتاح.

لدى أخت "باتريك سويزي" كذلك كانت تُرصد نزعة داخلية لقذف أقصى كمّ من الطاقة حين كانت تتمنى أن تكون الأولى. يمكن حلّ هذه المشكلة بطريقة واحدة فقط - الاعتراف بإرادة الله أوّليةً بالنسبة للإرادة الخاصة.

كان المسيح يقول: "لا تجلسوا في المُقَدِّمة... اجلسوا في المكان الأخير...". الجلوس في المكان الأخير على المستوى الظاهري لا يعني بناتاً ضرورة التواجد في المرتبة الأخيرة دائماً. هذا يعني أنّ في المقام الأول يجب أن تقع النفس وليس الجسد. حينها لدى جريه خلف المال والمجد سيتمكّن الإنسان التوقّف في الوقت المناسب لتجنّب السبب بالضرر على النفس. أما في حال لم تكن النفس في المقام الأول، حينها لن يتمكّن الإنسان من التوقّف. هو لا يشعر بالخطر، فيبدأ بسحب الطاقة من أنجاليه.

التكبر هو طبعٌ ومبادئ مُعيّنة تُنقل عبر السلالة وتكون محور ارتكاز الرؤية الوجودية. هذه المبادئ هي عدم فهم أنّ إرادة الإنسان ثانوية، أما الإرادة الإلهية فأوّلية. "الأنّا" العليا خاصتنا تتواصل معنا من خلال نفسنا؛ مصالح النفس والأخلاقيات أهم من مصالح المال والنفس دائماً.

كان عيسى المسيح يدعو للبحث على ملكوت الله أولاً. بدايةً يجب الاهتمام بالنفس، ولاحقاً فقط الاهتمام بكل ما تبقى. اليوم يجمعُ الإنسان الثروات الدنيوية، يحصل على المجد، يُسر وإلى آخره، لكن غداً سيُسلبُ هذا كله. في الكتاب المُقدَّس مذكور هذا بوضوح.

حصل "باتريك سويزي" على المجد، الثروة، الاحترام، لُقِبَ أكثر الرجال إثارة، - وفي نهاية المطاف خسر كل شيء. وهو لم يفهم مع ذلك أسباب مرضه. استمرَّ "باتريك سويزي" بمُصارعة مصيره ولم يفهم أنَّه كان عليه أن يتغيَّر، يُصبح أكثر لينا، يشغُرُ بثانويَّته. الإرادة البشرية ضئيلة أمام إرادة العليِّ، إلا أنَّ الناس يعجزون حتى الآن إدراك ذلك.

الحضارة الغربية تموت بسبب تركيزها على النجاح واليسر. يعمل الناس ويصرفون طاقةً أكثر بكثير مما هو ضروري. حين يفرغ الإنسان من الطاقة، حينها تبدأ الغيرة بموازنة التكبر. يستحيل الكذب على الطبيعة، يحصل كل شيء بشكل شرعي. تتضرَّرُ النفس لحظةً يصيحُ التعطُّشُ للذة أعلى من حبِّ الخالق. إن كان الإنسان عاجزاً عن الاعتراف بأولويَّة إرادة الخالق، فإنَّ جميع كلماته عن حبِّ الله ستكون شهادة زور. حبُّ الله يفترضُ الاهتمام بالنفس وتغيير الطبع نحو الأفضل. أما إن كان الإنسان يُصلي، يتوب، لكن مع ذلك لا يتغيَّر طبعه، فلا مفرَّ من تعاظم التكبر، ثم الغيرة.

سدوم وعموره ليستا مُجرَّدَ مرضٍ وفُسق. في البداية ظهر التكبر، فوجَّهت الطاقة كلها لبلوغ اليسر والنجاح. حين فقدَ هذا المستوى طاقته حصلَ انتقال إلى مستوى أدنى منه. ينتقلُ الإنسان من مستوى الروح إلى مستوى الجسد، وفي هذه المرحلة يبدأ تقديس الجنس واللذة، وتنتهي هذه العملية بانتهاء تام. يُقالُ في الفيلم: "أن تكون "سويزي" - نعمةٌ ولعنة". كانت سلالة "سويزي" مستعدَّةً لصرف جميع القوى لبلوغ أهدافها. إن كانت مؤونة الشتاء معدومة، فيمكن في هذه الحال عيش الصيف والخريف، لكن من المستبعد اجتياز الشتاء. من هذه الناحية سيرة "باتريك سويزي" نموذجيَّة للغاية. هو تجسيد للحضارة الغربية المُعاصرة التي مُثِّلَوها مستعدون لسحق أنفسهم، مُستقبلهم، أنجالهم من أجل النجاح الآني، اليسر، المال. حضارة اليوم تحيا باليوم الحاضر. لقد فقدت التفكير الاستراتيجي الذي يستحيل حضوره دون الإيمان بالله والأخلاقيات.

أسئلة عن الخطيئة الأساسية

المخرج من مصيدة الفأر

مرحباً، سيرغيي نيكولايفتش!

دائماً كنتُ أريد العيش بشكل صحيح والتحكّم بكل شيء. الحب، بحسب تصوّري، غير خاضع للتحكم، - لذلك قلتُ لنفسِي أني لا أحتاجه. أنا أعيش حياةً مُشبّعة، لكنني أمضي جزءها الأكبر في الاهتمامات غير المُجديّة. قبل سنة ونصف تزوّجتُ لمصلحة لكي أهرب من أهلي وأتمكن التحكم بحياتي بنفسِي.

كان يستحيل أن يجري الحديث عن حبّ، - أنا غير قادرة على الحبّ أساساً. في علاقتي مع الرجال هذا الشعور مُطوّقٌ تماماً، حتى أني لم أقع في الحب يوماً. لا أتعاطى مع الصداقة بين الصبايا بجدية.

بعد نصف سنة من الزواج دخلتُ علاقتي طريقاً مسدوداً. كنتُ أدركُ أني أريد ترك زوجي، لكن كان يبدو لي أنّ هذا تصوّفٌ غير صحيح من وجهة نظر المجتمع. حينها بدأتُ أصلي والدموع تَعزّورقُ في عينيّ أتوسّلُ الله ليشير لي إلى الطريق الصحيح. وأشار - وَقَعْتُ من على الحصان وكسرتُ يدي. حين كنتُ في المستشفى زارني زوجي مرّتين فقط. بعد ذلك اختفى مدة شهرين إلى حين اتصلتُ به وأعلنت له عن الطلاق.

أدركتُ أنّ موقفِي الحياتي خاطئ في الجوهر، وبدأتُ أحاول العيش بطريقة مُختلفة. انتقلتُ إلى موسكو حيث أرسل لي الله مُعلماً نصحني بقراءة كُتُبك.

لكن المأساة كانت تكمن في أنّي أقرأها كالأدب، دماغي يُعارضُ بفعالية أي محاولة تحليل ما هو مكتوب في كُتُبك. الآن أنا واقفة في مكاني مُدركةٌ تماماً أني أهلك ذاتي ونفسي. أجهل كيفية الاستمرار في العيش وما علي فعله مع ذاتي، كيف علي أن أتقبّل ذاتي كما أنا وأحبّها.

طوال حياتي كنتُ واثقة من ذاتي، أقتحم وأعتبر أني لا أخشى شيئاً. الآن أنا أدركُ أني مجرّد جبانة وأجهل كيفية التعامل مع هذا الأمر. أتمنى كثيراً أن أصبح إنساناً قلبياً يعلم ما يُريد ولما يسعى، إنسانٌ يعيش بالمشاعر، لا

بالعواطف. أشعر وكأنني حاضرة بين السماء والأرض. يستحيل علي العيش كما في السابق، لكنني أخشى العيش بطريقة أخرى...

لقد توجَّهت لله وطلبت المساعدة. أتتكَ المساعدة على شكل إصابة في اليد: هذه الإصابة تكبِّح الوعي. التكبر مرتبط بالوعي، أما الأيدي فمرتبطة بالدماغ.

الشخص القريب لم يُبدي الاهتمام والعناية اللازمين – في ذلك إهانة لمفهوم العدالة، المصير اليسير، إهانة للنفس. لو شعرت في ذلك بالإرادة الإلهية لتمكَّنت من تقبُّل الوضع بحلم ودون حق. إلا أنك قمت بالطلاق، فلم تنجح المساعدة التي منحكِ إياها الله.

الرغبة في "العيش بشكل صحيح والتحكم بكل شيء" تعني أنَّ الإنسان يعتبر ذاته وعيا. أنت تُريدين أن يكون كل شيء لديك واضحا وصحيحا. إلا أنَّ المشاعر تتغيَّر فهي تصدر عن العليِّ. نحن نجهل ما سيحصل غدا، وإنَّ مشاعرنا تتكيَّف مع العالم باستمرار.

المشاعر تُعلِّمنا بمعلومات جديدة خاصة بالمستقبل. المشاعر هي تحديدًا ما يُساعدنا في التغيُّر باستمرار. وعينا ينقل المعلومات، إلا أنه ثابت. يُحفظ فيه تصوُّر واضح ومستقر عن العالم، تصوُّر يتغيَّر ببطء.

حين ندرُك المشاعر بعقلنا، حينها تبدو لنا المشاعر – الشك، القلق الخفيف، الإعجاب وإلى آخره – ضئيلة الشأن وغير قابلة للسيطرة أحيانا. إلا أنَّ المشاعر هي التي تحوي جميع المعلومات تحديدا، وليس الوعي هو الذي يحويها. مشاعرنا تحوي كمًّا هائلا من المعلومات. وعينا الباطن يعلم كلَّ شيء، محفوظة فيه المعلومات الخاصة بالماضي والمستقبل الحضارة كلها والكون كُلُّه.

أفكارنا هي نتيجة تلك التجربة الحياتية وتلك المعلومات التي نحصل عليها من الكتب والناس الآخرين، وهذا الكمُّ من المعارف ضئيلٌ بشكل خرافي مقارنةً بما تحتويه مشاعرنا.

حين نضع الجسد والعقل في المقام الأول، فذلك يعني أننا نسعى للتحكُّم والرقابة المُطلَقين، نريد أن يكون كلُّ شيء صحيحا وخاليا من الأخطاء. نحن نضع "الأنا" البشرية في المقام الأول ناسين الله. هكذا يبدأ النمو المستمر للتكبر.

الإنسان الذي يحيا بوعيه عاجزٌ عن التأقلم مع العالم. هو يتوقَّف عن العيش بشكل صحيح ويقترِفُ الأخطاء. أما ذاك الذي يحيا بمشاعره، ورغم غرابة الأمر، يتكيَّف مع الحياة بشكل أفضل بكثير ويملك فرصا أكبر للبقاء على قيد الحياة.

أنتِ تكتُبِينَ: "أنا لا أقدر على الحب بكل بساطة". بهدف الحب يجب الامتناع عن الوعي. توجد تعابير: "الحب حتى الجنون"، "الحب بجنون". هذا يعني أنَّ الإنسان يُحبُّ حقيقةً، مُوقفا نشاطاً أفكاره. تتوقَّف الفكرة عن أن تكون الأولى، ذات أهمية كُبرى، ومفاهيم كالطمع، المنطق، العدالة، التحكُّم تخنفي. تخرج المشاعر إلى الصدارة.

الحب لا يُجبرنا على التخلي عن المال، الصحة وحتى الحياة فحسب، إنما هو يدعونا للامتناع عن الوعي كذلك. إلا أنَّ الوعي مع شعور العدالة والخطط يكون غالبا أهم بالنسبة للإنسان من الحياة.

الإنسان الذي يشعر في ذاته بالإلهي قادر الاتكال على الحب، العيش بالشعور ونسيان أمر الوعي والتحكُّم لفترة مُعيَّنة. قال عيسى المسيح: "طوبى للفقراء بالروح، فلهم ملكوت السماوات". الفقراء بالروح — هم من يحيون بالحب وليس بالوعي.

حين تقع المرأة في الحب هي تُوقِف عمل الوعي، تختفي "الأنا" البشرية خاصتها بهدف أن تتفتَّح "الأنا" الإلهية فيها. عليها تقبلُ إهانة رغباتها، مفاهيمها الخاصة باليسر، الشرف، المبادئ. هذا اختبار: ما الأهم — الحب أو كلُّ ما تبقى؟ إن كانت المبادئ، الطموحات، العدالة، الرغبات، الجمال، التعلُّم هي الأهم بالنسبة لها، حينها هي ستقتلُ الحب ولن تُنجِب أطفالا سليمين. إجراء التطهير الطبيعي لدى التلامس مع الحب ضروريُّ.

تذكروا ما قال المسيح عن ملكوت الله: حين ستحين ملكوت الله سيهلكُ البعض وينجوا آخرون. سيهلكُ هؤلاء الذين "الأنا" البشرية خاصتهم (ego)، العدالة، الطموحات، المال يقعون في المقام الأول بالنسبة لهم.

أنتِ تكتُبِينَ أنَّ علاقاتكِ بالنساء لا تتجح كذلك. للتواصل مع ممثلات جنسكِ عليكِ الشعور بالمساوات والوحدة معهن. إلا أنَّ المُتَكَبِّر يعجز عن الشعور بالوحدة والمساواة. فهو إما يتعبَّد أحدا، أو يُهين أحدا. في هذه الشروط العلاقات الطبيعية غير ممكنة.

وعيكِ يُقاوم ويُعيِّقُكِ في الشعور بالمعلومات المعروضة في الكُتُب، لذلك أنتِ تقرأيها وكأنها أدب. بهدف فهم كُتبي يجب بدرجة مُعيَّنة قطع ذاك

الطريق الذي أنا قطعته. يجب عيش المُعاناة، الظلم، تعلُّم الحفاظ على الحب حين ينهار ما هو بشري، والشعورُ في الداخل بأنَّ هذا كله يعمل لخير نفسنا. في هذا تحديدا يكمن خلاص "الأنا" الإلهية خاصتنا.

على الناس الذين يقرؤون كُتبي أن يتغيروا ويتنحوا عن الوعي. كلما كانت "أنا" الإنسان البشرية أكبر وكلما كان تكبره أعظم، ازدادت عليه صعوبة قراءة كُتبي. الوعي يُقاوم، هو لا يريد التراجع إلى المقام الثاني.

للتغلب على هذا الارتباط يجب التنحي عن الوعي والشعور بـ "الأنا" الغلبا. هذا يحصل عادة عندما يكون الإنسان مُصابا بمرضٍ خطير أو حين يكون على فراش الموت. حينها هو يفهم قدر وهمية "الأنا" البشرية، ويشعرُ بـ "الأنا" الإلهية. في هذا الوقت تُطهرُ نفس الإنسان.

في البهاغافاد غيتا مكتوب أنَّ في حال كان الإنسان يفكر بالله ويصلي قبل موته، تُغفرُ له جميع الذنوب. لحظة الموت يحصل اعتزال كل ما هو دنيوي. طاقة الإنسان كلها وجميع أفكاره يُوجَّهون إلى الوحدة مع الله بدل أن يُوجَّهوا إلى الخوف من الموت والندم على الخسائر. هذا هو تحديدا التغلب على الخطئية.

سابقا كنت مُقاتلةً وشجاعةً، أما الآن فُتسمينَ ذاتك بالجبانة. التكبرُ هو تقديسٌ للطاقة المُرتفعة. حين يتَّجه الإنسان لله هو يفتحُ له نفسه. تُشبعُ النفس بالحب والطاقة، يبدأ الإنسان بالنمو؛ يكفيه هذا الاحتياطي مُدةً طويلة. ناسيا بأمر الله يبدأ الإنسان برؤية "الأنا" البشرية خاصته وحدها، لا يرى غير نفسه. هو يصبحُ غليظا، أنانيا، بخيلا، حسودا، لكنه يفلت بأفعاله لأنَّ احتياطيَّ الحب لا يكون قد انتهى بعد. حين ينضب احتياطيَّ الحب الداخلي، حينها تضعف الوحدة مع الخالق، فيُصبحُ الإنسان جبانا وخائنا. هو يشعر ذاته عديم النفع، ضعيفا ويعجز عن فهم ما أصابه.

إن كانت "الأنا" البشرية بالنسبة للإنسان في المقام الأول، فهو يشعر بالخوف حتما. "الأنا" البشرية لا تحيا طويلا. "الأنا" البشرية ذات قابلية ضعيفة للحياة، ضعيفة جدا، تحوي كمَّا قليل من الطاقة. لذلك حين يشتدُّ الارتباط بالجسد والعقل، يشتدُّ الخوف كذلك.

إن كانت النفس بالنسبة للإنسان في المقام الأول، حينها بإمكانه أن يكون واثقا، شجاعا، مُقاتلا. يعود سبب ثقته وقوته إلى مستوى طاقته المرتفع. طاقة إنسانٍ مماثلٍ مُوجهة لتغيير العالم دون الانتقاص من مصالح الناس

الآخرين. لكن إن كانت "الأنا" البشرية لدى الإنسان المُقَاتِلِ والنشيط في المقام الأول، فهو يبدأ بسحق وتدمير الآخرين.

مفيدٌ للإنسان المُتَكَبِّرُ أن يعيش مثلَ الأُمَيَّا. يُفَضَّلُ أن يُكَثِّرَ من العمل الفيزيائي، يَقَلُّ التفكير، تَقَلُّ التخطيط، يَقَلُّ التركيز على النجاح والطموح. مُفيدٌ له أن يعيش بمشاعره، وإنَّ إيقاف الوعي بشكل دوري يُسَاهِمُ في ذلك. أولاً يجب تعلُّم الحفاظ على الحب حين يُعَالِجُك المصير. تعلِّمي الشعور بالإرادة الإلهية في كلِّ شيء. كلُّ ما يُصِيبُكَ مُرْسَلٌ من عند الله لصالحك. إن زاركِ التوفيق فذلك يعني أَنَّكَ عَرِضَتْ لِإِغْرَاءٍ عليك تخطيه. وإن زاركِ عدم التوفيق، فهو تجربَتٌ يجب التغلُّبُ عليها كذلك.

عليك أن تقدري التنحي عن السعادة وعن المأساة والحفاظ على شعور حضور الإرادة الإلهية. صلاة "أبانا الذي في السماوات" تُساعد في الحفاظ على الحب والتنحي عن التعلُّق بالجسد، الروح والنفس. تبدأ هذه الصلاة من التَقَبُّلِ الكُلِّي والمُطلَق للإرادة الإلهية: "لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ...". الاسم هو وظيفة مُشَفَّرَةٌ. نحن نتعبَّدُ الخالق ونتقبَّلُ كلَّ ما يقوم به، نتقبَّلُ ملكوت الله.

مملكة أحد ما - هي منطقة حيث يخضع كلُّ شيء لتعليمات الحاكم. في ملكوت الله يتقبَّلُ الناس تماماً الإرادة الإلهية مُدركين أنها ذات الأهمية العُظمى. التَقَبُّلُ الداخلي المُطلَق للإرادة الإلهية هو الوحدة مع الله تحديداً حين يشعر الإنسان نفسه ابن الله.

ثم في صلاة "أبانا الذي في السماوات" يُقالُ عن أُنَّا نسعى لإرضاء حاجات الجسد، الروح والنفس، لكن الله وحده يحدِّدُ إن كُنَّا سننجح في سعيِنا أم لا. بقدر ما نتقبَّلُ الإرادة الإلهية، نحن لا نَقْلُقُ على يوم غد. نزول إدانة الناس، يزول خوفُ فُقدانِ القِيَمِ الروحية. يمكننا التغلُّبُ على الشبَق، الامتناع عن اللذة من أجل حُبِّ الله. تنتهي الصلاة مثلما تبدأ، - بالتَقَبُّلِ التام للإرادة الإلهية.

يُمكن مغزى صلاة "أبانا الذي في السماوات" في أنَّ الإرادة الإلهية هي جوهرنا. جميعنا أبناء الخالق، نفوسنا خُلِقَتْ فيه وخُرِجَتْ منه. رغبة الخالق هي رغبَتُنَا كذلك.

بقدر ما نتقبَّلُ الإرادة الإلهية، نحن ننجح في التغلُّب على التكبر وشعور ذاتنا وحده تامة مع الخالق. بقدر ما نشعر بالسعادة من العناية بنفسنا، نُصْبِحُ أقرب إلى الله.

عدم تقبُّل الإرادة الإلهية، الندم على الماضي، الخوف من المستقبل، الاستياء من الحاضر، الناس المحيطين والعالم، عدم القدرة على الشعور بالخالق في كلِّ إنسان – ذلك كله أوجه التكبر. في البداية يجب تعلم الحفاظ على الحب، ثم تعزيزه ومضاعفته. يتضاعف الحب حين نعتني، نُضحي ونجعل الناس الذين يُحيطون بنا سعداء. ينمو الحب لدى كبح الرغبات الحيوانية والغرائز على مستوى الجسد، الروح والنفس.

التقنيات المُختلفة – الخلوة، السكوت، الصوم، الصلاة، ضبط الشهوة الجنسية، التنحي عن جميع المشاريع والآمال – ضرورية لنا جميعاً بشكل دوري إذ تُساعد على كبح "الأنا" البشرية. تعلِّمي إخماد الأفكار، التحرُّر من التحكم بالموقف والعيش بالشعور.

نحن نفكرُ بالمشاعر والصور. التفكير – هو عمليةٌ سطحية، نسخٌ لِم نشعر به. بعد الموت يتوقَّف الدماغ عن العمل لكنَّ الإنسان يستمرُّ في التفكير، الرؤية التحليل. تحصل لدينا بالتوازي عمليتان فكريَّتان: على مستوى النفس وعلى مستوى العقل. التفكير الحقيقي – هو التفكير بواسطة النفس.

"الأنا" الإلهية تعمل بمبدأ "أنا أريد"، وليس حسب مبدأ "يجب – لا يجب" أو "مُربح – غير مُربح". العيش بالشعور يعني الاسترشاد بالنفس أولاً. المشاعر تنتسبُ إلى النفس، أما الفكرُ فينتسبُ إلى الجسد. مشاعرُ الإنسان مُوجَّهةٌ لمصالح النفس، الأفكار مُوجَّهةٌ لمصالح الجسد. اضبطي ذاتك على الإلهي، صلِّ وحاولي قطع الأفكار. عيشي بمشاعرك حسب مبدأ "أنا أريد". كما قال القديس أغسطينوس: "أحبَّ الله وقم بكل ما تُريد".

في البداية سيصعب الأمر، لكن لاحقاً ستندھشين حين ستفهمين أنَّ من الممكن العيش دون أفكار في الرأس، أنَّ المشاعر أكثر حكمةً من الأفكار بكثير. سعداءُ الفقراء بالروح، أي هؤلاء الذين يعيشون مُهتدين بالمشاعر وليس بالأفكار. جربي، وستحقِّقين نجاحات مُعيَّنة.

أنا أفهم أنَّ عليَّ العيش، لكني لا أريد العيش. الرئيس يكرهُني. أعجزُ عن التفاهم مع أمي. أبي كان مُصاباً بالصرع وكان مُدمناً على الكحول. علاقتي بالرجل لا تنجح منذ أربع سنوات. هو مُصابٌ بالسرطان، يُعاني من مشاكل نفسية. لا أريد أبداً تكوين عائلة وإنجاب الأطفال.

أدرس في المعهد غصبا عني؛ ربما عبثا دخلت المعهد قبل أربع سنوات. بيدولي وكأن الحياة واقفة مكانها، كأن أحدا سرقها مني. أعجز عن الشفاء من العدوى التي أصابت الجهاز البولي التناسلي قبل ثلاث سنوات. يجب تصحيح كل شيء، لكن لا حول لي ولا قوة. ليس من الأفضل أن أقتل نفسي رميا بالرصاص؟

على الإنسان الذي يُريد أن يُغيّر مصيره أن يُغيّر ذاته وطبعه. لا جدوى من مصارعة المصير. مصيرنا يعكس حالتنا الداخلية، عواطفنا فائقة العمق. إن كان الإنسان يُحاول السير عكس المصير فقد تزداد مشاكله ويُصاب بأمراض مُستعصية.

نحن نهدر كمية هائلة من الطاقة على مُصارعة المصير حين نُحاول تغيير الوضع على المستوى الخارجي دون تغيير شيء في الداخل. تغيير المصير الخاص نحو الأفضل دون تغيير الطبع في ذات الوقت هو مُحاولَةٌ مُواجهَة الإرادة الإلهية، الكذب على الله. مُصارعة المصير تؤدي إلى تعاضم التكبر. أحد الأنخاب المُفضلة لدى قطاع الطُرق هو: "لنسرب نخب أن يتوفّر لدينا كل شيء ولا نُعاقب على شيء!". يريد الإنسان الحصول على نعم دنيوية مُختلفة لكن مع ذلك لا يريد التضحية خارجا ولا داخلا.

يمكن أن تكون التضحية الداخلية الصفح عن من أساء إليك. صفحك يعني أنك تقبلت الإرادة الإلهية. التضحية وتقبل الإرادة الإلهية يعنيان عدم المُعانة بسبب ما حصل، عدم الشعور بالاستياء والاحتقار تجاه الحاضر وعدم الخوف من المستقبل.

إن كان شيء ما في العالم لا يُعجبك، - قومي بتغييره. لكن من غير المسموح قتل العالم بعدم رضاك. تذكّري أن عدم الرضا عن العالم المحيط - هو عدم الرضا عن الله، هو صراع مع المصير.

تغيير المصير يحصل من خلال تغيير العلاقة الخاصة بالعالم، أولا يجب التوبة، تعلّم التعامل الصحيح مع الناس، التضحية، العناية، تعلّم الصدق، الشفقة، الشجاعة، الاستقلالية. كل إنسان قادر على تنمية هذه الصفات في ذاته.

إن كان الإنسان يصوم، يمتنع عن الطعام، يعتزل، يُساعد الآخرين دوريا، فذلك يُؤثّر إيجابا على نفسه. ليس عبثا أن عددا كبيرا من الأخصائيين يعتبر

أنَّ الامتناع عن الأكل يُشفي من جميع الأمراض عملياً. خلال الامتناع عن الطعام تبدأ بالفتح "الأنا" الحقيقية خاصتنا، تأتي الطاقة، فيشفى الجسد. يتعاطى الناس معنا بالطريقة التي نحن نتعاطى معهم في الداخل. إن كان يبدو للإنسان أنَّ رئيسه يكرهه، فذلك يعني أنَّ في داخله يستترُّ حقُّ تجاه الناس كذلك. الإنسان المُتكبر عاجزٌ عن الموافقة على الحل الوسط. قال المسيح: "طوبى لصانعي السلام". صانع السلام هو الشخص المستعدُّ للتنازل، التفاهم.

أمراض أبليكَ هي دليلُ تكبرٍ، مشاكل في النفس، رؤية وجودية مُشوَّهة. حين يبدأ الإنسان بمصارعة المصير والله يفارقه شعور السعادة الذي نحصل عليه من خلال الحب. يملأ الإنسان الفراغ الداخلي بالكحول، المُخدَّرات، والإفراط المُتنوِّع.

إن كان الإنسان يرفضُ تقبُّلَ الموقف واعتزال تعلُّقاته الخارجية والداخلية، حينها يُفعلُ لديه برنامج التدمير الذاتي. نتيجةً لذلك تظهر أمراض مستعصيةٌ مُختلفةٌ مثل السُكري، الصرع، السرطان، الشيزوفرينيا.

دخول الجامعة وتدهور العلاقة بالرجل تطابقاً في الوقت لأنَّ بسبب التركيز على الوعي واليسر اشتدَّ التكبر. الدراسة العليا – هي إحدى دلائل المصير اليسير. إن لم يكن الإنسان في حالة تناغم مع ذاته، فإنَّ الدراسة قد تُسبِّبُ خلافاً قوياً في التوازن النفسي.

أنَّ الدراسة تصعبُ عليك ليس أمراً مستغرباً. حين لا تكون الطاقة مُوجَّهةً للنفس، إنما تكون مُوجَّهةً للوعي والمواهب، - يشتدُّ التكبر. أليَّةُ حفظ الذات الباطنة تكبحُ نموَّ المواهب وتُعيقُ الدراسة الناجحة. في مثل هذه الحالات تنشأ لدى الإنسان عدم رغبة في الدراسة، تظهر مشاكل مختلفة: تضيقُ المُستندات، تنشأ صعوبات في الدراسة والتواصل مع الأشخاص ذوي المصالح المُشتركة. يبدأ الإنسان بالتعجُّب، ثم يبدأ بالكره والزعل. هو لا يشتبه بأنَّ المصير بمُساعدة الإخفاقات يُنقِذه مَرَوْضاً تكبره.

وعيناً يسعى لتحقيق الهدف ويردُّ لنا بالإحاح: "يجب". النفس والمشاعر يقولون: "أنا أريد". الأهم بالنسبة للنفس – العملية وليس الهدف. الهدف والعملية – كلاهما مُهمان، لكن النفس هي ذات الأهمية الكبرى، لذلك فإنَّ العملية أهم من الهدف. يمكن أن يكون أهم من العملية وحده الهدف الذي يتخطى حدود الحياة. هذا الهدف – حبُّ الله. أيُّ أهداف أخرى ضمن حدود الحياة ثانوية.

حين نتولّع في تعقّب أهداف ثانوية نحن نضع الوعي في المقام الأول. يشتدّ التكبر، تنشأ مشاكل في النفس، ثم في الأخلاقيات. حين تكون النفس في المقام الأول بالنسبة لنا حينها نتفكّر في كيفية بلوغ هدفنا. في هذه الحالة الهدف لا يبرّر الوسيلة.

إن كانت المرأة تُجيد الحبّ، الحلم، التنازل، الاعتناء، الفرح، إيجاد الحل الوسط، العيش بالمشاعر، فهي تحضّر في تناغم مع ذاتها. الحياة بالوفاق مع النفس الخاصة أهم بكثير من العائلة، اليسر، الثروة، السلطة، الصحة وأي أهداف ثانوية أخرى.

لِم لا تتجح العلاقة مع الرجال؟ في جميع العلاقات لا بُدّ من التضحية، إنفاق القوى والطاقة على العناية، الاهتمام، التواصل. من الضروري امتلاك احتياطي من الطاقة لتكوين العائلة والحفاظ عليها، لإنجاب وتربية الأطفال المستقبليين.

الإنسان المُتكبر قد يبدو نشيطاً من الخارج، لكن طاقته الأساسية، الرفيعة تكون ناقصة. هذه الطاقة تنضب حين يُصارع الإنسان الإرادة الإلهية ومصيره. الإنسان الذي لا يعيش بغير رغباته ويُرِيد الحصول على كلّ شيء وفورا يبدأ بمُصارعة مصيره ولا يَتَمَوّن بالطاقة من أجل تأمين المستقبل. امرأة مُماثلة ترفض تكوين عائلة وإنجاب أطفال. هي تريد الحصول على اللذة من التواصل مع الإنسان الحبيب، لكنها ترفض التضحية من أجل العائلة والأولاد. بدل أن تُوجّه طاقتها إلى الأولاد وتكوين الأسرة هي تُوجّه إلى الملذات الجسدية والروحية. على الطاقة الجنسية أن تُوجّه لتأمين الأولاد المستقبليين. حين تختلي المرأة بالرجل يكون سعيها الأساسي الباطن – تأمين الأبناء بالطاقة. إن كانت هي لا تُفكّر بشيء غير اللذة، فهي تسحب منهم الطاقة. العدوى في الجهاز البولي التناسلي التي يعجز الأطباء عن علاجها ضرورية لإنقاذ النفس.

جملة رسالتك الأخيرة تؤكدُ مُجدداً تشخيص "التكبر". الإنسان المُتكبر يُقاوم المصير، يعجز عن تقبّل إهانة "الأنا" خاصته (ego)، يعجز عن ترويضها، تقييد رغباته، يعجز عن تحويل الطاقة التكتيكية إلى استراتيجية. إنسان مُماثل يميل إلى الاستهلاكية، لذلك فإنّ المتاعب، الإهانات، تقييد رغباته – كارثة بالنسبة له. هو يُفصّل الموت على تقييد ذاته.

الإنسان الذي يشعر بالإرادة الإلهية التي تُقَيِّده اليوم بهدف أن يظهر لديه يُسرُّ غداً - يبقى على قيد الحياة. هو يكونُ عائلةً، يولد لديه أبناء، يكون لديه مستقبلٌ.

بعد أزمة سنة ٢٠٠٨ قام أحد أغنى ناس ألمانيا، أحد مالكي شركة "فولكسفاغن" بالشاركة برمي ذاته تحت القطار. سبب انتحاره كان هبوط سعر أسهم شركته. لاحقاً ارتفع سعر الأسهم، لكنه كان قد دُفِن. لم شخص ميسور وناجح بامتياز رمى بنفسه تحت القطار؟ كان يملك كل شيء، لم يتضاءل رخاؤه إلا قليلاً بسبب الأزمة.

كان لدى الشخص تصوُّرٌ مُعيَّن عن العالم بدأ بالانهيار. مع ذلك لا يهم كم بقي لديه من المال، - حتى لو كان ملياراً. هو انتحر إذ انهارت المنطقة الروحية التي هو يتحكَّم بها. هذا هو التكبر بذاته.

كلُّ أزمة، كلُّ تعيُّرٍ جذري - هما تحوُّلٌ جديدٌ في المصير. من الضروري تقبُّله كأمر واقع، كإشارة من المصير، والبدء بحياة جديدة. يمكن مقارنة ذلك برحلة: تصلُ إلى مكان جديد وتبدأ حياةً جديدة. أيُّ مرض خطير، مستعصي يعني مصيراً جديداً كذلك.

الطفل يُصبحُ شاباً أولاً، ثم إنساناً بالغاً. إنهم أناسٌ مُختلفون تماماً: جسدٌ آخر، عقليةٌ أخرى، طبعٌ آخر. فقط تجمُّعهم حالةٌ داخليةٌ تُسمِّيها "النفس". النفس أبدية، وكلُّ شيء آخر يتغيَّر. هذا التغيُّر هو ضمانته النمو. إن كان الطفل يرفض أن يكبر فهو سيبقى طفلاً، سيتوقَّف نمُّوه. إن كان الإنسان يريد العيش في صورة للعالم رسمها لنفسه، فإنَّ نمَّوه سيتوقَّف كذلك. حين ينتهي النمو تبدأ النفس بالموت، وحينها تأتي الإنسان المُساعدة كإنقاذٍ على شكل مأسى وأمراض.

علمتُ مؤخرًا بانتحار مُمثِّلٍ أمريكي مشهور. هو كان رمز الفرح، الطموح والإثارة الجنسية. الفرح هو السعادة بسبب أنَّك تنجح في كلِّ شيء. الطموح هو تركيز على غريزة حفظ الذات. الإثارة الجنسية هي تركيز على غريزة حفظ النسل.

هل بإمكان شخص ذو تكبرٍ مُفرط أن يكون فرحاً؟ نعم، بإمكانه، لكن إلى حين يجري كلُّ شيء حسب السيناريو الخاص به، إلى حين تتحقَّق رغباته ومشاريعه. هذا ما يحصل مع الناس الأذكياء، النشيطين والموهوبين. تدريجياً يعتاد الإنسان على نجاحه في كلِّ شيء، يعتاد على أنَّ إرادته ووعيه يمنحانه ما يتمناه. لكن فجأة يحصل خلل، تتدخَّل الإرادة الإلهية. إن لم يفهم

الإنسان أنَّ من الضروري تقبُّل الإرادة الإلهية، أنَّ مُستقبلاً مُختلفاً مُعدُّ له وأنه لن يحصل كل شيء في حياته حسب السيناريو الخاص به، فهو يبدأ بمصارعة المصير في داخله. الخوف من المستقبل، الاستياء، الحقد، عدم الرضا عن المصير الخاص - هذا هو الصراع مع المصير وعدم تقبُّل الإرادة الإلهية.

اكتشِف لدى هذا الممثل مرض الباركينسون، فبات عاجزاً عن العيش بالحياة السابقة. هو لم يتقبَّل سيناريو مصيره الجديد. هو فضَّل الموت على فقدان أسلوب حياته المعتاد، المُريح. هو رفضَ الحصول على مصير جديد، رفض التغيُّر ورفض أن يُصبح إنساناً آخر. عدم الرغبة في التغيُّر هي إحدى أهمِّ دلائل التكبر.

الصراع مع المصير يتجلى على شكل عدم رغبة في تقبُّل سيناريو الحياة الخاصة الجديد، يتجلى في الندم القوي على الماضي وعدم تقبُّل الحاضر. الندم على الماضي وعدم تقبُّل الحاضر هما عدائيتان مُوجَّهتان ضد الزمان، - أحد مقادير الكون الأساسية. في نهاية المطاف هما عدائيتان مُوجَّهتان ضد الله. عدد كبير من الناس لا يتقبَّل ما حصل ويصارعون المصير في داخلهم. هم يغضبون، يعبرون عن الاستياء بطرق مُختلفة. تُوجَّه طاقاتهم الداخلية إلى الصراع مع الله. بسبب انخفاض الطاقة الحاد هم يشعرون ذاتهم مُفرَّغين من القوى، يقعون في الاكتئاب والإحباط، يفقدون مغزى حياتهم وقد يُنهون حياتهم بالانتحار. الصراع مع المصير - هو الانتحار بحد ذاته.

يوما سعيدا، سيرغي نيكولايفتش المُحترَم!
أحمد الله على وجودك، على بُحوثك، على كُتُبك.
في النصف الأخير من السنة أعجزُ عن الخروج من الموقف التالي.
تعرَّضتُ لإصابة، رقدتُ في المستشفى. سرَّحتُ من العمل، فقدتُ الشقة التي كنتُ أَسْتَأْجِرُها. مُدَّة شهرين كنتُ أَسْتَعِيدُ حالتِي الطَبِيعِيَّة، ثم وجدتُ عملاً أخيراً. عملتُ شهراً، والآن أنا من دون عمل مُجدداً، أعجزُ الحصولَ على معاشي. عاودتُ الذهاب إلى المُقابلات، لكن دون جدوى.
أشعر بأنِّي قد تعبْتُ من السير في دائرة مُغلَقة، فقرَّرتُ التوجُّه إليك.
أرجوك، لا تترك رسالتي دون اهتمام. أَتوسَّلُك.

غالباً نحن ندرك مفهوم التكبر كتفوقٍ على الآخرين. لكن في الواقع هذا المفهوم أكثر شموليةً وعمقاً بكثير مما اعتدنا أن نَظُنَّ. في السابق كنْتُ أقول أنَّ التكبر هو تعلُّقُ بالمواهب، القُدْرات. حين يتمتَّع الإنسان بقُدْرات كبيرة، قد ينشأ لديه شعور تفوقٍ على الآخرين.

سأروي ثلاث قصصٍ عن طيارين ذوي مزايا مهنيَّة عالية. القصة الأولى. استقبلتُ في العيادة ذات مرَّة طياراً تمكَّن من البقاء حياً بعد حادثة من شبه المستحيل النجاة منها. خلال معرضٍ للطيران في فرنسا قف نفسه بالمقعد من الطائرة التي دخلت في حالة التدويم. كان يطير للأسفل بقوة فائقة التحميل تتخطى بعدة مرات ما يستطيع الإنسان تحمُّله. طرح عليَّ الطيار سؤالين: لِمَ هو بقي حياً ولم أصابه ذلك.

أجبتُه:

- أنت إنسان طيّب النفس، عدائيتُك الباطنة مُتدبَّية. لو كانت أعلى لوقعت بطريفة غير ناجحة وما كنت لتجلس الآن بجانبِي. العدائية تُؤلِّد الإحباط دائماً، أي برنامج التدمير الذاتي. طيبة نفسك أنقذت حياتك. لِمَ أصابك ذلك؟ كلُّ ما في الأمر هو أنَّ لديك تركيزاً كبيراً على القدرات. هذا يُسمى بالتكبر. سألتُه:

- هل تعرَّضت لإهانات وإحجاف من قِبَل القيادة؟

- نعم، - هرَّ برأسه الطيار. - زعلتُ وقَلَّقتُ.

- كلما ازدادت معاملة القيادة لك ظلماً، بات ذلك دواءً أفضل لعلاج تكبرك. ظاهراً عليك الدفاع عن حقوقك، لكن في الداخل عليك أن تفهم أنَّ ذلك تطهير لك. الإخفاق يُمنَح من الأعلى لكي لا تقع في التكبر وتفهم أنَّ الوعي لن يتحكَّم بالموقف بصورة كاملة أبداً. "الأنا" غير الكاملة خاصتنا تجهل الوضع بصورته الشاملة. هي لا ترى الماضي، الحاضر والمستقبل، أما نفسنا فتري. أزل زعلك كُلَّه من القيادة، أزل عدم الرضا عن الذات والمصير، تقبَّل إخفاقك كدواء. تقبَّل كلَّ إحجاف من ناحية المرأة كإنفاذ. حين يكون من المُفترَض أن يموت الرجل إنقاذه الوحيد يمكن أن تكون الخيانة، الغدر، الإهانة، الإحجاف من قِبَل المرأة.

بكل بساطة نحن لا نفهم قوانين المصير ولا نرى رحمة "الأنا" العليا خاصتنا التي تبدو على شكل عقابٍ غالباً. لدينا "أنا" بشرية مرتبطةً بالجسد

و"أنا" غلباً مُرتَبِطَةٌ بالبُنية الحقلية، أي النفس، الوعي الباطن. نحن نتحكَّم بالوضع من خلال وعينا الباطن الذي يعلم الماضي، الحاضر والمستقبل. إن بدأنا التعلُّق بهذا العالم كثيراً وامتلات أنفسنا بالعدائية فإنقاذاً للنفس علينا أن نُصاب بالمرض أو الموت. يُقال في البهاغافاد غيتا أن "الأنا" الغلبا قد تكون عطوفةً على "الأنا" البشرية، كما يمكن أن تكون صارمةً معها. "الأنا" الغلبا خاصتنا تُنقِذنا من الموت أو تمنحنا الموت إن كنا لا نسمعها.

القصة الثانية رواها أحد معارفي عن صديقه. في معرضٍ للطيران، لدى تنفيذهما حركات بهلوانية فقد الطياران التحكُّم بالطائرة فوقعت على المدرجات. مات عدد كبير من الناس. الطياران قذفا بنفسهما من الطائرة تلقائياً. لاحقاً قالوا: "لو كُنَّا نعلِّم ما سيحصل لبقينا في الطائرة". سُجِنَ الطياران.

قبل هذا الحادث بعدة أيام تُوفِّي أقربُ أقرباء أحد الطيارين. كان عليه التواجد في جنازة قريبه وعدم المشاركة في العرض. لكنه ذهب إلى معرض الطيران رغم أن المصير كان يُعطيهِ إشارات مُحاولاً حمايته. كان هذا الطيار يتمتع بقدرات مميزة واعتاد أن يكون الأول. عندما يتمتع الإنسان بقدرات مميزة هو يعتاد على أن يكون الأول. عادةً أن تكون الأول – أمرٌ مُخيف! تبينَت واقعة أخرى مُثيرة للاهتمام. قبل تنفيذ الحركات البهلوانية، خاصة في معرض الطيران، على طاقم الطائرة التحقق من الطائرة. كانت طائرتُهما بعد التصليح، كان مركز توازن الطائرة مُختلاً. جلس الطياران في طائرة دون التحقق منها، فحصلت كارثة نتيجة لذلك.

الإنسان المتكبر واثقٌ من أنه سيفلُح دائماً، من أنه سيتمكَّن من التغلب على أي موقف. هو يأخذ على عاتقه مسؤولية كبيرة وينسى بأمر مفهومٍ مثل المصير.

تحكُّم الوعي بالموقف ضئيل. إن كان الإنسان يتمتع بقدرات كبيرة، فإن إمكانيات التحكُّم تتضاعف كثيراً. لكن كلما كانت إمكانيات التحكُّم الخارجي أكبر، وجب أن يكون الإنسان أكثر تناغماً في الداخل ويزداد اهتمامه بالنفس. إن كُنَّا لا نهتمُّ بالنفس، حينها تبدأ "الأنا" الظاهرية (ego) بالتحكُّم بها. إلا أن النفس لا تعرف ذلك.

يمكننا تحديد مستوى تكبرنا بواسطة الأحداث التي تُصيبنا. في هذه القصة يظهر بوضوح كيف يؤدي التكبر المفرط إلى مواقف سخيفة تدفع بالإنسان

نحو المأساة. حُكِمَ عليه بالسجن، انهارت عائلته. دفعه المصير إلى اعتزال كل شيء، وبدأت لديه حياة جديدة.

القصة الثالثة. أقمتُ ندوة في مدينة فولغوغراد، وعُرضَ علي الذهاب لصيد السمك بالمروحية. جلسنا في المروحية، ورفعها الطيار في الهواء. قام بذلك ببراعة: طارت المروحية ومراوحها مُوجَّهةً إلى الأمام في حين أنَّ المسافة من شفرات المروحة حتى الأرض كانت لا تتعدى العشرين سنتيمتر. عندما ارتفعنا قرَّر الطيار إظهار موهبته مرَّةً أخرى. قذف المروحية للأسفل بحدَّةٍ، حتى الأرض عملياً، وطرنا فوق النهر على ارتفاع نصف متر عن سطحه بسرعة ثلاثمئة كيلومتر في الساعة. لم أكن أرى سوى الأشجار تمرُّ سريعاً من اليمين واليسار. أخيراً أقلعنا للأعلى دون أن نلمسها بأعجوبة. عندما كنا عائدتين من صيد السمك قلتُ:

- يا شباب، أوصِلوا للطيار أنَّ حقَّله في حالة سيئة. لديه تركيز قوي على القدرات، قد يؤدي ذلك إلى نتائج سلبية.

بعد سنة تقريباً أخبرتُ بأنَّ هذا الشخص تُوفي. كان يُنقِّد حركة بهلوانية مُعقَّدة دون ربط حزام الأمان، فقُذِفَ من المروحية. وقَّعت المروحية عليه. اعتاد الطيار على أن يكون الأول دائماً. عندما يريد الإنسان أن يكون الأول دائماً فذلك يعني أنَّ "الأنا" البشرية خاصته (ego) تريد أن تكون الأولى بالنسبة لله.

الإنسان - كائنٌ طاقي. حين نُحاولُ بوعينا قمع الوعي الباطن يحصل هيجانٌ وانخفاض الطاقة الرفيعة. تبدأ الطاقة الرفيعة بالانسحاب من المستقبل. يكون شعور الإنسان ممتازاً، إلا أنه يكون معدوم المستقبل. فتبدأ المشاكل لاحقاً.

قلتُ أكثر من مرة أنَّ المرأة الأرستقراطية لا تُحدِّدُ بما ترتديه، إنما بالطريقة التي يُعاملها الرجال. بالطريقة التي يُعامل المصيرُ الإنسانَ يمكن تحديد إن كان لديه تكبرٌ أم لا.

المُعاملة الظالمة من قبل الإدارة والإخفاقات - هي مُجَمَّلاً دليلُ تكبرٍ مرتفع. أو ذلك قد يعني أنَّ طبقةً من المشاكل قد طُفَّت من الوعي الباطن. قد تكون هذه الطبقة مُرتبطةً بالأبناء، بتطهير المستقبل.

أحد أهم دلائل التكبر لدى المرأة هو شعور التفوق على الرجل. إن أساء إليها الرجل عن غير حق فتشعرُ بتفوقٍ عليه وتُدينه، فإنَّ التكبر يشنّدُ بشكل هائل.

من الضروري تقبُّل الإهانة والإجحاف من الرجل والتوقُّف عن الشعور بالخوف والقلق بخصوص المصير الخاص. يقع في أساس التكبر التعلُّقُ بالدُّنيا، والتعلُّقُ يُولِّدُ الخوف. إن أزيل الزعلُ، الإدانة، الاكتئاب، الاستياء والندم من خلال التوبة فسيتحسَّنُ الشعور فوراً.

تسمح لنا التوبة بإزالة الزعل والإدانة، إلا أنها الخطوة الأولى فقط نحو تغيير الطبع. مرّت فترة تولَّعتُ فيها بالتوبة. كنتُ أقول أنَّ التوبة هي مجردُ خطوةٍ أولى نحو تغيير الطبع، لكني كنتُ عملياً أوجِّهُ الناس بشكل أساسي للتوبة: أعد النظر في الماضي، تُب، أزل التعلُّقات – وسيصبح كلُّ شيء على ما يُرام. أنا لم أشدِّد على ضرورة الاستمرار في التغيير العميق للطبع الخاص وأعتبر هذا خطأ كبيراً مني.

ما قام به أجدادك، ما قُمتَ به أنت نفسك في الحيات الماضية، - كلُّ هذا قابِعُ فيك ويتجلى كلَّ ثانية من خلال حديثك، علاقتك بالعالم وذاتك. راقبي طريقة كلامك، كيفية تواصلك مع الناس، - هذا دليل حالتك الداخلية. إن كانت المرأة ترتبُ كلامها بطريقة هجومية، عدوانية، مع رغبة في إثبات حقانيتها وتتواصل من خلال العتاب والتهامات، فذلك دليلُ تكبرٍ كبير. تستحيل تربية الإنسان بالعتاب والتهامات.

مؤخراً جرى حديث بيني وبين إحدى معارفي التي حطَّم زوجها السيارة وهو في حالة سُكر. عبثاً كانت تُصارغُ إيمان زوجها على الكحول، وهي نفسها قامت بعمليةٍ للغدة الدرقية.

قلتُ لها:

- غَدْتُكَ الدرقية مُصابةً بمشاكل، - هذا موضوع التكبر والتحكُّم. زوجك يُعاني من إرهاق عصبي، عليه التخلُّص من التوتر العصبي بطريقة ما: إما من خلال ممارسة الرياضة، اليوغا، الصلاة، تغيير ذاته، أو من خلال الكحول. الآن هو لا يستطيع أو لا يُريد تغيير طبعه، لذلك هو يشرب.

ليس صدفةً قولُ أنَّ الله في المُنتصف، أما الشيطان - ففي التطرُّف. التطرُّف هو تجلُّ للشيطنة لأنه يجرِّدنا من الحبِّ. الحبُّ هو دائماً دياكتيكيةٌ، تفاعلٌ أصليين. كلُّ شيء في الطبيعة دياكتيكيٌّ. حين تنقضي الديالكتيكية يبدأ الإنسان الوقوع في التطرُّف، فتزداد عدائيته.

- ما العمل إذا؟ - سألت إحدى معارفي.

- عليك قيادة العملية: اسمحي له بالشرب، لكن بمراقبة منك. يوم السبت جهزي المائدة بنفسك، ضعي قنينة. لا تخشي أن يثمل: من الأفضل ترؤس العملية من مُصارَعَتها.

على إحدى معارفي الاجتهاد للتغلب على التكبر. التكبر هو تقديس لـ "الأنا" الظاهرية، الوعي خسارة للوعي الباطن والنفس. بهدف التغلب على التكبر يجب كبُح "الأنا" الظاهرية (ego). هنا ينفع الامتناع عن الطعام، والصوم، وضبط الشهوة الجنسية، والاختلاء.

يجب التقليل من الكلام. الإنسان المُتكَبِّرُ يُحاول أن يكون المُحق، يسعى لأن تكون الكلمة الأخيرة له. الإنسان المُتكَبِّرُ يتكلم غالبا بطريقة اتهامية-عتابية. أحد أهم نواحي عدم الرضا عن الموقف، أي الصراع مع الله، هو الامتناع. هو عدم تقبل قوي جدا لما حصل. من يمتنع يُصارغ الله. هذا تجلٍ للتكبر.

إن كان شيء ما لا يُعجبكم، - كافحوه. غَيِّروا ذلك، لكن لا تمتعضوا. كلما كانت العاطفة أقوى، توغلت أعمق في الوعي الباطن. لا يعجبكم سلوك إنسان؟ ساعدوه، ربُّوه، امدحوه، عاقبوه، - لكن لا تُدينوه ولا تمتعضوا. يجعزُ كثيرون تصديق أن عدم القدرة على الرفض هي من دلائل التكبر. عدم القدرة على الرفض هي قمع للذات. الإنسان المُتكَبِّرُ يقمع أحدا ما دائما: إما الآخرين، أو نفسه. لكن لا يجوز قمع الذات، يجب حب الذات وتربيتها مثلما يجب حب وتربية الآخرين.

مع امتلاكنا تكبرا كبيرا في الداخل قد نكون لطيفين من الخارج، فلا نفهم أسباب مشاكلنا. لكن كل ما فعلناه وشعرنا به قبل حوالي ١٥ سنة يخرج الآن إلى السطح، فنحصل إما على مرض، أو إهانة.

أنظري كيف تصرفتي خلال السنوات الـ ٢٠ الماضية. إن كنت تُدينين وتحقرين والذِك، فذلك يتحوّل تلقائيا إلى إدانة واحتقار للأب، ثم الرئيس. وعينا الباطن يعمل في وضع عدم التوقف (non-stop mode)، لا يوجد هناك تاريخ انتهاء فيه.

انظري إلى طبع أهلك، - هذا طبعك في الحياة الماضية. انظري إلى كيفية تصرفك في هذه الحياة، ثم حاولي تغيير طبعك. لكن غيِّره لا بمجرّد تمتمة كلمات التوبة، إنما بتغيير علاقتك بذاتك، الناس، العمل وكل ما تبقى بشكل حقيقي.

زوجي الأول كان مُدمنًا على الكحول، الثاني - كذلك. أُمي مع العمر تولَّعت بالكحول.
 عملي الأول كان في قسم المُدمنين على المُخدرات. الآن أنا مُضطرَّة
 العمل مُجدداً مع المدمنين على الكحول. أعجز عن فهم سبب ارتباط حياتي
 بهم بإحكام. أتأمل الحصول على مساعدتك.

الإنسان الذي تصبح المُتعة مغزى حياته يتحوَّل إلى مُدمنٍ على الكحول.
 قبل عدة آلاف السنوات قيل في العهد القديم أنَّ الإنسان الذي يجري خلف
 المُتعة يُفَصِّرُ حياته ويُصابُ بالأمراض. تقديس المُتعة هو ابتعادٌ عن الحب؛
 المُتعة تنافسُ الحبَّ دائماً.
 يُقال في الكتاب المُقدَّس أنَّ من يتولَّع بالمأكولات الخُلوة يُفَسِّدُ صحَّته.
 مرَّت عدَّة آلاف السنوات إلا أننا لا نفهم ذلك حتى الآن. الشهوانية هي أساس
 تعلق النفس بالدنيا.

لم يشربُ بعض الناس طوال حياتهم لكن مع ذلك لا يُصبحون مُدمنين
 على الكحول؟ أما آخرون فيصبحون سكيرين بسرعة ويموتون بسبب إدمانهم
 على الكحول؟

أحدى أهم سمات الشخص المُدمن على الكحول هي القدرة على الشرب
 على انفراد. الهدف الأهم بالنسبة للمدمن على الكحول ليس التواصل ولا
 الاسترخاء، إنما الحصول على المتعة، أي التَّمَلُّ.

في القوقاز يشربون كثيراً، لكن لا وجود للإدمان على الكحول هناك عملياً.
 حاضرةٌ هناك حتى اليوم ثقافة التغذية وثقافة ضبط الشهوة الجنسية. تلعب
 الكحول هناك دور وسيلةٍ تُسهِّلُ التواصل بين الناس، والتَّمَلُّ ليس هدفاً أبداً.
 كيف تحوَّل الأم ابنها إلى مدمن على الكحول؟ الخيانات، التولُّع بالجنس
 والمشروبات الكحولية، ارتباط حالتها القوي بالرغبات والمُتعة - هذا كُلُّه
 يُكوِّن نزعةً لفقدان الحب إرضاءً للمُتعة. وهذا يشكل خطراً خاصةً قبل
 إخصاب الطفل أو خلال فترة الحمل.

أنت مُتزوَّجةٌ من مُدمن على الكحول وتعملين مع المُدمنين على الكحول،
 - هذا يعني أنَّ في وعيكِ الباطن هدفٌ حياتكِ الأساسي ليس الحبُّ، إنما

الْمُتَعَةُ. العالم الخارجي يُذَكِّرُكَ بذلك. كُلُّ مَا يُصَيِّنُنَا مِنَ الْخَارِجِ - انْعِكَاسٌ لِحَالَتِنَا الْدَاخِلِيَّةِ.

تَغْلِبُ عَلَى الشَّبَقِ. الصوم، الصلاة، الزُّهْد، التضحية، الاعتناء بالآخرين، القدرة على ضبط الشهوة الجنسية بشكل دوري - كُلُّ هَذَا سُبُغٌ لِحَالَتِنَا فِي الْعَمَلِ عَلَى ذَاتِنَا.

مِنْطَقَةُ اللَّهِ

عَمْرِي يَتَخَطَّى الثَّلَاثِينَ قَلِيلًا، لَسْتُ مُتَزَوِّجَةً، لَا أَوْلَادَ لَدَيَّ. لَدَيَّ رَجُلٌ أَحِبُّهُ، هُوَ الْأَوَّلُ لَدَيَّ. مِنْ خِلَالِهِ أَنَا مُنِحْتُ الْخِيَانَاتِ وَالْفِرَاقَ لَكِي أَتَّجِهَ لِلْحَبِّ وَاللَّهِ.

أَنَا مِنْذُ الطِّفْلِ غَيُورَةٌ وَمُتَكَبِّرَةٌ. لَدَيَّ عَمَلٌ، دَرَجَةٌ عِلْمِيَّةٌ، أَنَا جَمِيلَةٌ الْمَظْهَرِ، لَدَيَّ حَدْسٌ جَيِّدٌ. أحيانًا أَرَى أَحْلَامًا تُوْحِي لِي كَيْفِيَّةَ التَّصَرُّفِ، أحيانًا تَحْصُلُ لِي رُؤْيَا عَفْوِيَّةٌ.

أَنَا أَعْرِفُ أَغْلَبَ مَشَاكِلِي: تَقْدِيسُ الْعَوَاطِفِ الْعُلْيَا، الْإِنْسَانُ الْحَبِيبُ، عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى تَقَبُّلِ الْأَلَمِ النَّفْسِيِّ. وَعَيِّي نَامِي لِلْغَايَةِ وَمِنْ هُنَا أَتَى التَّعَلُّقُ، الْمِثَالِيَّةُ، التَّعَلُّقُ بِالْكَمَالِ وَالرَّغْبَاتِ. وَطَبِيعٌ صَعْبٌ-صَعْبٌ.

كَانَ يَوْجَدُ فِي سَلَالَتِنَا شَامَانٌ وَمُعَالِجُونَ شَعْبِيُونَ. أَحَاوَلْتُ التَّغَلُّبَ عَلَى نَزَعَاتِ سَلَالَتِي السَّلْبِيَّةِ الَّتِي أَعْرِفُهَا. لَا أَعَانِي مِنْ مَشَاكِلٍ صَحْبِيَّةٍ تَسْتَحِقُّ أَنْ تُذَكَّرَ، - لَدَيَّ قَصْرُ نَظَرٍ، كَلْبَتَايَ ضَعِيفَتَانِ، قَابِلِيَّةٌ لِلْإِصَابَةِ بِالسُّكْرِ.

لَكِنْ هُنَاكَ مَا أَعْجَزُ عَنْ فَهْمِهِ وَشَرْحِهِ. رَغْمَ مُحَاوَلَاتِي لِلتَّخْلُصِ مِنْ ذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ لَدَى صَلَاتِي فِي الْمَعَابِدِ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ. فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ بَدَأْتُ أَشْعُرُ بَعْدَانِيَّةً تُجَاهَ النِّسَاءِ لَا يُمَكِّنُ شَرْحَ سَبَبِهَا. فِكْرَةُ مُرْعَبَةٍ "أَقْتُلِي امْرَأَةً" تَطْرُقُ رَأْسِي خَاصَّةً حِينَ أَكُونُ مَعَ صَدِيقِي أَوْ أَخِي. هَذَا لَا يَحْصُلُ دَائِمًا، إِنَّمَا دُورِيًا. أَشْعُرُ نَفْسِي وَحْشًا. أَنَا أَعْمَلُ لَكِنِّي عَاجِزَةٌ حَتَّى الْآنَ عَنِ التَّغَلُّبِ عَلَى هَذَا الْمَشْكِ.

لَقْنَنِي، انْصَحْنِي.

في القرن التاسع عشر كان على الموضوعة استدعاء نفوس الأموات من عالم ما بعد الموت. التوَلَّعَ بمثل هذه الأمور كان يؤدي غالباً إلى الجنون. ما نحن نسّميه بعالم ما بعد الموت، - هو "المكان" حيث تعيش النفوس. الوعي الباطن هو بُنْيَةٌ حَقْلِيَّةٌ تَجْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ، ومن ضمن ما يجمّعه - عالم ما بعد الموت.

كُلُّ ما في الأمر هو أَنَّ الوعي الباطن يعلم كُلَّ شَيْءٍ عن المستقبل، عن المصير، عن الموت. عندما يُحاول الإنسان التسلُّل إلى الوعي الباطن، إلى عالم ما بعد الموت يشتدُّ تكبره بحدّة. رداً على ذلك تُعطيه "الأنا" الغليا الجنون. في العهد القديم مكتوب أَنَّهُ يجب حرق البصارات والمُنَجِّمين.

"الأنا" الظاهرية خاصتنا قادرة على النمو في الاتجاه الصحيح، الاسترشاد بالحبِّ والتغيير ذو التأثير المُفيد على الطبع. إن كانت نفس الإنسان تنمو، فهو يتقَرَّبُ من الله. مُستَقْبَلُهُ يُحدِّدُ بتغيُّراته. المُبَصِّرَةُ، المُنَجِّمُ قادِران على المساعدة في رؤية المخاطر في المستقبل وتحاشيها، إلا أَنَّ الطبع لا يتغيَّر مع ذلك. بهذه الطريقة يُحاولُ الجزءُ التحكُّمُ بالكلِّ.

مثلاً، مُقدِّرةُ الإنسان التجاربُ لكي تتَّجهَ نفسهُ لله، لكنه يتحاشى هذه التجارب. أو مُقدِّرٌ له أن يمرض لكي يُصبحَ أكثرَ طيِّبَةً ويتذكَّرَ النفس. تتبَّأوا له بأنّه قد يُصابُ بمشاكلَ صحيَّة، فينأى، لا يمرض ويفرح لذلك. إلا أَنَّهُ حين يُحاول الإنسان التحكُّمُ بالمستقبل دون تغيير طبعه، فإنَّ ذلك يزيد تكبره أضعافاً.

نُراقِبُ الصورةَ نفسَها لدى المُعالجين. المُعالج هو الشخص الذي يدخل في اتصالٍ مع البُنْيَاتِ الرفيعة. هو قادر على رؤية المستقبل، هو يتمتَّعُ بقدرات خارقة للطبيعية، لذلك هو قادر على علاج الأمراض. يريد المُعالج مُساعدة الإنسان الآخر على الشفاء. لكن الإنسان - نفسٌ أولاً. إلا أَنَّ المُعالج لا يُعالِجُ النفس، هو يسعى لمُساعدة الجسد. وكلما كان علاج الجسد أكثر نجاحاً، ازداد مشاكل النفس. المُعالِجُ يفتَحُ البُنْيَاتِ الرفيعة، يحسِّنُ مصير الإنسان على حساب النفس. فيبدأ التكبرُ بالاشتداد لأنَّ التكبر هو أُولَوِيَّةُ الجسد والروح أمام النفس. تُنْقَلُ هذه النزعة للأُنْجَالِ.

حُكْمًا لديك تكبرٌ هائل على مستوي الوعي الباطن، رغم أنك قد لا تشتهين بذلك. تُشيرُ إلى التكبر المُفْرط واقعةٌ وجود مُعالِجين وشامان في سلالتيك في الماضي.

أيّ تسلّلٍ إلى البنيات الرفيعة يفترضُ اعتزالاً تاماً عن "الأنا" الخاصة. في كتاب ي. بلافاتسكايا (E. Blavatskaya) "من كهوف وأدغال هندوستان" كان الراجا يوغ يملك إمكانية الدخول إلى المستويات العليا، كان قادراً على قراءة الأفكار عن بُعد، التنقّل في المكان. لكن بهدف أن يتمكن الإنسان من ممارسة ذلك يجب أن لا يمارس الجنس ولا مرة في حياته، لا يحقّ له امتلاك عائلة وأبناء.

الجنس، العائلة، الأبناء – هم ما يُعلّق الإنسان بالدنيا. إن كان الإنسان متعلقاً بالدنيا وب"الأنا" البشرية (ego)، حينها يتحوّل التلامس مع مستويات الوعي الباطن الرفيعة إلى موت له ولأبنائه. لذلك، مُجملاً، يُعاني أنجالُ المُعالجين من نحس. هذا ما تكتبين أنت عنه في رسالتك تحديداً.

من أين يظهر الحقد تجاه النساء؟ المرأة المتناغمة تحيا بالشعور، هي كائن لا يمكن التنبؤ به. التكبر مرتبطٌ بمنطق الوعي، بالرقابة والتحكم الخارجي. الإنسان المتكبر مُستعد لتدمير كلّ ما يخرج عن سيطرته. السعي للرقابة والتحكم من خلال "الأنا" الظاهرة لا يُسبب الحقد تجاه من كدّب أو تصرف بإجحاف فقط، إنما كذلك يُسبب العدائية تجاه كلّ ما لا يمكن التنبؤ به.

انعدام الأبناء مرتبطٌ بذلك البرنامج نفسه. الطفل يدفع للتضحية، يُهين التكبر و"الأنا" البشرية، هو يحتاج للطاقة، إلا أن الإنسان المتكبر لا يملك طاقة. بمُصارعتها "الأنا" العليا تفقد "الأنا" البشرية (ego) الطاقة وتفرغ منها تدريجياً.

في رسالتك مرسومة صورةً كلاسيكية لشخص لديه تكبرٌ داخلي مُفرط. أمامك الكثير من العمل.

في طفولتي المبكرة عُشتُ في منزل تُمارسُ فيه أختُ جدّتي السحر الأسود. لدي أختان وأخ، كُنّا نُجبرُ على حضور جلسات السحر. أذكر، ذات مرة وضعتي والدتي صديقتي في الدائرة، نظرت في عيني، ارتعبت ورحلت. إضافة لذلك، كان يُقام الإجهاض في هذا المنزل سراً. ثم وجدنا أنفسنا في ملجأ الأولاد لأنّ والدنا تركنا، أما أمي فدخلت مستشفى الأمراض العقلية.

الآن لدي عائلة خاصة بي. عمر ابنتي خمس سنوات وابني ثماني سنوات، هو مُتَوَجِّد. أحيانا أُلْطَمُ بهذا المنزل المُرعب، أنا أرى فيه الشيطان، هو يريد سلبني ابني! في هذه الأحلام تخرجُ من جسدي، من رأسي ومن فمي كائنات سوداء. بعد استيقاظي أنا أعجز عن نسيان ذلك عدة أيام، وأشعر بالخوف. تُلاحِقُنِي أفكار بأنَّ علي العودة إلى ذلك المنزل وتطهيره بطريقة ما.

هذا المنزل حاضرٌ في نفسك. بهدف تطهيره عليك إعادة النظر بعلاقتك بما حصل ويحصل في العالم. الشيطان هو صورة من الأساطير والأمثولات، هو لا يملك جسدا فيزيائيا، لا يملك قرونا وحوافر. الشيطنة هي نزعة النفس البشرية. حين ينسى الإنسان بأمر الله تبدأ بالاشتداد في نفسه نزعات الشيطنة. النواحي الظاهرة لهذا العالم، مثل الطاقة، الجمال، الموهبة، قادرون على حجب الحب وإبصار الإرادة الإلهية.

أتى عيسى المسيح إلى الأرض لتحقيق مُهمَّته الأساسية – إنقاذ البشرية. أتى لكي يشعر كلُّ إنسان بوحدته مع الخالق. إن توقَّفت الإنسان عن إدراك ذاته كجزء من الله، بدأ يُدرك ذاته كشيء مُنفصل عن الخالق، فهذا تحديدا هو سبب التكبر المستقبلي.

يوحنا المعمدان، ولاحقا المسيح كذلك قالوا أنَّ ليس ابراهيم أب الشعب اليهودي، إنما الله. على الناس الحفاظ على الوحدة العليا مع الخالق؛ الله أقرب إلى الإنسان من الأب والأم. حُبُّه أعظم من حبِّ الوالدين. من خلال الشعور بعناية الله بنا والوحدة معه نحن نُحبُّه أكثر من الأب والأم. حُبُّ الأهل لنا مؤقت حتى لو دام طوال الحياة. الحب الإلهي أبدي، غير خاضع لأي شيء ولا يرتبط بشيء.

حين يفهم الإنسان أنه إلهي في جوهره لكن غير كامل مع ذلك، حينها هو قادر على أن يتغيَّر ويتعلَّب على نزعة الشيطنة في ذاته. كلما كان الإنسان أكثر جمالا، ذكاءً ونجاحا، ازداد احتمال أن لا يرى غير ذاته ويتوقَّف عن ملاحظة الإرادة الإلهية.

بُفْقَادِهِ إدراك أنَّ الخالق ذو الأهمية الكبرى، أما الناس فثانويون، ينسى الإنسان بأمر الوصية الأولى. حُبُّ الله يعنى العناية بالنفس الخاصة الأبدية والأخلاقيات. أما إن كان الإنسان مُنشغلا بحالته المالية، المظهر الخارجي والصحة الجسدية فقط، فمحكوم عليه.

بهدف تحسين حالة الجسد يجب تحسين النفس أولاً، تغيير الطبع. أكثر ما يُعيق ذلك هو التكبر.

عُمري أكثر من أربعين بقليل. مُتزوَّج منذ أربعين عاما تقريبا. زوجتي مُستَبصرة، مُعالِجة، أكبر مني بكثير. هي تُصابُ بهيستيريا باستمرار. أنت تعلم كيف يبدو الإرهاق عند المُعالِجين... مؤخرا قَرَرْتُ هجرها للمرة التالية. ردا على ذلك ابتَرَرْتُ بالانتحار. حين تُبتَرز تشعر إما بالحق، أو الشفقة. أنا أنجح في الشفقة. أفكر، بما أنَّ الله لا يسمحُ لنا بالفراق فذلك يعني أنَّ الدروس المُهمَّة لم تُستوعب بعد. منذ عام تقريبا أحاول استيعاب ماهية حبِّ الذات. تنكَّشُ طبقات من عدم الرضا عن المصير. لدى أهلي البرنامج نفسه. إذا في الحيات الماضية، مثل أهلي، كنتُ أشعر باستياء كثير. شعرت أنه من الضروري القيام بشيء أكثر من تقبُّل المصير، فهذا المصطلح لا يعمل هنا. يجب حُبُّه، كما يُحبُّ الكائن الحي الصادر عن الله.

تقبُّل الوضع والصفح – هما الخطوة الأولى. بعد قراءة كُتبي قَرَّرَ كثيرون أنَّ الصفح وحده كاف. الصفح – هو الامتناع عن القتل على المستوى الرفيع. حين نصفح نحن نتوقَّف عن قتل الشخص بز علنا. بعد أن نتوقَّف عن قتل الآخرين علينا أن نُغيِّر أنفسنا ونُريِّ الآخرين. يجب تنمية الذات: افعلوا، غيِّروا الموقف، ساعدوا الآخرين، ساعدوا أنفسكم. لِمَ المُعالِجون الأقوياء يموتون باكرا ويُصابون بالسُّكري عامة؟ السُّكري هو تطويقٌ للغيرة، لكن في الوقت عينه هو نتيجة التكبر. يدخل المُعالِجون في اتصال بالبنيت الرفيعة حيث يمكن رؤية المرض. يصعُبُ كثيرا كبح رغبة شفاء الإنسان. لكن بمُساعدته للمريض يقترن المُعالِج مصير الإنسان الآخر، يُحاول التحكُّم بمصيره. هذه هي مُصارعة الإرادة الإلهية بحدة ذاتها. ينسى المُعالِج أنَّ الإرادة الإلهية أُوليَّة، أما البشرية – فثانوية. إن شعر المُعالِج ولو للحظة بأنه هو من يُعالِج الشخص، حينها هو يبدأ بمُصارعة الإرادة الإلهية حتما وسيُحمِلُ نفسه مشاكل المريض. يشنُّ تكبر المريض، يصبحُ عدائيا، فيسوء طبعه وتنشأ لديه مشاكل نفسية-عقلية.

على ما يبدو أنت أعطيت مثل هذه الزوجة لأنَّ تكبرك على متسوى الوعي الباطن مرتفع جدا. لا بدَّ أنَّ لديك نزعة التحكم بحياة الناس الآخرين ولديك عدم رضا قوي عن مصيرك. بقدر ما ستتغيَّر أنت، ستتغيَّر علاقتك بزوجتك ويتغيَّر طبعها. حين ستتغيَّر أنت، حينها إما هي ستتغيَّر أو ستفترقان.

هل يؤثر الوشم على طبع ومصر الإنسان؟ في شبابي رسمتُ وشما باللغة الخميرية: "لبيقى أعدائي على مسافة مني. إن اكتسبت ثروة لتبقى مُلكا لك إلى الأبد. ليكن جمالك كجمال "أيسارا" (بطلة ميثولوجيا خميرية تتمتع بجمال لا نظير له). أينما توجهت ليتبعك كثيرون وهم يخدمونك ويحمونك". حينها كنتُ حاضرة في حالة انحلال نفسي بطيء وأقوم بعدد كبير من الحماقات، لم أتعرف على كُتُبك بعد. خلال ثلاثين سنة تغيَّر كلُّ شيء. أنا أعمل على ذاتي وأود أن أعرف ما علي القيام بهذا الوشم. هل فيه إخلال؟ ما كيفية التوبة على ذلك؟ أو يجب التخلص منه؟

ما هو مرسوم على جسدك يُعزِّز أو لا يُعزِّز بحالتك الداخلية. إن كنت مُوافقة مع الوشم، حينها هو سيؤثِّر عليك. إن كنت لا تُوافقه، فإن تأثيره سيكون ضئيلا.

ما المغزى من وشمك؟ "لبيقى أعدائي على مسافة مني" - إنها محاولة للتحكم بالآخرين من خلال العنف الخارجي وليس من خلال التناغم الداخلي. هكذا يبدو الصراع مع المصير على المستوى الرفيع.

مثلا، لدى الشخص طبع صعب: هو عصبي، مُدين، مستاء، مُنتقم، - لكن صِحَّته جيدة. على المستوى الظاهري الطبع السيء لا يشكل خطورة. لكن حين تتوغل صفات الطبع نفسها إلى الداخل، حينها يبدأ هذا الإنسان بكره الله وليس الناس، يبدأ بالاستياء من الله وليس الناس، يشعر بعدم الرضا عن الله وليس المصير. ينتهي ذلك بتفعل برنامج التدمير الذاتي والأمراض.

حين يُحاول الإنسان التحكم بالمصير ومُصارَعته، فإن ذلك لا يُشكِّل خطرا على المستوى الخارجي. لكن حين تدخل هذه النزعة الوعي الباطن يحصل لدى الإنسان انهيار في المصير، تظهر أمراض مُستعصية.

"ليكن جمالك كجمال "أبسار"" . الجمال يعكس حالة الإنسان الداخلية. إن زالت الحالة الداخلية المناسبة، فعلى الجمال أن يزول كذلك. إن بقي الجمال لكن النفس تسود مع ذلك، - فذلك يعني أن الشكل يزدهر، لكن المضمون يموت. لثمت النفس، لكن ليبقى الجسد جميلا؟ هذا تجديف وكفر.

"أينما توجهت ليتبعك كثيرون وهم يخدمونك ويحمونك" - هذا كذلك تحكم بالناس وتحكم بالمصير. سيحميك الناس ويخدمونك إن كان في نفسك تناغم. إن كانت النفس تنهار، لكن الناس يستمرون بخدمك، فإن ذلك يُعزّز انهيار النفس.

هذا الوشم يسبب لدى الإنسان تركيزا داخليا على التحكم بالمصير ويدفعه لمصارعة الله في حال آمن هو به. سيشتد التكبر حتما. إنقاذ نفس إنسان مماثل سيأتي من خلال فقدان الجمال، الخيانة، الفقر والأمراض.

استمعتُ إلى عدد كبير من مُحاضراتك، رؤيتك الوجودية شبيهة برويتي الوجودية كثيرا. أنا أدركُ أنني أخلقُ عالمي بنفسي. جربتُ تقنيات كثيرة لتطهير بنياتي العقلية من التشوهات: تقنيات "كاستانيدا"، إعادة النظر في الحياة والصفح، التوصل مع الوعي الباطن على طريقة "سينيلنيكوف" وإلى آخره.

لكن بقيت كُتلة كبيرة في مركز الصدر تتجلى على شكل إزاحة الفقرات الصدرية وفقرات الرقبة من مكانها. على مستوى الحالة النفسية يتجلى ذلك على شكل قلق، تؤثر لدى التواصل مع الناس. هذا الأمر يُعيقني عن التحرك إلى الأمام.

سأكون شكورا لك كثيرا لو أشرت لي إلى سبب هذا التشوه وكيفية التعامل معه.

أوجه التكبر مُتنوّعة ومُتعدّدة الجوانب. أحد أشكال التكبر يبدو على الشكل التالي: لا وجود للمشاعر، توجد كلمات وأفكار فقط. استعمل الشخص تقنيات مُختلفة، تعلم عند أكثر من غورو. جرب كل شيء، لكن شيئا لم يساعده. ولن يساعده، لأنه لم تذكر كلمة واحدة عن النفس

في هذه الرسالة. وقوع النفس في الضعف استرضاءً لوعينا - هو التكبر بحد الذات.

الإنسان الذي يريد أن يكون مُحِقًا دائمًا ويُدافع عن ما يعتبره حقًا بضرارة غير قابل للعلاج. حين يشعر الإنسان نفسه مُحِقًا، حينها هو يُعْتَبَرُ أنه مالك الحقيقة، وإن كان هو يعلم الحقيقة فلا داعي لأن يتغيّر. المعارف تُغيّر الإنسان. من يشعر ذاته على حق لن يتغيّر أبدًا. هو لن يقوم بتحسين طبعه، تغيير علاقته بالحياة. عدم القدرة وعدم الرغبة في تغيير الذات هما دليلًا التكبر.

في الرسالة لا وجود لكلمة عن النفس، إنما توجد كلمات عن التقنيات. هذا أسلوب الطب الغربي: ابتلعت حبةً وشُفيت. أما في الطب الشرقي فتهم شخصية المُعالج وحالة المريض النفسية.

عليك القيام بخطوة صغيرة نحو تغيير الطبع. حينها ستنشأ في مشاعرك وكلامك صورٌ جديدة: "أنا أصبحت أكثر لطفًا"، "أنا أصبحت أكثر تسامحًا"، "توقفت عن العجلة"، "أنا لا أريد إدانة الناس"، "أريد مُساعدة الناس"، نشأت لدي رغبة في أن أكون صادقًا"، "نشأت لدي شعور ودّ تجاه الناس"، "أنا لا أريد أن أحب ذاتي فقط، إنما الآخرين كذلك"، "الدي شعور بأننا مُوحّدون"، "أصبحت أكثر طيبة"، "لقد ساعدت أحداً"، "امتنعت عن الطعام لعدة أيام"، "اعتزلت، فشعرت أن ثقلًا زال عن نفسي".

مراسلة القراء

مرحباً، سرغيي نيكولايفتش.

قررت أن أكتب عما يحصل معي. قد يكون ذلك عبرةً للآخرين. مؤخراً كنت أقوم بالتشخيص على طريقتك. إن كان يُسمَح لي ذلك من الأعلى، كان ينجح كل شيء بسهولة. في هذه المرة لم يكن هناك منَع. طلبت مني امرأة أن أخبرها بما سيُصيّبها. توقفت رجلٌ عن مُراسلتها، فبدأت تُعاني من ألم نفسي هائل. قُمتُ بالتشخيص وأعطيتها النصائح. بعد الجلسة أُصيبَ بآلم جسدي في القلب. ظننتُ بأنها مشاكل القلبية، أنه التعلّق الذي يجري في السلالة. في الصفوف الابتدائية اكتشفت لدي علّة

قلبية، ثم بدأت ممارسة الرياضة، فزال كل شيء. أُصِيبَ أبي ثلاث مرات بانسداد الأوعية الإكليلية في القلب، أخي تُوفِّيَ بعد أول سكتة قلبية. مساءً صليْتُ وتوقَّفتُ عن الشعور بالألم. لكن البارحة اتصلتُ ابنتي وقالت أنْ بيغاءها مات. اليوم تشاجرت معي زوجتي. لم أدخل في صدام معها، فقط قمت بالعمل على ذاتي، ومساءً لائت زوجتي. أود أن أستشيرك: ما الذي عليَّ فعله؟ هل عليَّ التوقُّف عن القيام بالتشخيص؟ انصحنى رجاء.

أنت قرَّرت القيام بالتشخيص على طريقتي. لكن كل ما في الأمر هو أنْ لدى القيام بذلك يحصل اقتحامٌ للوعي الباطن، في حين أنْ لدى توغُّل "الأنا" البشرية خاصتنا (ego) في المستويات الرفيعة يشتدُّ التكبرُ بحدّة. بإمكانهم إيقافك من الأعلى فوراً أو هم قد يلمِّحون لك بدايةً بأنَّك ستُصابُ بمتاعب. بما أنَّ القلب مُرتبطٌ بموضوع العلاقات، بموضوع التعلُّق، فيُلمِّحُ لك أنْ في حال استمرَّيت القيام بالتشخيص قد يتوقَّف قلبك.

بعد قيامك بالتشخيص أنت أعطيت المرأة نصائح. لكن في حال سبَّب الحبيب الزعل، ففي هذه الحال يجب أن تكون النصيحة بديهية: تقبَّلي، سامحي، اتصلي. يجب تعلُّم العيش بالشعور، يجب أن تُصيحي مُحبَّةً وتعتني أكثر، عليك أن لا تضعي العدالة أعلى من أي شيء. أصيحي أكثر طيبةً، وسيعود إليك الرجل.

التشخيص بواسطة المَعْلَمَات هو أحد مراحل تطوُّري المُبَكِّرة. الآن أنا أنظر بشكل أبسط: هل سلوكك مُعيَّنٌ مُضِرٌّ بالنفس أو مُفيد، هل هو يُعزِّزُ التعلُّق بـ "الأنا" البشرية (ego) أم لا. أنا استبدلتُ حساب مَعْلَمَات التعلُّق بواسطة الوحدات بمفاهيم مثل الأخلاقيات، تغيير الطبع، القدرة على الحب، العناية، الاعتزال.

أظنُّ أنْ مُحاولاتك في نسخ تجربتي قد تُشكِّلُ خطراً كبيراً. التعلُّق بالعالم والناس قد يؤذي القلب، علماً بأنَّ التشخيص يقوي التعلُّق. يجب مُساعدة الناس في أن يُصبحوا أكثر طيبةً، أخلاقيةً ولينا، لا في إزالة التعلُّقات. لو كنتُ مكانك لتوقَّفتُ عن التشخيص.

مرحباً، سيرغيي نيكولايفتش.

توقفت عن ممارسة تشخيص الناس، أعمل على طبعي. توقفت البحث عن المُذنبين، تبرير ذاتي، الحق و في المواقف المُسيبة للتوتر بدأ الخوف يتضاءل. لكن الحق يُقال، نادرا ما أخرج إلى الشارع. كُبح وعي. توقفت عن استبصار الناس، أفتحص ذاتي أحيانا. أنا قادر على التحكم برغباتي. إن شعرت بالحب فإن رغباتي تتحقق. إن شعرت بالاستياء، فأنا أمتنع عن رغبتني.

أشاهد ندواتك، وبالتوازي أعمل على ما يطفو. تذكّرت فترة ذهابي إلى روضة الأطفال. وقعت رأسي للأسفل من نافذة منزلنا. يتبين أن من حياتي الماضية الثانية عانيت من مشاكل في رأسي ومشاكل مع الوعي. ومن حياتي الماضية الثالثة أعاني من مشكلة تقديس الملذات الدنيوية. عملت على ذلك، فبدأ الدفء يشدّ لدي تذكّري أحداث حياتي. لا خوف من المستقبل، في الحاضر أنا هادئ. سلّمتُ أمري للمشاكل الصحية. لا أعلم كيفية الاستمرار. انصحتني رجاء. حسب تشخيصي تغيّراتي لا تتخطى مستوى النفس الثاني. إن كان الأمر كذلك، فما السبب؟

لا داعي لتطهير النفس، - النفس تتطهّر من تلقاء نفسها إن كان سلوك الإنسان صحيحا. أدرك كثيرون مصطلحاتي بشكل حرفي فتولّعوا بالتطهير وإزالة التعلّقات. يجب الابتعاد عن النواحي التقنيّة الابتدائية. سمحت أبحاثي فهم وتأكيد ما هو مكتوب في الكتب المُقدّسة، سمحت بتوحيد جميع الأديان على مستوى جوهرها.

يجب التقليل من التفكير والعيش بالمشاعر أكثر. قال المسيح: "طوبى للفقراء بالروح". الإنسان المُتناغم يعيش بالشعور، وإنّ وعيه ساكن. حين يعيش الإنسان بالروح، العقل، ب"الأنا" الخاصة (ego) فهو يُحاول التحكم بالنفس، ب"الأنا" العليا خاصته. ينتهي ذلك بشكل يُرثى له.

في الأرثوذكسية يجري الحديث غالبا عن أهميّة الحياة الروحية وأوّلويّة الروح على النفس. بالنسبة للأرثوذكسيّة لا يهم أن كان الإنسان نفسانيا بقدر ما يهم أن يكون روحانيا. بكلمة "نفساني" يُقصد الإنسان الطيب واللين، أما مفهوم "الإنسان الروحاني" فيربط بموضوع الروح القدس.

سأسمّح لنفسي افتراض ماهية الروح القدس. الروح القدس هي الطاقة الإلهية التي تخترق كلّ شيء. إنها حضور الله في كلّ شيء، هي نفس الحب في الكون كلّهُ.

لدينا مستويين من الوعي: الوعي المرتبط بالجسد، أي "الروح" (spirit. esprit) التي تبدأ كتابتها بالحرف الصغير، وهناك الوعي المرتبط بنفسنا، - هو "الروح" (Spirit. Esprit) التي تبدأ كتابتها بالحرف الكبير (هنا لا بد أن ألاحظ بأن كلمة "روح" تُكتب بذات الطريقة في اللغة العربية كون لا وجود لأحرف كبيرة وصغيرة فيها، وهذا على خلاف اللغات الأوروبية. من المترجم). حين نتكلم عن الروح القدس، نحن نفترض التجلي الأعلى لنفسنا. في الناحية العليا الروح والنفس، كذلك مثل الوعي والمشاعر، - هما الشيء نفسه. لكننا اعتدنا قول "الجسد، الروح والنفس" وبمفهوم "الروح" افتراض الوعي.

حين تتجادل الروح والنفس، حين يُطيح الوعي بالمشاعر، حينها يبدأ الإنسان العيش بالمنطق والاستدلالات العقلية، حينها يشتد التكبر بشكل مأساوي.

تكون لدى كثيرين التصور التالي عن أبحاثي: ثبتت، أزلت التعلقات، صححت المصير والصحة - ويمكنني الاستمرار في العيش كيفما أشتهي. من الضروري تغيير هذا التصور. إن قمنا بالتكلم عن منظومة لازاريف اليوم، فهي في المقام الأول تغيير الطبع.

"كونوا كاملين بكمال أبيكم الذي في السماوات"، - قال المسيح. هذا يعني أن "الأنا" العليا خاصتنا إلهية. مكتوب في الكتاب المقدس أن الله نفخ النفس في الإنسان، أي أن الإنسان - نفس. إذا يجب العناية بالنفس من خلال تفتيح "الأنا" العليا والتغلب على "الأنا" الحيوانية الخاصة. الفكرة الأساسية هي تغيير الطبع الذي يزداد عدد الصفات الإلهية التي تتفتح فيه.

مؤخرا بدأت الشعور بالتعلقات البشرية كإحساس مزعج في النفس. أنا متعلقة بزوجي كثيرا. بجانبه ينشأ الشعور الذي يُسمى في الشرق بالسكينة. هو لا يعيش معي، هو يعيش بجانبني. زوجي يعتني بنا جميعا، هو يحب الحياة كثيرا، يُحبني ويتقبلني، هو صبور بصورة مستحيلة. حسب ما يقوله، هو يشعر بالله باستمرار، يشعر ذاته جزءا منه وينظر إلى الحياة كمراقب. ومع ذلك ظاهرا هو إنسان دنيوي تماما، لكن في داخله

عمق لم أبدأ برويته إلا مؤخرا. أدركت أن تعلقي ليس تعلقا به كإنسان فقط، إنما تعلق بالإحساس الذي ينشأ لدي بجانبه.

أنا أتَهَجَّم عليه غالبا رغبة تمزيق هذا الإدمان، أو أبدأ بالبكاء، وحينها نحن نتحدث مُطَوَّلًا مُحاولان فهم ما يُصِيبُنِي. أنا أبكي كل يوم تقريبا... معه أشعر كأني أرتقي إلى مستوى آخر تصبح فيه جميع القيم البشرية وهمية رغم أنك تفرح لها. هذا يُشبه المسرح...

حصلت في تَغْيُرات: أصبحت أكثر لينا، صديقا، أكثر نَفْسَانِيَّةً. لكنني بدأت أصاب بنوبات من الاكتئاب. زوجي يقول: "أنت تَفْقِدِين عَقْلَكِ، أكثر من قراءة الكتب". تمتصني حفرة وينشأ لدي شعور دُعر بسبب أنني لن أدرك الله أبدا. بعد شعوري بالهدوء والسكينة، حين أدرك بُرْهَةَ الوجود البشري، أتمنى استعادة هذه الحالة. يُحاول الدماغ مذعورا اختراع شيء ما، تثور عاطفة عدم الرغبة في العيش.

ساعدني، رجاء، بنصيحة، أعجز عن تخطي الحالة بنفسي.

إن حصلت على مثل هذا الزوج، فذلك يعني أنك تُشَبِّهِيَنَّهُ. لكن من أين تأتي العواطف التي تعجزين عن التحكم بها؟ يستطيع الإنسان التحكم بمشاعره نوعا ما، لكن يستحيل عمليا التحكم بعواطف الأبناء.

مشاعرُ التعلق واليأس هي مشاعر الأبناء التي أنت مسؤولة عنهم. تذكرني جميع المواقف التي حصلت معك قبل ولادة الأبناء وتقبلها بشعور التوبة. تذكرني لحظات حياتك المُثْقَلَة: عدم الرغبة في العيش، الاكتئاب، إدانة الأهل، الإجهاض، الغيرة، الزعل من الأقارب – ومُري عليها بحبٍ وتقبلٍ للإرادة الإلهية. صل من أجل أن لا يمتنع أبناؤك عن الحب، من أجل أن يتقبلوا الإرادة العليا، يُدركوا أن الله – مصدر الحياة والسعادة.

القدرة على الصفح والحب، الاستعداد للتغير والنمو – هذه ثروة الإنسان الأساسية. يمكننا امتلاك السعادة البشرية حين لا ترتبط حالنا بها. بهدف أن تكوني سعيدة مع زوجك عليك تعلم أن تكوني سعيدة من دونه. حينها ستمنحني أكثر مما تأخذين منه. تخيلي أن زوجك أصبح عنيئا، مُعَوِّفا، شاخ، خائف. إن لم تتغير مشاعرك تجاهه، فذلك يعني أنك بُنِتِ تَحْبِيبِ الله فيه.

الآن فصل الربيع، إنه شهر مُبَارَكٍ لمُساعدة الأبناء والأحفاد. في البداية لم تكن الكائنات الحية تُفَكِّرُ، تتغذى، تضع أهدافا، أي كانت تعيش مُنَوَّدَةً الإرادة الإلهية. ثم بدأت تتغذى بطاقة الشمس، ثم – بالغذاء النباتي، ولاحقا

— بالغذاء الحيواني. لذلك الإمتناع في الربيع عن اللحم، الجنس، الهموم، الأفكار، الأهداف والمهمات، الحياة مع جميع تعلقاتها يُساعدُ في العودة إلى الحالة الأولية والشعور بالوحدة مع الله.

حاوي الصلاة قبل النوم، بعد الاستيقاظ، قبل تناول الطعام. الأهم في الصلاة — ليست الطلبات، إنما الحمد، الخشوع وتقبل الإرادة الإلهية. تعلّم العيش حسب مخطّط "أنا أريد"، وليس "يجب علي". يجب التفكير بالمشاعر. تحرّري من تعلّقات النفس التي تتجلى على شكل زعل، عدم رضا بالمصير، ندم واكتئاب.

حين ستتعلمين رؤية الله في كلّ إنسان، أي ما سيتبقى فيه حين سيشيخ وبعد فقدانه لجميع قدراته وقواه، - حينها ستوقّف حالتك عن الارتباط بزوجك وموهبته. لكنك لن تنجحي في ذلك فوراً. اشتغلي!

مسائل عائلية

أنا أحب زوجتي كثيراً. بعد ولادة الطفل (عمره الآن سنتان) انقطعت اتصالاتنا الجنسية عملياً. على مداعباتي الجنسية هي تردّ بالعداية غالباً. ما سبب هذا الوضع، حسب رأيك، وما كيفة حلّه؟

تعمل المرأة على إنقاذ الطفل أولاً. إن توقّفت الاتصالات الجنسية، - فذلك يعني أنّ موضوع الشهوانية لدى الطفل خطير ومن المحتمل أنّ الوضع مُميت. قد لا تفهم الأم شيئاً برأسها، قد لا تعي، لكنها قد تشعر بكلّ شيء على مستوى الوعي الباطن، - وحينها هي تستثني حدسيا مصدر الخطر الأساسي — الشهوة الجنسيّة. ساعد زوجتك — ابدأ بالصوم، ضبط الشهوة الجنسية، الاعتزال.

ما الذي يحصل في العالم اليوم؟ يُوصف الطبيب حبوا بهدف إعادة الحياة الجنسية إلى طبيعتها، فيحطّم بذلك الوظيفة الوقائية. تعود العلاقة بين الزوجين رائعة، جنس ممتاز، - لكن طفلهما يُصاب فجأة بمرض قوي أو يموت. يجب مساعدة الطبيعة، لا مُصارعتها. أنت وزوجتك عليكما استرجاع حياتكما وإعادة النظر فيها. إن حصلت قبل الزواج حياة جنسية ناشطة، إن

حصلَ تولُّعٌ بالملذات، الكحول، المُخدرات، إن في فترة الزواج حصلت خيانة، فذلك يُشكِّلُ خطراً كبيراً على الطفل.

مؤخراً سمعْتُ على التلفاز معلومات مثيرة للاهتمام. قام الأمريكيون ببحث، فأظهر الإحصاء نتائج صادمة: بين الصبايا اللواتي تتولَّعن بالجنس نسبة الانتحار أعلى بثلاث مرات؛ لدى الشباب ذوي الحياة الجنسية الناشطة نسبة الانتحار أعلى بتسع مرات.

الجنس الدائم عند الشباب يُسبِّب انفجاراً من الطاقة. إلا أنَّ الطاقة لا تُوجَّه إلى الحب ونمو النفس، إنما تُوجَّه إلى اللذة الجنسية. تشتدُّ الشهوة الجنسية بحدَّة، يشتدُّ التعلُّقُ بالدنيا و"الأنا" البشرية الخاصة (ego). تنخفضُ بِحدَّةِ القدرة على تقبُّل الموقف المُسبِّب للألم والصادم. عند حصول متاعب الإنسان العادي يبكي، يُسامح، يُحاول تغيير الموقف، تحسین طبعه. لكن الشباب الذين يتولَّعون بالجنس يعجزون القيام بردات الفعل هذه، يُسبِّبُ الموقف الصادم لديهم الرفض التام، الزعل والحقد.

أعد النظر في ماضيك، استرجعه بالتوبة. اضبط رغباتك في جميع النواحي الدنيوية بشكل دوري. غيِّر علاقتك بالجنس. لا تنظر إلى الجنس على أنه مجرد مصدر للمتعة، تعامل معه على أنه طريقة لمنح الحب، العناية، الحنان، الاهتمام، وحينها قد تنفتح إمكانيّة حياة جنسية طبيعية.

أجهل كيفية مُساعدة ابني. عمره أربعون تقريباً، هو لا يتقبَّلُ الإنتقاد بحقّه أبداً. يقوم بأخطاء كثيرة في حياته، لكنه يُقابل أي نصيحة بخصومة عنيفة. على هذا الأساس تفسدُ علاقتنا.

أنا أدركُ بما قد ينتهي ذلك بالنسبة له، الأمر الذي يُقلِّقني كثيراً. كيف عساي أصل إلى نفسه؟ ما كيفية مُساعدته في تغيير طبعه؟

أولا ابدي بنفسيك. تذكرني فترة شبابك، سلوكك قبل الزواج وخلال فترة الحمل. تقبَّلني جميع الإهانات، الإهانات غير المُبرَّرة خاصَّة التي لم تتمكَّنني من تقبُّلها في الماضي. استرجعي في ذاكرتك جميع لحظات الاكتئاب وعدم الرضا عن المصير.

التكبر ينقسم دائما إلى تيارين: الحقد تجاه الآخرين والحقد تجاه الذات. كثيرون أعدوا النظر في حياتهم، سامحوا الجميع ولا يفهمون سبب عدم تغير الوضع. لا يكفي الصفح عن الآخرين، إنما يجب الصفح عن الآخرين كذلك. من الضروري الصفح عن الذات لكره الذات، الاكتئاب، لعدم تقبل الوضع، لعدم الرضا بالمصير.

توجد ثلاثة نماذج سلوكية. يمكن الاستياء، الزعل، الكره وعدم اتخاذ أي خطوات. النموذج الثاني – القيام بفعل ناشط والاستياء، الامتناع والزلزل مع ذلك. ويمكن كذلك القيام بفعل ناشط مع الحفاظ على طيبة النفس في الداخل.

لا يجوز الزعل من المصير، إنما يجب تحسينه. يجب أن يكون في داخلنا التقبل والتناغم، أما من الخارج فعلينا تربية "الأنا" البشرية بسعادة وصبر وتحسين العالم المحيط كل يوم. هذا هو النموذج السلوكي الصحيح. تعلمي الحفاظ على الحب في النفس على الرغم من أي شيء. عندما يكون الحب معدوما، حينها يبدأ قتل الإنسان الآخر على شكل استياء وعدم رضا. وعلى هذا القتل ستحاسبين بالقتل الذاتي. شعري مقدار خطورة فقدان الحب. ثم استمري في محاولات الحفاظ على الحب في النفس، وعاجلا أم آجلا ستنجحين في ذلك.

لأي درجة تحقق مساعدة الإنسان الحبيب في طريق التغير حتى لا آخذ على نفسي ذنوبه وذنوب عائلته وأحاسب عليها؟ ما هي كيفة التصرف إن كان الإنسان لا يريد التغير؟ يستحيل الانغلاق عن الإنسان الحبيب، لكن ما كيفة الانغلاق عن استهلاك كيفة؟
أو ربما ذلك قد حصل معي – لدى قيامي بالمساعدة حصلت على أمراض مستعصية وانهايار المصير؟.. أما الحبيب الذي ساعدته طويلا فمسح بي رجليه ويستمر بالفرح للحياة.

سبق أن تكلمت مرات عديدة عن هذه المشكلة. لقد اعتدنا الاستشهاد بالوصيتين الأساسيتين: "أحب الله..." و"أحب قريبك كنفسك". لكن كل ما

في الأمر هو أن أحب "نفسك" - وصية كذلك. يجب حب الله أكثر من أي شيء، حب الذات وحب القريب.

لكن يجب معرفة كيفية حب الذات. حين نُحب ذاتنا كغلاف فيزيائي، أي نُحب غرائزنا ورغباتنا، فإن أنانيتنا تشتت. يجب حب الذات كنفس إلهية وحماية الحب في النفس الخاصة.

التكبر هو حماية نواحي الوجود الظاهرة. الإنسان المتكبر يحمي أهميته، عقله، ماله، موقعه الاجتماعي. حين نهتم بالآخرين ولا نُحب ذاتنا، حينها نضع أنفسنا على نطع العناية بالناس الآخرين. نحن نمَنحهم الاهتمام، العناية، المال، - أما هم فيمسحون بنا أرجلهم. هكذا ينتقم الناس منا لإفسادنا لهم.

إن كان الإنسان يُحب ذاته، أي يحب الله في نفسه، حينها هو سيتمكن الشعور بالحد الذي لا يجوز تخطيه، الحد الذي لا داعي لمُساعدة الشخص بعده. شخص، بهدف مُساعدته، يجب إعطاؤه، أما لمُساعدة آخر، فيجب سلبه. يجب مُساعدة النفس أولاً، في حين أنه غالباً لا تُعالج النفس بالمُساعدة الخارجية. النفس تُعالج بالحب والتقشف. لا يجب مُساعدة النفس بالحصول فحسب، إنما بخسارة النعم الدنيوية والتعلقات والتتحي عنها كذلك. مُساعدة الحبيب على التنحي، تقييده - مُساعدة كذلك، وهي غالباً مُساعدة أكثر فعالية من الدعم الخارجي.

تعلّم حب ذاتك. يجب دائماً منح الحب والعناية بالنفس. في الحالات المأزقية يمكن التضحية ودعم الإنسان. من الضروري وجود علاقة جيّية. إن كنت تُساعدين شخصاً مُدْمِراً ذاتك، فإنك تُدْمِرين نفسك ونفس الشخص الذي تُساعدينه كذلك.

مؤخراً حصلت على الرسالة التالية.

كان لديّ صديقٌ مُعالج، إنسانٌ بنفس طاهرة. كان يأتيه الناس مع مآسيهم ويحصلون على مُساعدةٍ حقيقيّة. كنتُ أراقبه وأرى أنه وسيرغيي نيكولايفيتش يتكلّمان عن الأمر نفسه مع الفارق أن سيرغيي نيكولايفيتش يقرّح القيام بعمل داخلي على الذات، أما هنا فقد كان هذا العمل يجري في مجموعة.

أعطيتُ هذا الشخص كتاب "تشخيص الكارما" الأول لبقراه. هو قال أن في هذا الكتاب الكثير من الأخلاقيات والقليل من الحب بالنسبة له.

عمل كثيرًا. وُلِدَ لديه طفلٌ من زوجته الشابة. طلبتُ منه الانقطاع عن العمل لفترة، التوقفت عن إجراء الندوات لبعض الوقت. لكنه ابتسم بعينيهِ الزرقاوين فقط. "حتى لو أنني سأموت غداً، فاليوم سأقيم جلسةً أخرى من أجل الناس"، - هكذا أجابني. بكل الأحوال لم يكن هناك سبب للقلق، - هو كان سليماً وناجحاً، كان كلُّ شيء ممتازاً لديه.

انطفأ خلال شهر كفتيل الشمعة تاركاً طفلةً بعمر خمس سنوات يتيمَةً. كان التشخيص مفاجئاً. لم يُقَلَّ شيئاً لأحد. لاحقاً علمتُ بأنه امتنع عن العلاج الكيميائي، - قال للأطباء أنهم سيُطيلون عمر جسده، لكن بأي ثمن، وهل ستكون تلك حياةً أصلاً؟

حتى اللحظة الأخيرة كان يعيش كالعادة. يُقيمُ الندوات ويُخفي نوبات ألمٍ لا يُطاق بواسطة تقنيات اليوغا الخاصة بالتنفس. هو مات في العمل، حسب ما قيل لي. يوم الجمعة بدأ ندوته التي كانت مُدَّتْها ثلاثة أيام، وقد لحقَ إنهاءها، لأنَّ يوم الأحد صباحاً وَقَعَ ومات في المكتب المُجاور للصالة حيث كان يُقيمُ الندوات.

حصل الأقارب على دعوات لحضور جنازته كتبها هو مُسبقاً. في هذه الدعوة كان يطلبُ عدم إحضار الزهور، وبذل ذلك التصدُّق بالمال لمدرسة الأيتام في الهند التي هو كان يُموِّلها كلياً.

هكذا يبدو تقديس الروحانية الذي يتحوَّل إلى تكبرٍ خلسةً. لقد اعتدنا التفكير بشكل تقليدي مُتَّبِع: التكبر هو التعجُّف، إهانة الآخرين، عدم حبِّ الناس. لكن أحياناً يستتِرُ التَّكَبُّرُ تحت مُثُلٍ راقيةٍ وجميلة. أما عدم الرحمة تُجاه الذات التي يُرَجَّبُ بها الدين فبذات خطورة أشكال التكبر المُعتادة. بشكل مألوف نحن نتصوِّر الإنسان المُتَّكَبِّرَ كأناني مُتَّعَجِّفٍ وقاسي. يعلم الجميع تعبير: الله في الوسطية، أما الشيطان - ففي التطرُّف. التكبر يستتِرُ تحت أوجه مُختلفة.

كان الدين يُعلِّمنا منذ الطفولة حبَّ الناس، - إلا أنَّ هذا مُجرَّد جزء من الطريق إلى الحب. حبُّ الله يفترضُ حبَّ جميع تجليات الألوهة، ومن ضمنها حبُّ الذات. التطرُّف في الحب، مثل الأنانية التامة والاستهلاكية، مألوفٌ للجميع. لكن تطرُّفاً مثل الغيرية، حبُّ الناس لحدِّ تدمير الذات - لا أحد يُدرِّكه كنزعة شيطنة. إنسانٌ وقع في مثل هذا التطرُّف يُسبِّبُ الضرر لنفسه ولنفس الناس الذين يُصدِّقونه.

في الحياة المُقْبِلَة على الأراجح سيُولد هذا الشخص أنانيا يستخفُّ بالناس ويرفض تماما مُساعدة أي شخص، - وسيكون ذلك إنقاذا له. الإنسان الذي تخطى حدود الغيريَّة السليمة سيُصاب في الحياة المُقْبِلَة بمرض مستعصٍ في حال بدأ العنايةً بالناس. وحين سيبدأ الاستخفاف بالجميع، سيشفى. برنامج التدمير الذاتي هذا سيوقَّف بالأنانية. لكن إن هو تطرَّف في الأنانية، فإنَّ الحساب سيكون أقوى بعد ولن يُصيبه وَحْدَه، إنما سيُصيب أنجاءه كذلك.

نحن نعتبِرُ انعدام الرحمة تُجاه الناس جريمةً، أما انعدام الرحمة تُجاه الذات فقدرُك كماثرةٌ تقريبا. التضحية بالذات في اللحظة مأزِقيَّة حين يكون أحد ما مُهدِّدًا بالموت، - تلك ماثرةٌ. لكن التضحية بالذات في الحالة العادية - فذلك أمر غير عقلائي تماما.

الأهل الذين يضحون بكل شيء من أجل أبنائهم، الذين يحرمون أنفسهم من كل شيء ولا يُلزمون أبناءهم الاهتمام بهم وتعلُّم العطاء، يُربِّون أشخاصًا أنانيَّين مُتأصِّلين. يرفض الأبناء دعم النزعة المُميَّنة ويتحوَّلون إلى تطرُّفٍ آخر. الحبُّ وحده يجمع المتناقضين: في الحب دائما يوجد الألم والسعادة في آن واحد.

كلُّ نمو يفترَضُ الخسارة والاكتساب. للانتقال إلى الصف الثاني يجب الانتقال من الأول. الحياة ذاتُ شكل جيبي، هي خطر، لولب. يوجد في الحياة دائما جمعٌ بين عمليَّتَيْن مُناقِضَتَيْن. إلى حين حاضِرُ الحب الذي يجمعُ المُتناقضات، توجد الحياة. حين نقعُ في التطرُّف مُتَشَبِّهين ومُحوِّلين الشكل اللولبي إلى خط مُستقيم تنتهي الحياة.

أي شغف مهما بدا نبيلًا يُبعِدُنَا عن الحب دون شعورنا بذلك. لكن الإمساك قادر على التسبب بضرر لا يقلُّ خطورة عن الخلاعة. إن أصبحَ النقشُفُ مغزى الحياة فهو يتحوَّلُ إلى تدمير ذاتي وأذيَّة للأعضاء. لم يكن اضطهاد طائفة الـ"سكوبتسي" صدفةً.

يجب التغلُّب على الإغراء، لا تدميره. للأسف، لم يتعلَّم العالم بعد التفكير في وضع (mode) التوحيد وجمع المتناقضات بدل تقسيم العالم إلى أسود وأبيض، إلى خير مُطلق وشر مُطلق.

عمري ٢٣ عام. قرأت ثمانية من كُتُبِكَ. يبدو لي أنني أَطَقْتُ كُلَّ ما كَتَبْتَ، لكن المشاكل تستمر. وإحدى أكبر المشاكل – أتب مُدْمِنٌ على الكحول-مُلْحِد. هو بسببُ لدى التكلُّم عن الله. يقول أنه يكره الجميع. نحن نعيش معه. العائلة كلها تُصَلِّي لكن الوضع لا يتحرَّك من النُقطة الميتة.

ما العمل؟ أخشى أن أسلوب حياتي يؤثر علينا. وهل من الممكن أنه يؤثر على أنجالي؟ نشعرُ بتأثيره جميعاً. بعد "أحاديثه" ينشأ لدينا حنق وإدانة، تنفدُ الطاقة. نُصارِغُ. نُصَلِّي. منذ حوالي ١٥ سنة تريد أُمِّي أن تُطَلِّقه، لكن شيئاً ما يمنعها عن القيام بذلك.

ما الذي علينا فعله؟ نعيش في شقَّة واحدة. أنا أحاول أن أُحِبَّ الله أكثر من أي شيء في الدنيا. أحياناً أشعر بأن الأمر هكذا بالفعل. لكن الوضع لا يتغيَّر. هل من الممكن أن هذا يمتدُّ من الحيوانات الماضية؟ هل من الممكن أن لدي ولدي أُمِّي تعلُّقات بشيء ما؟ علام علينا العمل؟

حبُّ الله هو الوحدة معه. الوحدة مع الله تقتَرَضُ التشبُّه به، السعي إليه، تغيير الذات نحو الأفضل. الإنسان هو الحلقة الوسطى بين الحيوان والله. يجب التغلُّب على صفات الطبع الحيوانية في الذات وتنمية الصفات الإلهية. لم يُصِبْ الإنسان مُلْحِداً؟ يصعبُ على الشخص الذي يُخِلُّ بالوصايا، يقرِّفُ الجرائم الأخلاقية والجنايئة أكثر الإيمان بالله لأن نفس هذا الإنسان تُصِبُ قاسيةً. السلوك الظاهري الخاطئ يدفعُ بالإنسان نحو الإلحاد.

لكن أهم سبب لعدم توجُّه الإنسان لله يكمن في أنه يعجزُ عن إيجاد السبيل إليه. غالباً خادموا الدين، الموظفون الدينيون، كما قال المسيح، أنفسهم لا يتَّجهون لله ولا يُجيزون لغيرهم.

حين يُصِبُ الدين أشبه بالمسرح أو بالقصة يرفض الإنسان الإيمان بهذه القصة، فيذهب في الإتجاه المُعاكس. وحينها، بدل الحب، تنشأ في نفسه الشهوة والألم. الحبُّ يمنح السكينة والسعادة. أما حين يكون الحب معدوماً ينشأ لدى الإنسان شعورُ فقدان التوازن. هو يُحاول استبدال الحب بالشهوة، فيبدأ التولُّع بالكحول، المُخدرات وإلى آخره.

عليك البدء بالتغيُّر حقيقةً، أي لا مُجرَّد إعادة أن حبَّ الله أهم من كل شيء في الدنيا، إنما التوقُّف عن الزل من الوالد في داخلك. أدركيه كشخص تائه، مريض. حاولي تغيير طبعك. إن كان تكبُّرُ الابنة مرتفعاً فعلى الوالد أن

يُهيئها، يَقمَعها لإنقاذ حياتِها. على ما يبدو هذا هو سبب عجز أمك عن الطلاق من والدِك.

حاولي تقييم مُستوى تكبُّرك والبدء بالتغلُّب عليه. راقبي ذاتك، راقبي تركيبة كلامك، كيفية تعاطيك مع الناس وذاتك. إن كان لديك شعور تفوقٍ، إدانةٍ، إن كان يصعبُ عليك تقبُّل الخسارة، إن كان الإجحاف يُغضبُك، إن كان ينشأ لديك استياء لهذا السبب أو لآخر، فحينها مهما حاولتِ تربيةً والدِك لن تنجَحي.

اعتبري سلوك والدِك مؤشرا لحالتك الداخليَّة. إن قُمتِ بالتغلُّب على تكبُّرك فإنَّ العالم سيبدأ بالتغيُّر من حولك، وسيُضطرُّ والدك لتغيير سلوكه.

قد يُسمي الإنسان ذاته مُلجدا أو مؤمنا، لكن في داخلنا نحن جميعا في جوهر الأمر مؤمنون. قد لا يتقبَّل الإنسان النواحي الدينيَّة الظاهرة، لكنه يشعر بشكل ممتاز بالدفع، الحبِّ والعناية. تعاملِي مع أبليك باهتمام، أبدي رافةً، شفقةً. ثَمِّل والدك، يشعر بسوء، - اعتني به، اهتمي به. هذا يُساعد الإنسان على التغيُّر، يحقُّ ويمكن استعمال هذا الأسلوب.

إن كان الإنسان واقعا في حالة مأزقيَّة وبحاجة للمُساعدة، فتذكَّري ما الذي يدعو إليه المسيح: يجب إعطاء الإنسان كلَّ ما لديك. لكن إن كان الإنسان يرفضُ التغيُّر، حينها يجب إنذاره ثلاث مرات، ثم يجوز تفعيل آلية القوَّة. إن كان الوالد يتصرَّف بقسوة على الرغم من تغيُّراتك الداخليَّة، إن كان يُدافع عن وجهة نظره العدائيَّة، حينها ادخلي معه في صراع قاسٍ: ارفعي بلاغا للشرطة، أرسله إلى العلاج القسري.

اصطلاحيا يمكن تمييز خمس مستويات من تطوُّر الإنسان. على المستوى الأول يُدرك الإنسان نفسه جسدا. على المستوى الثاني هو يُماثلُ ذاته بالروح؛ إنه مستوى الواعي. على المستوى الثالث يُدرك الإنسان ذاته نفسا؛ هذا أقرب إلى مستوى الإنسان البار. المستويين الرابع والخامس - هذا مستوى القديس ومستوى ابن الله.

الإنسان الذي يُماثلُ ذاته بالجسد يخاف باستمرار على جسده وحياته. إهانة، إقذاع أحد ما وإثبات حقانيَّته وثبوته باستمرار أمرٌ طبيعيٌّ بالنسبة له. في الداخل هو مليء بالخوف والألم، لذلك هو ينجذب للكحول، المُخدرات، المال، السلطة، العنف. يجب التعامل مع هؤلاء الناس بحبٍّ وصرامة.

كلمة "ناكازاني" ("عقاب" بالروسية. من المُترجم) مُشتقةٌ من كلمة "ناكاز". إن كان الإنسان لا يفهم غير قانون القوة، فيمكن في هذه الحال

إشراك الشرطة والشرح للوالد أن بسبب هذا السلوك المُدَمَّر ستنشأ لديه مشاكل. الجمع الديالكتيكي بين السوط وكعكة العسل يسمح لـ "الأنا" الخارجية خاصتنا بالنمو بشكل مُتناعِم. لكن أولاً عليك أن تُحاولي تغيير نفسك، ولاحقاً فقط مُحاولَة تربية القريب من خلال مُساعدته في النمو.

ما كَيْفِيَّةُ الانتقاد الصحيح وعدم الإنحدار نحو الإدانة مع ذلك؟ هل بإمكانك إعطاء بعض الأمثلة؟ أنا لا أفهم كَيْفِيَّةُ التمييز بين الانتقاد والإدانة.

بما تختلف العِزَّة عن التكبر. لنفترض أن الشخص ذكي ويعتزُّ بذلك. هذا اعتزاز. الاعتزاز هو فرح الإنسان لقدرته على تحقيق شيء ما. أما التكبر فهو ليس المَرَحُ بسبب أن الإنسان يمتلك شيئاً ما، إنما هو الفرح وشعور التفوق بسبب أنه يملك شيئاً أكثر من الآخرين.

الاعتزاز قادر على التحول إلى تكبر. التكبر هو تمزُّق الوحدة الداخلية: أنا "هنا"، أما جميع من تبقوا - ف"هناك". تمزُّق الوحدة الداخلية مُضِرٌّ بالنفس لأننا مُوحَّدون على مستوى النفس.

ما كَيْفِيَّةُ تحديد إن كان لديك تكبر أم لا؟ راقبي الدافع الداخلي، كَيْفِيَّةُ تفاعلِك مع المُشكِـل. إن نشأ استياء، حنق، رغبة في قمع الآخر، فإن التكبر موجود حتماً. لدى نشوء صراع يرغب الإنسان المُتناعِم في التعاون مع خصمه، يرغب في مُساعدته وحل المُشكِـل بالتعاون.

بما يختلف الانتقاد عن الإدانة؟ الإنتقاد مع شعور ودٍّ في النفس هو انتقادٌ بالفعل. لكن إن كنت تنتقدين ونشأ شعور عداوي، فذلك يعني أن ذلك لم يعد انتقاداً، إنما هو إدانة. كل شيء مُرتبطٌ بمشاعرنا. المشاعر هي المضمون، أما الكلمات فهي الشكل.

عمري ٥٦. منذ ٢٠ سنة أحاولُ تحسينَ العلاقات المُتبادلة في عائلتي. جَرَّبْتُ عدداً كبيراً من الأساليب، توجَّهْتُ إلى عدد كبير من الناس. أنا أصلي، أتقيَّد بالصوم، أحاولُ العيش حسب الوصايا. قرأتُ جميعَ كُتُبِك.

لكني لا أنجح...

لم يتمكّن أبي منح الدفء والحب لعائلته. الأهم بالنسبة له كان أن يكون الأول دائما وأينما كان لكي يمدّحه الجميع ويُعجبوا به. كانت أمي تخضع لأبي طوال حياتها وتطيعه. في السنة الماضية مات أبي بسبب إصابته بسرطان الرئة.

أختي متزوجة، لديها ثلاثة أولاد. لكن لا وجود للحب، الودّ والتفاهم بينها وبين زوجها. أخي طلق زوجته، لديه طفلٌ من امرأة أخرى.

علاقتي بزوجتي سيئة كذلك. لا أشعر نفسي سعيدا. لا وجود للودّ والحب بيننا، كلٌ منا يعيش حياته الخاصة. هل عليّ محاولة الحفاظ على علاقائنا؟ إن كان الأمر كذلك، فما كيفية القيام بذلك؟

أنا أتمنى ترك عائلتي، البدء بحياة جديدة، البحث عن السعادة. هل يحقّ لي القيام بذلك، هل يحقّ لي الطلاق؟ كيف سيؤثر الطلاق على أولادي؟ ألن يؤذي الأجيال القادمة؟ هل يسمح الله بالطلاق؟

هل من فرصة لتصحيح العلاقات في عائلتي، ما رأيك؟ أم أنّ الله منحني زوجتي لكي أتعلّم الحلم وأتقبّل الإهانات طوال حياتي؟

الإنسان ذو التكبر المفرط غير قادر على الحب، - حبه يتحوّل إلى تعلّق فورا. على الجزء الأكبر من حُبنا أن يكون موجهًا لله، علينا الشعور بالحمد، تقبّل الإرادة الإلهية. إن لم يحصل ذلك فإنّ طاقة الحب تتّجه إلى الإنسان الحبيب، فينشأ تعلّق قوي نفقّل به الإنسان الحبيب بكل بساطة.

حين يكون التعلّق قويا جدا، حينها بسبب أبسط عدم توافق مع توقّعاتنا يستحوذ علينا سُخْطٌ قوي لدرجة أننا نكون مُستعدين لتدمير الإنسان الحبيب. هكذا يتحوّل الحب إلى تعلّق هو يُصبح أداة للقتل. غالبا لا يُمنَح الإنسان المُتكبّر شعور الحب لكي لا يؤذي الإنسان الحبيب طاقيا وفيزيائيا.

جليّة لدى والدك دلائل هيمنة الجسد والروح اللذان يُطالبان بالتشريفات، المجد، المال. هذا نوع من تحقيق لغريزة حفظ الذات: حين يحظى الإنسان باحترام الجميع، حين يُجلّه الجميع، - حينها هو يتمنّع بفُرص أكبر للبقاء على قيد الحياة. لدى هؤلاء الناس تقع الغرائز في المقام الأول، أما الحب ففي المقام الثاني.

من الذي يُصابُ بأمراض الرئة؟ من لا يتقبلُ الإرادة الإلهية، من غير راضٍ عن الدنيا، يضعُ إرادته في المقام الأول ويحاولُ التحكُّم بالمصير، مُعاكسةً المصير.

الإنسان المُتَكَبِّرُ غير صادق عادةً، التكبرُ وعدم الصدق يسيران جنباً إلى جنب غالباً. الإنسان المُتَكَبِّرُ لا يُفصحُ عن ما يُزعجه، هو يُبقي كلَّ شيء في الداخل ساخِطاً وممتعضاً مع ذلك. عدم الرضا الصامت هو أحد تجليات التكبر. الإفصاح عن عدم الرضا يعني مُحاولَةً تغيير الوضع، أما عدم الرضا الداخلي الخفي الداخلي هو صِراعٌ مع الله والمصير. كلما كان شعور الأهمية الذاتية لدى الإنسان أعلى، اشتدَّ عدم رضاه من أي موقفٍ ومن المصير.

الإنسان المُتَكَبِّرُ إما يُقدِّس ذاته، أو يُقدِّس أحداً آخر. هو يعجز عن الشعور بالله في كلِّ شيء. لذلك يختارُ إما ذاته، أو أحداً آخر كموضوعٍ للتعبُّد. إن كان يتعبَّد ذاته، فهو يقمع الآخرين. إن كان يتعبَّد الآخرين، فهو يقمع ذاته ويتذلَّل للآخرين. بالتالي من المستحيل أن تتكوَّن لدى الإنسان المُتَكَبِّر علاقات عائلية طبيعية. اليوم هو يقدِّس زوجته، أما غداً فسَيُهينُها إن هي لم تُرضيه بشيء ما.

لكن أغلب الأحيان يسعى المُتَكَبِّرُ لقمع الآخرين. تميِّزه الأنانية، الاستهلاكية، عدم الرغبة في فهم الإنسان الآخر، عدم القدرة على الاهتمام بالناس المُقَرَّبين. الإنسان المُتَكَبِّرُ لا يستطيع التضحية، إيجاد الحل الوسط، نصيبه ليس التعاون، إنما الصراع. يُحاولُ الإنسان المُتَكَبِّرُ إخضاع الجميع لذاته وإلقاءهم تحت ذاته. على العالم كلُّه أن يكون مثلما هو يراه.

الإنسان الذي يضع النفس في المقام الأول يتعاون بسهولة. هو قادرٌ على الاتفاق، قادرٌ على وضع ذاته في مكان الآخر، قادر على التضحية، جعل الآخرين سعداء. إنسانٌ مُماثلٌ يتفاعل مع الآخرين عاثراً وخالفاً أشياء مُشتركة.

من الخارج قد يكون الإنسان مُستقيماً وطيباً. لكن في حال كانت توجد في السلالة نزعة تكبرٍ قويَّة تُمسُّ عدَّة أجيال، فالتغلب عليها قد يتطلب الأمر سنوات. مُجماً، يرثُ الأبناء صفاتِ أهلهم. إن كان لدى الأهل تكبرٌ، فهناك احتمالٌ كبير بأن يُصابَ الأبناء بالتكبر.

إن كان يظهر لدى الزوج تكبرٌ وراثي مُرتفع، فلدى الزوجة كذلك تكبرٌ ظاهريٌ أو داخلي حتماً. قال المسيح أنه يجوز الطلاق فقط في حال الزنى، حين تتصرَّف المرأة بطريقة لأخلاقية. إذا يجب مُحاولَةُ تربية الزوجة

والذات. إن كان الإنسان يتغيَّر فسيتغيَّر من يعيش بجانبه كذلك، وإلا فإن المصير سيُقرَّفهما.

يأتي إنقاذ العائلة غالباً من خلال الإهانة، الألم النفسي، المعاناة. العتاب من ناحية الإنسان الآخر هو إهانة لـ "الأنا" البشرية خاصتنا (ego). حين سنبدأ اعتزال "الأنا" البشرية خاصتنا مُنتقلين إلى مستوى تطوُّر أعلى، حينها سنتوقَّف عن الشعور بذاتنا كإنسان جسد أو عقل. حينها سنشعُر بأننا نفسٌ وحبٌّ. سنغيَّر تعاملنا مع الناس وسنتمكَّن من المُواجهة على مستوى آخر أعلى.

سنتجاهلُ العتاب. ستتحيل تربية الإنسان بالعتاب. نحن سنبتسِم حين سيؤخِّنا أحد أو يُسيء إلينا. سينعدم الخوف في داخلنا، سنتشأ لدينا استقلاليَّة، طيبة نفس، قُدرةً على إيجاد حل وسط، التنازل في المسائل البسيطة، - لكن مع ذلك سنقوم بحلِّ مسائلنا والدفاع عن رأينا. حين يبدأ طبعُ الإنسان بالتغيُّر تتغيَّر علاقةُ الناس به حتماً.

النحس في العائلة دليلٌ عدم كمالنا الداخلي. لكن يمكن استعمله كمُحوِّذ قوي جداً لتنمية الطبع. البعض يعزِّزون تكبرهم بعدم رضاهم، استيائهم، الاستهلاكيَّة، الإدانة. آخرون، عكس ذلك، يتغلَّبون على الكبر بفضل التضحية، الصفح، القدرة على العناية بالآخرين.

إن كان الإنسان يتغيَّر في الداخل بالفعل، فإنَّ كلَّ شيء سيتغيَّر من حوله كذلك. لكن إن لم يكن الحب يتضاعف وكان الإنسان لا ينجح في التغيُّر، فيحصل عكس ذلك - تؤدي العلاقات إلى اشتداد الضغينة، - ففي هذه الحال مُفضَّلُ الطلاق.

يسهل علينا أكثر الشعور بالحب حين نعتني بالإنسان القريب. تأمين المال، الثياب، تكريس الوقت، الخضوع، التنازل للإنسان القريب - هذا اعتناءً بالجسد والروح، وهذا ما نحن نسليه عادةً بالعناية. لكن جرمان الإنسان وتقبيده، التعامل الصارم معه - هم كذلك عنايةً، لكنها عنايةً بنفسه أولاً.

يُقال في الإنجيل أنَّ الملاك "لوسيفير" الأكثر نشاطاً، موهبةً وذكاءً أصبحَ شيطاناً. التكبر هو نتيجةُ القدرات العالية الممنوحة من قبل الله. حين يحصل الإنسان على كمٍّ أكبر بكثير من الطاقة، المشاعر، الجمال، الذكاء، السلطة، المال من الآخرين، حينها هو ينسى غالباً ضرورة حضور الحب في المقام الأول، ينسى أنَّ من أجل الحب يمكن التضحية، ينسى أنَّ كلَّ مَنَّا نفسٌ وأننا ربانيون وأبدئيون في جوهرنا. ينسى الإنسان طبيعته الحقيقيَّة، فيؤجِّه رغباته

نحو الرفع من مستوى الطاقة، الزيادة من قدراته، نجاحه وأشكال المُختلفة من المُنتعة. نتيجةً لذلك تبدأ المشاكل. أهم ما على الشخص ذو التكبر المُفرط أن يقوم به، أولاً، ضبط الشهوة، ثانياً، إدراك أننا حُبٌّ.

"الأنَا" الحقيقيَّة خاصتنا إلهيَّة، أما "الأنَا" الظاهرية غير كاملة، يجب تربيئُها. إدراك ذلك يسمح بالتغلب على التكبر في جذره. يتعلَّق الكثير بأن كُنَّا ننجُ في ضبط الشهوة، التضحية، العناية، الحفاظ على الحب، النزاع بشكل صحيح.

النزاع الصحيح يعني الحفاظ على الحب لكن مع ذلك يعني الدفاع عن المصالح الشخصية والأخذ بعين الاعتبار مصالح الإنسان الآخر كذلك. النزاع هو صراع المُتناقضين. لكن صراع المُتناقضين قادرٌ على أن يؤدي إلى النمو كما هو قادر على أن يؤدي إلى الانحلال. في الجِدال قد تولد الحقيقة، لكنها قد تموت كذلك. تولد الحقيقة حين تكون لدى المُتجادلين وحدةً، - بتعبير آخر، حين ينشأ الحب. حين يحصل صراع المُتناقضين، حينها هما إما يُدمران بعضهما (إن كان الحب معدوماً بينهما)، أو يتعاونان ويُنبِيان بعضهما (إن كان الحب حاضراً).

تكن مُشكلة كثيرين في أنهم يقيِّمون أنفُسهم باستمرار ويطرحون على ذاتهم سؤالاً: "البارحة كنتُ إنساناً جيداً، اليوم كذلك، - لِمَ في هذه الحال يبعثُ إلي الله بالتجارب؟"، دون أن ينتبه لأنه يجري في السُلالة ميلٌ للحقد، التكبر، الشبق. بهدف فهم لِمَ يجري كلُّ شيء في الحياة بهذه الطريقة تحديداً وليس بطريقة أخرى، يجب تحليل أحداث الماضي، تاريخ السلالة والأجداد.

الأهم - هو الشعور بالوحدة مع الله، بالحب غير المُنقطع في النفس وإدراك أننا جميعاً أبناء الله. إضافة لذلك يجب النزاع بطريقة صحيحة، تحقيق الأهداف، تحقيق الرغبات، عدم دفن المواهب في الأرض ولا لأي سبب. يجب التذكُّر بصورة أكيدة أنَّ علينا الاهتمام بالنفس، بسلوكنا الأخلاقي، التَّقَيُّد بالوصايا في المقام الأول ولاجِداً فقط الاهتمام بالمجد، الثروة، السعادة، الراحة والمُلذات الفيزيائية.

المشاعر الظاهرة المُتكرِّرة باستمرار تنوَعُ إلى الداخل، وحينها تُفَعِّلُ عمليَّةَ تغيُّر الطبع، الوعي الباطن، النفس فائقة العمق. تلي ذلك تغيُّرات في كلِّ ما تبقى: في العائلة، المصير، الحياة.

قوانين النفس

لدى قيامي بالأبحاث كرّست الكثير من الاهتمام لمسألة منشأ الأمراض. فهم الأسباب يُساعدُ في التغلّب على الأمراض. إن كانت الأسباب مجهولةً أضطرُ العمل بطريقة التخمين.

الطبّ المعاصر يعجز الإجابة بوضوح عن سؤال كيفية ظهور الأمراض، فيختصر كلُّ شيء بالصلات السببية التي تُظهر ارتباط حالة الجسد الفيزيائي بالبيئة المحيطة، الإصابات والعدوى. الطعوم، العمليات، الحبوب – طرُق علاج الطبّ المعاصر الأساسية.

الطبّ القديم الذي يُسمى اليوم بغير التقليدي يتكلّم عن أسباب أكثر غُمًا. هذه الأسباب حاضرة في المستويات الرفيعة لوجودنا: مشاكل الجسد هي نتيجة مشاكل في النفس.

لدى دراسة الإنسان من وجهة نظر توحيد المتناقضين – الجسد الفيزيائي والبنية الحقلية، - رأيتُ أنّ الأمراض تنشأ على مستوى الحقل. على المستوى الرفيع كنْتُ أرى أفعال الإنسان التي تُسمّيها بالخطيئة.

توجدُ لدى كلّ إنسان بنيةً حقليةً فرديةً "يُسجَل" فيها كلُّ شيء. البنية الحقلية سريعة التغيّر وتُسجَلُ بسرعة كلّ ما يحصل معنا. أولاً يحصلُ نشوؤه البنات الحقلية، وبعد مرور بعض الوقت، في المكان حيث حصل نشوؤه الحقل، ينشأ المرض.

يتشوّه الحقل حين يشعر الإنسان بالحقد، العدائية، عدم الرغبة في العيش وعواطف سلبية أخرى. هذا يعني أنّ أمراض الشخص مُرتبطة بشكل مباشر بعنانيته الداخلية. قد لا يظهر المرض فوراً، أحياناً يظهر بعد عشرات السنوات. لهذا السبب تصعبُ رؤية كيفية تأثير حالتنا العاطفية على صحتنا. خلال عملية البحث تبين أنّ حالة الإنسان العاطفية الداخلية لا تؤثر على الفيزيولوجيا فحسب، إنما تؤثر على مصيره كذلك. المشاعر تُحدّد حالتنا الصحية كما تُحدّد ما يحصل معنا. المآسي، المتاعب، الكوارث – هم نتيجة عواطف الإنسان فائقة العمق.

الإنسان كائنٌ مُتعدّد الطبقات. تُحفظُ في الوعي الباطن تجربة الحيات الإنسان الماضية وتجربة أجداده التي تتطابق مُجملاً مع تجربته. الوعي

الباطن هو خزان هائل للمعلومات. يوجد لدى كلِّ إنسان خزان خاص "مُسجَّلة" فيه أفعاله، مشاعرُه، عواطفُه، - جُمْلَةُ القول، ذنوبُه وأعمالُه الصالحة.

في الماضي كنْتُ أحلم بصناعة جهاز يقوم بتقويم حقل الإنسان - فيشفي الناس. الطبُّ المُعاصرُ قريبٌ من اكتشاف هذه النوع من الأجهزة. هو يُخطِّطُ مُصارعةَ الأمراض في المهد، أي على المستوى الحقلّي. إلا أنَّ الطب لا يأخذ في عين الاعتبار أنَّ الأورا، المستوى الحقلّي، الوعي الباطن والنفس - هم نفس الشيء.

يستحيل تطهير النفس بأي أجهزة. أثبتت أبحاثي أنه يستحيل شفاء الإنسان دون تغيير حالته الداخلية، مشاعرُه، رؤيته الوجودية وطبعه. النفس تُطهَّرُ بحبِّ الله، السلوك الصحيح، التقيد بالوصايا. الإنسان وحده قادر على ترتيب ذاته.

تقول الأديان أنَّ المرض هو نتيجة الخطيئة. يُقال في العهد الجديد أنَّ عدم تنفيذ الوصايا الإلهية يؤدي إلى الأمراض، المآسي وحتى اختفاء شعوب ودُولٍ بأكملها.

لدى توجُّهه إلى أحد الناس الذين شفاهم قال عيسى المسيح: "لا تخطئ بعد اليوم لكي لا يُصيبك ما هو أسوأ". في هذه الكلمات تُستجَلُ الصلة بين اقتراف الخطايا والأمراض التي تليها.

بالترجمة من اللغة اليونانية كلمة "خطيئة" تعني "عثرة"، "ضلال". حين يضلُّ الإنسان هو يفقد التوجُّه الصحيح ويبدأ باقتراف الذنوب. التوجُّه الصحيح هو إدراك الوحدة مع الخالق والسعي له. هو الشعور بأنَّ مغزى الحياة يكمن في الوحدة مع الله والتشبُّه به. "كونوا كاملين بكمال أبيكم الذي في السماوات"، - قال عيسى المسيح.

الوصايا تُوجِّه الإنسان بشكل صحيح وتُساعدُه في نموِّ وُحْلَاصِ النفس. الإنسان الذي لا يُنفِذُ الوصايا يُسبِّبُ ضرارا لنفسه. الانحلال النفسي لا يؤثر على الصحة في البداية، وحتى أنَّ الإنسان يشعر بفائض من الطاقة وموجَّة من النشاط لدى انهيار النفس. في هذه الفترة قد تتحقَّق رغباتُه. لكن حين يتخطى انحلال النفس حدًا مُعيَّنًا يبدأ الوعي والجسد بالانهيار. عادة يُولي الإنسان هذه المشاكل اهتماما حين يكون قد أصيبَ بضرر جسديٍّ قوي.

أفضلُ وقايةٍ وعلاجٍ للأمراض - ترتيبُ النفس، أي ترتيب مشاعرنا وإدراكنا للوجود. تقول جميع الأديان بأنَّ الخطيئة لا تختفي وأنَّ الإنسان

سُحَّاسَبُ عليها عاجلاً أم آجلاً. يمكن التكفير عن الخطيئة بالتوبة، الصلاة، التوجُّه لله، التضحية، الصوم.

أنا بدأت من طلبي للناس بالعودة إلى ماضيهم وإعادة النظر في أحداث الحياة، تمريرها من خلال الذات مُجدداً مع التحرُّر من الزعل وضبط الذات عن الإدانة والاكْتئاب. بواسطة التوبة كان الإنسان يتخلَّص من العدائيَّة العاطفيَّة، فتزول الأمراض.

لِمَ التوبة تُشفي؟ حين يُغيَّر الإنسان علاقته بالماضي يبدأ بالتغيُّر طبعه في الحاضر. المغزى من التوبة – تغيير الطبع والرؤية الوجودية، الأمر الذي يؤدي إلى الشفاء.

بالترجمة من اللغة الأغريقية القديمة "التوبة" تعني "التغيُّر". التوبة هي توجُّه لله، اعترافٌ بأنَّك تصرَّفتَ بشكل خاطئ. هي إعادة النظر في الماضي، ما يعني تغيير الطبع لدرجة مُعيَّنة كذلك. التوبة والصلاة – هما خطوتنا الإنسان الأوليتان في طريق تغيير الطبع.

يوجد في كلّ منظومة دينيَّة مفهوم التضحية. باستطاعة الإنسان أن يتغيَّر حين يعتزل "الأنا" البشرية خاصَّته (ego) ويكون مُتحرِّراً من التعلُّقات. يحصل اعتزال "الأنا" البشرية والإرادة الخاصة حين يُضحى الإنسان بشيء ما.

منذ القَدَم كان يُدركُ الناس أهميَّة التضحية. دون التضحية كان لا ينجح الصيد ولا ينجحُ أي عمل هام آخر. قبل المُباشرة بأي عمل كان الناس يُضحون. كانت التضحيَّة تخفِّف التعلُّق الداخلي، فتشتدُّ الصلَّة بالله، فتزداد قدرات الإنسان، فيتمكَّن من تحقيق أمور أكثر. كذلك كانت الصِّحَّة تتعزَّز كون الإنسان كان يستمدُّ الطاقة الحيوية الأساسية من النفس. إن كان الإنسان مُستعداً الاعتزال عن غلافه الخارجي، حينها تشتدُّ الوحدة مع الله وتبدأ الرغبات بالتحقُّق.

إذا، مرحلة تغيير الطبع الأولى – التوبة. كنْتُ أرى النتائج المذهلة التي يحصل عليها الناس حين يُعيدون النظر في ماضيهم. المرحلة الثانية – هي تغيير العلاقة بالحاضر، هي السلوك الصحيح في الموقف النزاعي. حين نقوم برَدَّة فعل على العالم المُحيط ونتعاطى مع ذاتنا والناس بطريقة عاطفيَّة صحيحة، حينها نحن نتمكَّن من التغيُّر والتخلُّص من جذور الخطيئة بشكل أسرع.

حصلتُ على رسالة من شخص يقول فيها أنّه قرأ جميع كُتُبِي، مُوافقٌ على كل شيء وبِفَضْلِها تمكّن من التغيُّر. لكن وُلِدَ لديه طِفْلٌ مُصابٌ بِمُتلازِمَة داون وهو عاجزٌ عن فهم السبب. لم يُنبئ شيءٌ بالمأساة، لم يحصل على أي إشارات.

غالباً كنتُ أقول للناس الذي يأتون إليّ:

- كل شيء على ما يُرام لديكم، لا أرى مشاكل على المستوى الرفيع. توجد مشاكل لدى الأنجال فقط.

كنتُ أقترح على هؤلاء المرضى الصلاة من أجل أنجالهم، الصَّوم والاعتزال. كان يجب الصلاة من أجل أن يتعلَّم الأنجال الحبَّ، الصفح، الاعتزال، رؤية الإرادة الإلهية في كلِّ شيء، تقبُّلها وعدم الزعل من المصير.

فهمتُ لاحقاً أنَّ الصلاة وحدها غير كافية. من الضروري تغيير العلاقة ليس بالماضي والحاضر فحسب، إنما بالمُستقبل كذلك، وإنَّ هذا ممكن من خلال تحوُّل الطبع فقط. بتغيير العلاقة بالماضي كنتُ أفتَرِضُ تغييراً أعمق في الطبع حين يتوقَّف الإنسان عن اقتِراف الخطايا حتى بطريقةٍ لاواعية. يجب أن تكون العدائية تُجاه الإرادة الإلهية ومُقاومتها مَعْدومةً على مستوى الوعي الباطن.

حين تحصلُ تغيُّرات عميقة في الطبع تلمُسُ مستوى الأنجال، حينها تتوقَّرُ فرصةٌ لترتيب المُستقبل وليس الماضي والحاضر فقط. يُصبحُ هذا ممكناً بفضل تغيير المشاعر العميقة. الصلاة، التوبة على الخطايا والسلوك الصحيح يسمحون بتحسين الطبع والتخلُّص من الخطيئة.

فتَحَتِ اليهوديةُ أمام الناس إمكانيات هائلة لتحسين الطبع وتحوُّل الشخصية. الوصايا العشر التي مُنِحَت لموسى على جبل سيناء ستبقى ضرورية للبشرية دائماً. حبُّ الخالق أكثر من أي شيء، عدم التعلُّق وعدم تعبُّد أحد غير الله، كبحُّ الغرائز الحيوانية، عدم القتل، عدم السرقة، عدم الحسد – ستبقى هذه الوصايا مُطابقةً للواقع دائماً.

أكدُ المسيح ما هو مكتوب في العهد القديم: من الضروري الالتزام بالوصايا العشر، الصلاة، التضحية، التوبة على الخطايا. كان المسيح يقول أنَّ الخطيئة ليست مُجرَّد سلوك خاطئ، أفعال سيئة. الخطيئة تصدرُ من الداخل، الخطيئة هي تعبيرٌ عن مشاعرنا العميقة التي تُبعِدُنَا عن الله وتُدفَعُنَا لتعبدُ العالم الخارجي.

إدانة الناس، احتقار الأغبياء وغير الشرفاء، الحسد، التخلي عن حب الإنسان الآخر – أشار عيسى المسيح للناس إلى ذلك كُلِّهِ بكونه سبب الخطيئة العميق.

كان المسيح يشرح أنَّ في أساس الخطيئة يقع عدم فهم أنَّ الإنسان مُوحَّد مع الله. إن كان الإنسان لا يفهم أنه مُوحَّد مع الله على المستوى الأعلى، فهو يُواجه بإرادته الإرادة الإلهية، وإنَّ هذا بداية أي خطيئة. في البداية يحس الإنسان بشعور التفوق، ثم ينشأ خوف فقدان ما هو يملكه، ثم ينشأ الحسد والغضب. بهدف تغيير الطبع نحو الأفضل يجب استئصال أساس الخطيئة – التكبر. إن لم يفهم الإنسان سبب الخطيئة فسيستمر الصراع مع الخطيئة إلى الأبد. سيتخلص الإنسان من مرض وسيُصاب بالمقابل بمرض آخر.

مذهب الجسد

مؤخراً رُوِيَتْ لي قصَّة المُمَثِّل "سافلي كرامиров" (Saveliy Cramerov). بعد سفره إلى أمريكا قام بكل شيء بهدف بلوغ عمر ١٢٠ سنة، لكنه مات في عمر السنتين من السرطان.

كان المُمَثِّل يتَّبِع أسلوب حياة صِحِّي بامتياز، يلتزم بدقة بجميع توصيات أخصائيي التغذية ويدرس أسس الطب الشرقي. بعد استيقاظه صباحاً كان يشرب شاياً من الأعشاب الطيبة، يُصلي لله ويسبح. كان يتغذى بالفواكه والخضار النظيفة إيكولوجياً، يغمر العصائد بالماء المغلي فقط، لا يتناول مُنتجات الحليب، البيض، الملح، السُكَّر، الخبز، ناهيك عن اللحم. وكان يمتنع عن الطعام دورياً لمدة عشرة أيام.

كان ينتهج أسلوب حياة ناشط، لا يشرب، لا يدخن، يتأمل كثيراً. ومع كل ذلك يلتزم بصرامة بجميع وصايا الديانة اليهودية. كان حاضماً يؤكد أنه لم يُصادف بين نجوم هوليوود أشخاصاً يتمتعون بإيمان "كرامиров". امتنع عن العروض المُربحة إن كانت العروض تتطابق مع أيام الأعياد اليهودية، كان يمتنع عن العمل أيام السبت حتى لو تُعرض عليه أموال كبيرة.

لكن لاحقاً أصيب بآلم في جانبه الأيسر، ووضِع له تشخيص "سرطان المعى المستقيم". أُقيمت للمُمَثِّل فوراً عملية وعلاج كيميائي، لكن بعد العملية

أصيب بسكتتين، فقد بصره... بعد خمسة أشهر توفي "سافيلي كرامبروف". لكن حتى علي فراش الموت كان يسأل إن كانت تُقدّم له وجبات طعام كوشير. أذكر قصةً مشابهة. قبل ١٥ عام زارني في العيادة شخصٌ مع تشخيص "سرطان الحلقوم". كان أحد أتباع الماكروبيوتيك في أمريكا. كان لديه سؤال واحد: كيف حصل أن شخصا ينتهج أسلوب حياة صحي، يتغذى بطريقة صحيحة بامتياز أصيب بسرطان الحلقوم؟ وهذا علما بأن الماكروبيوتيك تُشفي عددا كبيرا من الأمراض الخطيرة.

شرحتُ له أن على الامتناع عن الطعام والتغذية الصحيحة أن لا يُسخرَا لهدف طماع. يمتنع الإنسان عن الطعام بهدف اعتزال جسده، روحه والطبقات السطحية للنفس، فالشعور ب"الأنا" الأبدية والوحدة مع الله. عندما يكون الهدف من الامتناع عن الطعام والتغذية المتوازنة ترتيب النفس والاعتزال عن كل شيء، حينها بفضل الطاقة العليا التي تبدأ بالتدفق يستعيد الإنسان شبابه، يشفى، تتحسن أوضاعه. أما إن كان الهدف هو اليسر أو الصحة، حينها بعد حصوله على الطاقة العليا يشتد تركيز الإنسان على الجسد الفيزيائي والبنيات الروحية. بتطهره من الخارج هو يتعلّق في داخله بنواحي الوجود الداخلية والخارجية. التعلّق هو ما يُسبّب العدائية الباطنة تحديدا، ثم المرض.

شرحتُ لذلك الشخص أنه وضع الغذاء مكان الله. هو قرّر أن ليس الله هو من يَمْنَح الصحة، إنما الغذاء. لقد نسيَ بأمر الله. أصبحَ الغذاء بالنسبة له مصدر الصحة واليسر وليس الله. حصلَ تخلّ داخلي عن الحبِّ والله، ولهذا السبب ظهر لديه السرطان. حين أدرك سبب مرضه تحسّنت حالته. لدى الأمريكيّين مقارنة براغمانيّة تُجاه كل شيء. المعلومات التي تدعو اعتزال القيم الدنيوية قد تُشكّل خطرا على صحتهم ويسرهم.

يحاولُ الناس أحيانا التخلص من الخطايا، التوبة عليها، نقلها على أحد ما أو انتظار مجيء يوم حين تُحرّر الخطايا كُلّها، - إلا أن ذلك لا يأتي بنتيجة. حين يُحاول الإنسان تطهير نفسه بالصلاة، السلوك الظاهري الصحيح أو التضحية لكن لا يتغيّر مع ذلك، فإن خطاياها تبقى معه.

يُحاول البعض الشعور بالحبّ تجاه الله، يُحاولون التصرّف بشكل صحيح والتقيد بالوصايا، لكن مع ذلك شعورهم بأن "الأنا" البشرية خاصّتهم ذات أهميّة كبرى وفريدة تُعيقهم في التغيّر. إن لم يتخطى الإنسان التكبر، أي

أولوية الأصل البشري، فإنَّ تغيير الطبع يصبحُ مستحيلاً. قد يتغيَّر السلوك، قد يتغيَّر الطبع لدرجة مُعيَّنة، إلا أنَّ تحوُّل الشخصية لن يحصل.

من الضروري الشعور بأنَّ "الأنا" البشرية خاصتنا قصيرة الأمد وعابرة، أما "الأنا" الأبدية فمن خلق الخالق وذاتية فيه. في جميع الكُتُب المُقدَّسة مُشفَّرة معلومات عن أنَّ الإنسان مخلوقٌ بالله وإلهي في جوهره، ما يعني أنَّ عليه أن يشعر ذاته أولاً جُزئياً من الله، ولاحقاً فقط إنساناً من لحم ودم. على شعور الحبِّ الذي يَصِلُنَا بالله أن يكون في المقام الأول.

تنفيذ الوصايا، السلوك الأخلاقي – هما المراحل الأولى في تغيير الشخصية. في العهد القديم موصوفة عملية تغيير طبع الإنسان – عملية الانتقال من الحالة الحيوانية إلى البشرية، من الوثنيَّة إلى التوحيد. يكمن جوهر هذا الانتقال في تغيير السلوك بطريقة يتناسبُ مع "الأنا" العليا للإنسان.

الحب، الرحمة، السلوك الصحيح، الالتزام بالوصايا يُغيِّرون الطبع نحو الأفضل، فيتحوَّل الإنسان تدريجياً مُقترَباً من صورته الإلهية.

التوتر – حياة أم موت

تَوَصَّل الطبُّ المُعاصر إلى استنتاج لا يقبل الجدل مفاده أنَّ جميع الأمراض عملياً هي نتيجة توترٍ قاهر. في البداية، واضعُ مفهوم "التوتر"، "هانس سيللي" قال: "التوتر – موت"، "لكن لاحقاً أعلن: "التوتر هو الحياة". الموقف غير المُتَوَقَّع الذي يُضطرُّ الإنسان للتأقلم معه يسبب التوتر. التوتر هو حالة ضغط داخلي يحصلُ كردة فعل وقائية على الشروط المُتغيِّرة. إن كان الإنسان يقوم بردة فعل صحيحة، فالتوتر – حياة، ويؤدي إلى النمو. إن كان الإنسان يقوم بردة فعل خاطئة فقد يُصاب بمرض بعد التوتر القوي. الأهم هو التعاطي الصحيح مع الموقف المُسبِّب للتوتر.

الموقف المُسبِّب للتوتر هو في جوهر الأمر تدمير لصورة العالم المُألوفة. للبقاء على قيد الحياة في العالم المُحيط على كلِّ إنسان امتلاك نموذج تقريبي عما يحصل، والأهم، - عما سيحصل. يمكن تسمية هذا النموذج بصورة العالم المُحيط.

يكمن الفرق بين الصورة والتركيبية الفكرية في أنَّ الصورة مرتبطةٌ بالمشاعر. لذلك يمكن أن تُركِّز في الصورة معلومات ذات كثافة هائلة. على

خلاف الفكرة التي تتميزُ ببنيةٍ خطيةٍ، تتميزُ الصورة ببنيةٍ حجميةٍ. الصورة قد تحوي كمًا هائلًا من المعلومات.

حين يُصيبننا ما كنّا نتوقَّعه فذلك يعني أنّ نموذجنا عن العالم يعملُ بشكل صحيح. لكن إن ما يحصل لا يتوافق مع تصوُّرنا، - فذلك يعني ضرورة تكوين نموذج أكثر كمالًا أو نموذج جديد. تطويرُ النموذج القديم لا يحتاج الكَمَّ الكبير من الطاقة الذي يحتاجه تكوين التصوُّر الجديد، النموذج الجديد، - لذلك فإنَّ التغيير الجذري لنموذج العالم يكون غالبًا مُميتًا بالنسبة للإنسان. المعلومات الجديدة قد تُشكِّل خطرًا على الإنسان إن كان هو عاجزًا عن استيعابها. إن كان الموقف الحاصل لا يندرجُ أبدًا في إطار الأنماط المُعتادة، حينها يحصل قذفٌ للطاقة ضروريٌ لتكوين تصوُّر جديد. إن خرجَ قذف الطاقة عن السيطرة، يحصل فقدانٌ مُميتٌ للطاقة، فيموت الإنسان من الاحتشاء، السكتة أو تمزُّق القلب. يحصل أحيانًا أنّ الإنسان يرفض الإيمان في ما يحصل والتفاعل مع الموقف الجديد، يُحاول الهروب إلى منطقةٍ حيث لا وجود لعوامل مُسبِّبة للقلق.

عادة يُقابلُ ممثِّلُو الدين والعلم المعلومات الجديدة بخصومةٍ عنيفةٍ؛ الاعتياد عليها يتطلَّبُ أحيانًا سنوات وعشرات السنوات. هذا الوقت يكون مُخصَّصًا لتكوين تصوُّر جديد، نموذج جديد عن العالم.

نماذج العالم الأساسيةُ تأتيان من خلال التعاليم الدينية، من خلال الكتب المُقدَّسة. منذ آلاف السنوات معلوم أنّ العالم مُنظَّم بشكل عقلائي ومُحكوم بالقوى الغلّيا. هذه الصورة هي من أكثر الصور سعةً وقُوَّةً التي تسمحُ لنا الاسترشاد في العالم المُحيط. إن كان العالم قانونيًا، شرعيًا، ففي هذه الحال يمكن إدراكه. إن كانت هناك إرادة إلهية، فيمكن الشعور بها. إن كنا نؤمن بالله فنحن ندركُ العالم، نتأقلم معه بشكل أسهل، وبالتالي، ننجح في البقاء أحياء.

يسمح الإيمان بالله بتقبُّل التوتر بشكل أسهل. إن كان الإنسان عاجزًا عن فهم شيء ما ومع ذلك يتوكَّل على الإرادة الإلهية، فحينها هو يقتصد طاقته الحيوية الداخلية الأساسية ويتحمَّل بسهولة أكبر الفائض في التحميل الذي كان ليقْتله ببساطة لو هو حاول حلَّ المشكلة بمفرده.

نموذج العالم هو الصورة التي تسمحُ لنا بالتأقلم مع المستقبل، تسمحُ فهمُ ما يحصل والتحكُّم بالعمليات التي تجري من حولنا.

ما كَيْفِيَّةُ تَقَبُّلِ التَوْتَرِ بِشَكْلِ صَحِيحٍ وَلَمْ يَعِجْزُ النَّاسُ عَنِ الْقِيَامِ بِذَلِكَ غَالِبًا؟ التَوْتَرُ هُوَ انْهِيَاؤٌ لِلصَّلَاتِ الْمَأْلُوفَةِ، لِلتَّصَوُّرِ الْمَأْلُوفِ عَنِ الْعَالَمِ، هُوَ فَقْدَانُ اللَّيْقَمِ الَّتِي نَحْنُ مُتَعَلِّقُونَ بِهَا. الْقُدْرَةُ عَلَى تَقَبُّلِ التَوْتَرِ تُحَدِّدُ بِمَقْدَارِ تَحَرُّرِ الْإِنْسَانِ فِي الدَّخْلِ. كَلِمَا كَانَ تَعَلُّقُ الْإِنْسَانِ بِهَذِهِ أَوْ تِلْكَ الْمَوَاضِيْعِ، الْمَفَاهِيْمِ، الْقِيَمِ أَقْوَى، اشْتَدَّ أَلَمُهُ لَدَى تَقَبُّلِ الْمَوَاقِفِ الصَّادِمَةِ، اَزْدَادَتْ عَلَيْهِ صَعُوبَةُ الْحِفَافِ عَلَى التَّوْازَنِ الطَّاقِي وَازْدَادَ نَشْوءُ الْمَشَاكِلِ لَدَيْهِ سُرْعَةً.

يُحَاوِلُ الْإِنْسَانُ تَعْوِيضَ كُلِّ خَسَارَةٍ بِإِفْرَازِ لِلطَّاقَةِ. حِينَ لَا يَتَقَبَّلُ الْإِنْسَانُ مَا يَحْصِلُ، يُقَاوِمُ مَا حَصَلَ هُوَ يَقْذِفُ كَمَا كَبِيرًا مِنَ الطَّاقَةِ مُحَاوِلًا اسْتِعَادَةَ مَا دُمِرَ، فَيَفْقِدُ طَاقَتَهُ الْحَيَوِيَّةَ الْأَسَاسِيَّةَ، الْأَمْرَ الَّذِي يُؤْدِي إِلَى الْأَمْرَاضِ، الْمَتَاعِبِ، الْمَآسِي وَالْمَصَائِبِ الْآخَرَى.

التَّعَلُّقُ هُوَ تَحْدِيدًا مَا يَمْنَعُنَا عَنْ تَقَبُّلِ التَوْتَرِ بِشَكْلِ صَحِيحٍ. تَقَعُ فِي أُسَاسِ التَّعَلُّقِ الصُّورَةُ الْخَاطِئَةُ عَنِ الْحَيَاةِ – التَّسَاهُلُ مَعَ الرِّغْبَاتِ، الْغَرَائِزِ الْخَاصَّةِ، عَدَمُ الْاِعْتِدَالِ. الْإِنْسَانُ الْقَادِرُ عَلَى ضَبْطِ الرِّغْبَاتِ قَادِرٌ عَلَى التَّضْحِيَةِ، أَيَّ قَادِرٌ عَلَى تَدْمِيرِ حَيَاتِهِ الْمُرِيحَةِ الْمَأْلُوفَةِ طَوْعًا. الْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ وَالْأَخْلَاقِي قَادِرٌ عَلَى الْفُقْدَانِ، ضَبْطِ الرِّغْبَةِ، التَّضْحِيَةِ وَيَتَحَمَّلُ أَيَّ تَوْتَرٍ بِسَهُولَةٍ أَكْبَرَ.

سَبَبُ التَّعَلُّقِ قَدْ يَكُونُ نِظَامُ الْأَهْدَافِ الْخَاطِئِ. إِنْ كَانَ هَدَفُ الْإِنْسَانِ الْأَسَاسِيُّ الْمَالُ، فَهُوَ لَنْ يَحْتَمِلَ فَقْدَانَ الْمَالِ. إِنْ أَصْبَحَ الْيُسْرُ الْمَادِي وَالرَّاحَةُ هَدَفُهُ الْأَسَاسِي، فَهُوَ سَيَخْشَى حَتَّى الدُّعْرَ الْأَلَمَ، الْمَوْتَ، وَسَيُؤْدِي فَقْدَانُ الرَّاحَةِ إِلَى اِكْتِنَابِ قَوِي، ثُمَّ الْمَوْتَ.

التَّعَلُّقُ هُوَ نَتِيجَةُ الْخَطِيئَةِ، قَتْلِ الْحُبِّ فِي النَّفْسِ، عَدَمِ تَقَبُّلِ الْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ، عَدَمِ فَهْمِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُوَحَّدٌ وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَحْدَاثِ شَرْعِيَّةٌ. حِينَ يُخِلُّ الْإِنْسَانُ بِمَشَاعِرِهِ وَأَفْعَالِهِ بِالْوَصَايَا يَشْتَدُّ تَعَلُّقُهُ بِالدُّنْيَا، فَيُصَابُ بِالْمَرَضِ وَيَبْدَأُ بِاقْتِرَافِ الْجَرَائِمِ. الْمَرَضُ يُوقِفُ غَالِبًا الْجَرَائِمَ الْمُسْتَقْبَلِيَّةَ.

إِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ يَمْلِكُ مَنْظُومَةً قِيَمٍ صَحِيحَةٍ وَيُدْرِكُ أَنَّ مَغْزَى الْحَيَاةِ يَكْمُنُ فِي خِدْمَةِ اللَّهِ، حِينَهَا تَتَخَطَّى قِيَمُهُ حُدُودَ الْحَيَاةِ وَيَتَضَاعَلُ اِرْتِبَاطُهُ بِالْحَيَاةِ وَالْغَرَائِزِ. إِنْسَانٌ مُمَائِلٌ يَتَحَمَّلُ بِسَهُولَةٍ أَكْبَرَ أَيَّ تَوْتَرٍ، - التَوْتَرُ لَا يُدْمِرُهُ، إِنَّمَا يُنْمِيهِ.

بِمَا يَخْتَلِفُ النَّمُو عَنْ الْاِنْحِطَاطِ وَالتَّدمِيرِ؟ النَّمُو هُوَ عَمَلِيَّةٌ تَدْمِيرٌ مُتَحَكِّمٌ بِهَا. حِينَ نَتَحَكَّمُ بِعَمَلِيَّةِ التَّدمِيرِ، حِينَهَا نَحْنُ نَخْلُقُ شَيْئًا جَدِيدًا. إِنْ لَمْ يَحْصَلِ هَذَا التَّحَكُّمُ، يَحْصَلُ انْهِيَاؤٌ. تَصْبِيحُ عَمَلِيَّةِ التَّدمِيرِ قَابِلَةً لِلتَّحَكُّمِ حِينَ يَوْجَدُ

شعور الحب وإيمان بالله. كلما كان شعور الحب وإحساس الوحدة مع السبب الأبدي الأول في نفس الإنسان أقوى، ازدادت عليه سهولة تحمّل أي تؤثر وازدادت سهولة تحويل التدمير إلى خلق.

الطبّ المعاصر وعلم اللاهوت توصلا إلى الاستنتاج ذاته: الإدراك الخاطئ للعالم يؤدّي الأمراض، المشاكل والمآسي. الإدراك الخاطئ للعالم - هو عدم تقبّل ما يحصل. هو التأثير، بلغة العلم، أو عدم تقبّل الإرادة الإلهية، باللغة الدينية.

الإنسان المؤمن يتقبّل بهدوء كلّ ما يصيبه. هو يحافظ على الحب في نفسه ويواجه الموقف على المستوى الخارجي فقط. في الداخل هو يشعر بالإرادة الإلهية ولا يقاومها. المُلجّد يرى العالم عدائياً، وحين يحاول حلّ النزاع، هو لا يبدأ بالمواجهة خارجاً فقط، إنما داخلاً كذلك. الصراع الداخلي مع العالم المحيط هو خسارة معروفة سلفاً وخسارة للطاقة الحيوية الأساسية، الأمر الذي يؤدي إلى أخطر الأمراض.

الحب في النفس والإيمان بالله - هما الشرطان الأساسيان للتغلب على التأثير. يُقال في الكتاب المقدّس أنّ أساس جميع المشاكل، سبب جميع الأمراض والمآسي هي الخطيئة التي يقترفها الإنسان. بهدف التغلب على الأمراض والمآسي يجب التغلب على الخطيئة الأساسية في الذات - خطيئة التكبر. اكتساب الحب في النفس وتعزيز الوحدة مع الله - السبيل الوحيد للتغلب على التكبر.

المصير والصحة

منذ سنوات طويلة أنا مُصابة باختلال وظيفي في المبايض، العقم. بعد أن قرأت كتابك السابع عملت المبايض شهرين. في تلك الفترة جرحت أصبع يدي بقوة. لدى تخييط الجرح كُدتُ أموت بسبب التخدير. كان الوضع مخيفاً، لكنني كنتُ أحاول التوجّه للحب. إصبعي الآن جامد، المبايض لا تعمل، وأنا مُصابة بالتهاب مُستمر في الحلق.

هل أنا مُتجهّة للحب أم لا؟

يعمل الطبّ المعاصر مع النتيجة. لكن إن لم يكن السبب مُزالاً، فستظهر عوارض ثانوية. لا جدوى من مُصارعة المشكل على المستوى الظاهري إذ

ذلك في جوهر الأمر صِراعٌ مع المصير. يجوز ومن الضروري التوجُّه إلى الأطباء، لكنَّ الصراع الحقيقيَّ مع المُشكِـل هو تغيير الطبع الخاص لأنَّ الطبع هو مصدرُ مشاكلنا تحديداً.

في الماضي كنتُ أعتبرُ أنَّ الاختلال الوظيفي في المبايض والعقم مرتبطان بالغيرة. الغيرة تُفعلُ برنامج التدمير الذاتي، فتظهر الأمراض النسائية، العقم، المشاكل مع الأبناء. لاحقاً أدركتُ أنَّ الغيرة هي نتيجة التكبر. المرأة ذات التكبر المفرط تغارُ حتماً. هي تعجزُ عن تقبُّل الفراق مع الإنسان المحبوب، موته، خيانتَه، سلوكه الخاطئ. يتملُّكُ المرأةُ دُعرٌ شديد بسبب خوفها من فقدان الحبيب. يستحيل التغلُّب على الغيرة إن لم يتغلَّب الإنسان على التكبر.

بهدف التغلب على التكبر يجب الاجتهاد كل يوم للتخلص من صفات الطبع السلبية التي تُميّز الإنسان الحاضر على مستوى الجسد، والانتقال إلى مستوى أعلى - مستوى الروح، ثم النفس. بهذه الطريقة نحن نغيّر تدريجياً نحو الأفضل. الانتقال إلى مستوى النفس يفترض إهانة "الأنا" البشرية: تقبُّل الإحباط، الامتناع عن شعور العدل الخاص. القدرة على الصفح، عدم الندم على الماضي وعدم الخوف من المستقبل - هم السبيل إلى خلاص النفس.

عمرى ٢٧. أعانى من كَلَلٍ في التفكير، يصعُبُ عليّ بعثُ المواد في الذاكرة وحفظها، وكذلك إعطاء تقييم موضوعي. لا يسهل عليّ دائماً التواصل بسهولة وبلا تكَلُف. أعانى من قابلية للتعب، أضطُرُّ للراحة عدة مرات في اليوم. انتصاب ضعيف، حيلٌ مُنخَفِض، انعدام للإرادة. يصعُبُ عليّ الحفاظ على علاقات الصداقة والعلاقات الغرامية النشطة. العمل الفكري والفيزيائي الناشط يتخطى مقدوري. هذا كُلُّه بدرجة مُتخَلِّفة يمتدُّ منذ ثمانية سنوات ونِصف، بدأ في الجيش.

علاقتي بذاتي والناس، علاقة الناس بي، إدراكي لعلاقتهم بي ... -
مُحاولاتي في الإفلات بطرقٍ مُختلفة من هذه الحُلقة المُعلّقة بآئسة. المشاكل
كثيرة والفشل كثير. هل بإمكانك أن تُردّ علي؟

ما هي دلائل التكبر الأساسية؟ هو شعور التفوق على الآخرين، سرعة الغضب، الامتناع، الرغبة في إثبات الحقانية والأهمية الخاصة باستمرار، إهانة الذات، تأنيب الذات، التشنج. إضافة لذلك من دلائل التكبر التهيج المفرط للوعي والتهيج الداخلي.

عليك أن تتعلم الهدوء الداخلي. اليوغا تساعد جيدا على الارتخاء واعتزال "الأنا" البشرية (ego). ما المشترك بين اليوغا ومفهوم مثل الحلم؟ الجوهر نفسه: التنحي عن "الأنا" البشرية الخاصة المهتاجة.

كذلك قد يساعدك الامتناع عن الطعام مرة في الأسبوع، ومن المفضل قبل ذلك الانتقال إلى الحمية النباتية. من المفيد الامتناع عن الطعام قبل عدة أيام من اكتمال القمر وقبل أن يصبح هلالا. هذا يسمح بالاتزان والشعور بـ "الأنا" العليا. تمارين التنفس صباحا، تقييد الذات في الجنس، تناول الطعام، التواصل – هذا كله يساعد على التنحي عن "الأنا" البشرية (ego) وتفعيل "الأنا" العليا خاصتنا.

علي مرأى من الذات يمكن تعليق لائحة صفات الطبع التي من الضروري أن تتغلب عليها: سرعة الغضب، إدانة الناس، الامتناع، عدم الرضا عن الذات، القلق على المستقبل. وبجانبها تعليق لائحة الصفات التي يجب تربيتها في الذات: القدرة على العيش بالنفس والمشاعر، الفرح، عدم الارتباط بالعالم المحيط، الحرية الداخلية، الشجاعة، الصدق، طيبة النفس، الأمانة، التضحية، القدرة على حب واحترام الذات والآخرين. ابدأ بالتغيير قليلا كل يوم.

في السابق كنتُ أعمل بشكل أساسي مع أناس مُصابين بأمراض مُستعصية أقول لهم أنه يجب التوبة، الصلاة. كانوا يقومون بذلك، فيشفون. الآن يجري الحديث عن تحويل منظومة مُخصّصة للمرضى إلى منظومة مُخصّصة للناس السليمين، علما بأن المنظومة ستكون مُفيدة للجميع.

يجب السعي لأن تكون إنسانا مُجبا في الداخل. بهدف تحقيق ذلك يجب أن تُصبح إنسانا جسورا، فرحا، مُثقالا، كريما، نشيطا، مُتحررا في الداخل، يجب تعلم التضحية، التفاعل والتعاون مع الناس، قول الإطراء لهم، يجب إدراك العالم المحيط ببساطة. لا يجوز هدم الصحة بالإفراط في العمل. يجب تصديق النفس أكثر من تصديق الرأس.

إنها قواعد بسيطة. ابدأ بتغيير طبعك وراقب كيفية تغيير حياتك مع ذلك.

أنا مُصابة بفتق في العمود الفقري. خلال السنتين الأخيرتين أُعاني باستمرار من آلام في الظهر وفي الجهة اليسرى من جسدي. أنا أقرأ كتابك منذ زمن بعيد لكني أعجز عن حل مشكلة الظهر.

العمود الفقري يُشبه التَّصوُّر عن العالم الذي يُحدِّد إدراكنا الوجودي وطَبْعنا. كلما كان تكبُّر الإنسان أعلى، كلما كان شعور الأهمية الذاتية وصحة الرأي الخاص أقوى، اشتدَّت مُعاناة العمود الفقري. الإنسان الذي يشعر ذاته على حق يُطيل الزل عادية، يُدين من يُحيطون به، دائم الغضب، وهذا يؤثر على حالة عموده الفقري.

ذات مرة غضبتُ بسبب أن زوجتي لم تنتظرنني في المحل. بعد أسبوع أُصبتُ بالآلام قويَّة جدا في الظهر. فهمتُ أن فتقا في العمود الفقري بدأ ينمو لديّ. صليتُ، صفحتُ، وبعد مرور بعض الوقت زال الوجع، ولم ينشأ الفتق. لا يكفي أن تصفحي وتغيّري ذاتك بشكل سطحي. من الضروري التغيُّر على مستوى الطبع.

خلال فترة الحمل كنتُ أُصابُ بالزُّكام باستمرار، كان حلقي مُلتهباً. كنتُ أرقد باستمرار في قسم الوقاية بسبب نزيف الدم. وُلِدَ الطِفْلُ مخدوجاً. استعاد صحته بسرعة، لكنه يُصابُ بالزُّكام غالباً. وأنا يَلْتَهَبُ حلقي باستمرار رغم الأدوية التي أتناولها. علام علي التركيز؟

يُصاب بالتهاب اللوزتين من يكون غير راضٍ بالمصير. كلما كانت المرأة أكثر ذكاءً، علماً، كلما كانت أكثر ثِقَةً بجمالها وذكائها، اشتدَّ تكبُّرها وازداد خطرُ إصابتها بالتهاب اللوزتين. بسبب التكبر المرتفع تنخفض الطاقة وبالتالي تنخفض المناعة، لذلك يمرضُ أبناء هذه المرأة باستمرار. نزيف الدم خلال الحمل يعني أنك كنتِ عاجزةً عن الحِفاظ على الحب، تقبُّل الإرادة الإلهية، التغيُّر، الصفح خلال الحمل. أي نزيف دم دليلٌ مستوى مرتفع من التكبر.

يجب العمل على الطبع. اصبحي أكثر لينا، تعلّمي التواصل ببساطة أكثر مع الناس، الصفح عنهم، إيجاد الحلول الوسط، التفاهم، تربية الذات والآخرين. في حال نمت هذه الصفات، وبغض النظر عن إن كانت الصِّحة ستتحسّن أم لا، أنت ستكسبين.

أحد المُمثّلين لعب دور القيصر يوحنا المُخيف بطريقة مُقنّعة للغاية، وبعد ذلك سال الدم من حلقه، فرقد شهرين في الإنعاش. إن لدى خلقه صورة، نفس الشخصية التي يُمثّلها لا ينطلق المُمثّل من الحب، قد تنشأ لديه مشاكل كبيرة. لدى لعبه الدور، خلقه الصورة، على المُمثّل أن يفهم أن جميع الناس يتمتّعون بجوهر إلهي.

على ما يبدو، بتفمّمه صورة الشخصية نسي هذا المُمثّل أن كل إنسان إلهي، أن جميع صفاتنا السلبية – الشراسة، القسوة وإلى آخره – سببها جهلنا الخارجي. كل صورة شخصية يخلّفها المُمثّل يجب أن تمتلئ حباً أولاً، ولاحقاً فقط بالصفات البشرية غير الكاملة.

يجب التعامل مع الناس بالطريقة نفسها – في كلّ إنسان يجب رؤية صورة عن الله، ولاحقاً فقط ما هو بشري. هذا سيسمح بإيقاف العدائية وفتح الحب في النفس.

بدأت قراءة كُتُبك منذ زمن بعيد جداً، أدركت فوراً أن لدي تكبر، وبدأت العمل على ذاتي. أصبحت أكثر لين، هدوء، بدأت حياتي تتغيّر. فرحت واستغنيت، تركت كُتُبك، فأنحدر كل شيء خلسةً إلى ما كان عليه في السابق...

الآن أنا مُصابّة باللويميا. أجهلُ إن كنتُ سأبقى على قيد الحياة. انصحتني بما علي فعله.

كُتُبي ليست دواءً يمكن الشفاء بفضلِهِ بعد "تناؤله". كُتُبي – محاولة لفهم القوانين الكونية، محاولة للجمع بين العلم والدين. كثيرون يضعون أبحاثي في أساس الزاوية ناسين بأمر الدين.

إزالة العدائية – هي الخطوة الأولى. الخطوة الثانية هي تحسين الطبع بكونه مصدر العدائية. ثم يجب التغلب على التكبر الذي يُعيق تغيير الطبع

والتعلُّب على التعلُّق – مصدرُ التكبر. حين نبدأ الشعور بحضور الله في كلِّ شيء يُساعدنا إحساسُ الوحدة مع الخالق في التغلُّب على التعلُّق بالدُّنيا. يمكن مُقارنة هذه المراحل بالصفوف المدرسية. من المُستبعد تخطيها بسُرعة. يظنُّ كثيرون أنَّ في حال أزيل الزعل وأزيلت "التعلُّقات" فلا داعي للقيام بأي شيء آخر. لكن إن تغلَّب الإنسان على مشاكله على المستوى الظاهري فقط فإنَّ تعلُّقه الداخلي قد يشتدُّ بسبب أنَّ حالته الخارجية قد تحسَّنت. كلما تحسَّنت حالة الجسد، قد تزدادُ حالة النفس سوءا. وحين تتعلَّق النفس بالدُّنيا يُصاب الإنسان بالمآسي أو يُصابُ فجأة بمرض مُستعصٍ رغم أنه قد صفح عن الجميع واعتزل كلَّ شيء.

إن كان توجُّه الإنسان صحيحا فهو لن يُصاب بذلك. الأهم في الحياة – حبُّ الله، تقبُّل إرادته والسعي المستمر له. إن قرَّرتَ تسلُّق الجبل، فعليك السعي لقمته وليس البقاء في منتصف الطريق.

أعجزُ عن النوم. مُتعبَةٌ حتى الموت.

لدي ابنٌ صغير، زوج، منزل، عمل. الأطباء يبتسمون ولا يصدقونني، يقولون: لو كان الأمر كذلك لَمُتت منذ زمن بعيد أو رميتَ نفسك تحت القطار.

لم أعد أهتم لشيء. احباط، قلق، لا طاقة. كيف أسير، كيف أتنفَّس – لا أعلم. لا مشاعر كذلك. لا أستطيع التفكير. لا موت، لا حياة.

عمري ٣٦. كيف علي الاستمرار بالعيش؟

لا أمل في التحسُّن، لكن لكل حالة مخرج. ما الذي قادر على مُساعدتي؟

توجدُ نِكَّةٌ. إحدى أتباع الأبرشيَّة تسأل الكاهن:

- ما رأيك بالنواحي الأساسية للمسائل الوجودية الخاصة بوجود الإنسان على نطاق التطوُّر الشامل لحضارتنا؟

يُجيبها الكاهن:

- حمقاء، حان الوقت لتتزوَّجي، تزوَّجي فوراً!

لا يُفترَضُ بالمرأة التفكير كثيرا. مسموحٌ للرجل التفكير إذ أنَّ تكبُّره يُوازنُ بالمُجازفة، إمكانية الهلاك. عليه أن يكون حاميا، يجب أن يكون لديه استعدادٌ لمُفارقة الحياة في أي لحظة. لكن إن يهللك الرجل، فعلى المرأة أن تعيش.

طريقة جيدة للمرأة للتغلب على التكبر هي التقليل من التفكير والعيش بالمشاعر أكثر. الرجل - روح، المرأة - جسد. حين يحيا الرجل بالعقل أكثر، أما المرأة - فبالمشاعر، حينها يكون هذان الزوجان الديالكتيكيان عائلة متناغمة وزوج صديقين متناغمين. هذا هو جمع المتناقضين. إن انكبت المرأة على الروحانية وبدأت بقمع مشاعرها وإن كان زوجها روحانيا مثلها، حينها تنشأ مشاكل في ولادة الأطفال، صحته، تنهار العائلة وإلى آخره.

من الضروري أن تتعلمي العيش بالمشاعر، العيش بمبدأ "أريد ولا أريد". يوجد تعبير: "ما تريده المرأة، يريده الله". يتواصل الله معنا من خلال النفس لأن النفس خرجت من الله. والنفس هي مشاعرنا. المرأة التي تحيا بمشاعرها تكون أغلب الأحيان أكثر حكمة من الرجل الذي يحيا بالمنطق والعقل. أما حين تمتنع المرأة عن الشعور بكونه نجمة هادية وتبدأ العيش بالوعي استرضاء لتقاليد الحضارة المعاصرة، فلا مفر من المشاكل. نحن مبحنا النوم بهدف أن نرتاح من "الأنا" البشرية خاصتنا (ego)، من وعينا. أنت مصابة بحالة كلاسيكية من الاهتمام المفرط للوعي، الاهتمام المفرط لـ "الأنا" البشرية، التحكم المفرط بالوضع. ابدأي من التوقف عن التفكير والعيش بالمشاعر.

تشخيص ابني الأصغر "خفاء الخصية". اقترح علينا القيام بعملية، فلا نعلم ما العمل...

كان لدى والدتي خمس أولاد؛ أربعة منهم ماتوا بسبب الإدمان على الكحول، وهي كذلك كانت تحب شرب الكحول. ماتت من مرض ألزهايمر وخلال حياتها قامت بـ ١١ إجهاض.

أمي تمكنت من تحقيق ذاتها في المجتمع: حصلت على شهادة عليا في علم التربية، عملت مع الأطفال، كانت محبوبية ومحترمة في العمل. لكنها تعاني من مشاكل صحية كبيرة: من آلام في الرأس، فرط ضغط الدم، مستأصلة مرارثها، مصابة بورم عضلة الرحم، أصيبت بسرطان الصدر في الماضي.

كان زوجها الأول يُكثِرُ من الشرب ويضرُّها. في المرة الثانية تزوّجت أبي، وولدتُ أنا. كانت أمي تحملُ على نفسها عبء المشاكل العائلية كلّها، أبي كان يخشى المُبادرة. هما يتشاجران على هذا الأساس طوال حياتهما المشتركة.

كانت صِحتي ضعيفة: عيبٌ قلبي، حساسية، زكام، مشاكل في المعدة، مشاكل مع الأسنان، التهاب شَعبي، وهن الشرايين المُحيطة، آلام في الرأس... حتى بلوغي الـ ١٥ سنة تقريبا كنتُ لا أنفكُ عن زيارة المُستشفيات بصُحبة أمي.

بدأتُ أعجبُ بالصبيان في عمرٍ مُبكرٍ جدا، وكلّ سنةٍ كان يُعجبني صبيانٌ مُختلفون، لكن أحدا منهم لم يُبادِلني العواطف. عندما بلغتُ الـ ١٨ بدأتُ المُنادمة مع رفقة: حفلات موسيقى الروك، شرب الخمر، أسلوب حياةٍ فارغ. التقيتُ بشاب، فعشنا سوياً ٦ سنوات. كان يَمَعُنِي، يَمَعُنِي عن التواصل مع الأصدقاء، يَمَعُنِي عن ارتداء ما أريدُ وأكل ما أريد. في السنوات الثلاث الأخيرة كان يضرُّني ويُهين عائلتي كُلّها.

سافرت مع أمي إلى منسك "أوبتين"، وهناك انقلبت نفسي. تُبت، تناولتُ القربان وشعرتُ بالسعادة الحقيقية. كنتُ عاجزةً عن العيش من دون الله. كانت نفسي تُغني، كنتُ أشعرُ في داخلي بحبٍ لا محدود تُجاه كلّ شيء، كنتُ أتقبلُ إرادة الخالق في كلّ شيء، أفرحُ لكل لحظة. بعد السفرة بدأتُ حياتي تتغيّر نحو الأفضل بسرعة هائلة. بعد سنة التقيتُ بزوجي وحملتُ بالصبي الأول.

والدي مُصابٌ بالسكري، يُعاني من مشاكل مع الأوعية، أُصيب بنزيف خفيف في المخ. هو يتشاجرُ مع أمي باستمرار ويعيشان كالجيران. أمي مُستعدةٌ للتصالح، لكن أبي سريع الضيم للغاية، مُنغلق، سريع الانفعال. لا أصدقاء لديه، يُشاهد التلفاز طوال اليوم، ينام، يأكل ولا يخرجُ لأي مكان غير الدكان. أمي تذهب إلى المعبد، تشتغلُ بتدبير المنزل، تهتمُّ بأحفادها وتحملُ عبء المشاكل اليومية.

في لحظة ما فقدتُ القدرة على تقبلُ الإرادة الإلهية وبدأتُ تكييف كلّ شيء ليتناسب مع مُخططاتي، بدأتُ حساب كلّ شيء. إن فشلتُ في تحقيقي هدفي أتوتّر وأكتئب. يقول زوجي أني بدأتُ أعيش بعقلي بدل أن أعيش بنفسي. أنا وزوجي نُحبُّ بعضنا كثيرا، لدينا ابنان. أنا أعاني من آلام الرأس والحساسية. حملي الأول مرّ بسهولة، حملتُ مُجددا بعد سنة. الحمل الثاني

كان أصعب، لم أكن أنام نوما كافيا، أتعب، أتوتر غالبا، أجادل. في النتيجة وُلِدَ ابني بوزن خفيف ومع مُشكلة "خفاء الخصية". رجاء، علّق على الموضوع.

"خفاء الخصي" هو أحد أشكال العقم. حين تتراجع النفس إلى المقام الثاني ويتصدّر الوعي المقام الأول قد يظهر العقم. لا يتقبّل الإنسان الإرادة الإلهية، يشتدّ التكبر وتتضاءل القدرة على تقبّل الموقف الصادم. حتى الآن يعجزُ ابنك إدراك العالم، ذاته والله بشكل صحيح. من خلال تغييرك لذاتك في الحاضر وتغيير علاقتك بالماضي بإمكانك البدء بتغيير الوضع حقا ومُساعدة ابنك.

عليك استرجاع جميع المواقف الأليمة التي حصلت معك قبل ولادة الطفلين وخلال فترة الحمل وتقبّلها. لقد مُنحت جميع تلك المواقف بهدف إنقاذ الطفل. إن لن تتمكّني من تقبّل انهيار علاقتك الخاصة، فإنّ الطفل الذي تشتدّ لديه جميع صفات وعواطف الأم لن يتمكّن من تقبّل انهيار العلاقات حتما. هو سيقوم بقتل ذاته أو الآخرين على مستوى الوعي الباطن.

نحن لا نفهم دائما سبب ابتلائنا بالمآسي، المشاكل، الأمراض، لكن من المهم أن ندرك أنّ من خلالها يُعيدنا الله إلى ذاته. هو يُساعد الإنسان على إيجاد طريق العودة حين يتوه الأخير. من خلال المتاعب وإهانة ما هو بشري يتفتّح الإلهي. قال عيسى المسيح أنّ المرض يُمنح ليس بسبب شيء، إنما من أجل شيء.

المرَضُ قادرٌ مُساعدة الإنسان على النمو وعلى السعي لله بقوة أكبر. على من يريد أن يُصبح مؤمنا بالله الواحد أن يُحاول في كلّ ألم ومُشكلة رؤية الإدارة الإلهية إمكانية للنمو والحفاظ على الحب.

كُتِبَ أنّ أمّ جدّتك كانت تُحبّ شرب الخمر. يشرب الإنسان حين يكون عاجزا عن التغلب على الشهوة الجنسية وتقديس رغباته. إلا أنّ هذه المرحلة الثانية الذي يسبقها التكبر. إن كانت المرأة تُدين زوجها، تتخلّى عن الحب بالاكْتئاب وعدم الرغبة في العيش، تشعرُ باستياء من أهلها، فهي حتما ستتوقّف عن تقبّل الإرادة الإلهية وستميل إلى شرب الكحول، الزنى، الإجهاض. من المُحتمل أنّ والدّة جدّتك تخلّت عن الحب بكرّها لمن أساء إليها واحتقارها لإنسانٍ غير كامل.

هل بإمكان امرأة شريفة، صديقة، أمينة أن تتصرف تجاه الله بطريقة أسوأ من مُجرمة، سارقة، سكيرَة؟ يقول المنطق أنَّ هذا أمر مستحيل، لكن في الواقع هذا يحصل أحيانا. كل ما في الأمر هو أنَّ المُجرمة، السارقة، المرأة اللاأخلاقية لا تُدينُ أحدا، أما الأخلاقية، الذكية، المُتقنة فلديها إغراء قوي لأن تُدينَ، تحتقر اللاأخلاقيين والأغبياء.

في العهد القديم يُقال أنَّ الله يُعاقب المُجرم والسارق لخطاياهم حتى الجيل الرابع. من وجهة النظر البشرية القتل هو أعظم خطيئة، هذا ما تقوله الأديان، القانون الجنائي والمنطق السليم. لكن المنطق الإلهي يبدو بطريقة مُختلفة. أبناء المُجرم ملعونون حتى الجيل الرابع، أما أبناء الزانية فملعونون حتى الجيل العاشر. امرأة مُماثلة قد تخون زوجها وتجري خلف الشهوة الجنسية لأنَّ الشهوة الجنسية أهم من الحب بالنسبة لها. يُقال في العهد القديم أنَّ الشبق وعدم انضباط المرأة في الشهوة الجنسية أخطر من القتل.

لكن هناك خطيئة أخطر يروى عنها في الأمثلة عن زوجة الملك داود. زوجة الملك داود، ميلخوما، أدانت زوجها حين كان الأخير يرقص "مام الرب" من شدة الفرح ويتصرف بطريقة لا تليق بملك. انتابها شعور تفوق واحتقار تجاه زوجها - فأصبحت عقيم. يظهر أن بسبب جريمة القتل يُعاقب الأُنجال على الجيل الرابع، بسبب الزنى - حتى الجيل العاشر، أما الإدانة وشعور التفوق فيؤديان إلى انقطاع النسل. أي أنَّ الإنسان يحصل على أقصى عقابٍ لأكثر خطايا خفية.

احتقار الإنسان هو تمرُّق الوحدة الداخلية معه. الحب يجعل الناس مُتساوين. التمرُّق الداخلي، التخلي عن الحب - أكبر جريمة ممكنة، ويُذكر هذا في العهد القديم.

في الكتاب المقدس مكتوب: "من يزيد علما يزيد حُزنا". المعارف تعزُّز الوعي، تضع الوعي في المقام الأول وتُبعد النفس إلى المقام الأول. لكن يستحيل إدراك الله بالوعي المُربوط بالجسد. أنت النفس من الله، نحن نشعر بالله بنفوسنا، لذلك إدراك الخالق ممكن بالنفس فقط.

حين ينصير الوعي لدى المرأة، حين نفّس المرأة العدالة، الحق، تصوّرُها عن العالم، تنشأ لديها مشاكل كبيرة. كلما كانت المرأة أكثر ذكاءً، ثقافةً، موهبةً، جمالا، ازدادت طموحاتها، الأمر الذي يؤثر سلبا على أبنائها.

نحن نهمل ما اقترفته والدة جدّك، لكن من الواضح أنها قد أخلت بالوصية الأولى. نشأت في السلالة نزعة اشتداد التكبر. التكبر يؤدي إلى عدم تقبل

الإرادة الإلهية، عدم تقبُّل الوضع، أي التوتُّر. بعد ذلك يُبدي الإنسان عدائيَّة تُجاه العالم كُلِّه وتحوُّل هذه العدائيَّة لاحقاً إلى برنامج تدمير ذاتي. أحد أهم دلائل برنامج التدمير الذاتي – آلام الرأس. مرض ألزهايمر، التهاب السحايا، مرض باركينسون، الصَّرَع كذلك يشهدون على وجود برنامج التدمير الذاتي.

ليس صدفةً أنَّ والدَةَ الجَدَّة قامت بعدد كبير من الإجهاضات: كلما كانت نزعة المرأة لتقديس الحياة، الشهوة الجنسية، المُتعة أقوى وكلما اشتدَّت تقديسها للجنس، ازداد لديها تفعيل برنامج تدمير الحياة نشاطاً. امرأة مُماتلة تُصبح لأمباليَّة تُجاه أطفالها. هي تقوم بالإجهاضات وتتوقَّف عن حبِّ الأطفال. كلما اشتدَّت شهوة المرأة الجنسيَّة واشتدَّت تعلقها بالحياة، اشتدَّت عدائيَّتها التي تقتلها وتقتل أبناءها وزوجها. في وعي المرأة الباطن الزوج والأبناء – وحدة تامة. المرأة التي تتخلى عن زوجها تكره الأولاد. المرأة التي تتخلى عن الأولاد تكره زوجها.

أمك حققت ذاتها في الناحية الاجتماعية: بعملها مع الأولاد كانت تتعلَّم العطاء والعناية، وهذا نفع نفسها. بهذه الطريقة هي تعلَّبت جزئياً على نزعة السلالة الخطيرة وكوَّنت نزعة البقاء على قيد الحياة. لكن التكبر بقي، لذلك تُعاني أمك من آلام الرأس.

يُمكن الافتراض أنَّ أمك تزوجت والدك لأنها كانت تشعُر بأنَّه أضعف منها فيقوم بالتنازل، الأمر الذي سيسمَح الحِفاظ على العائلة. المرأة ذات التكبر المرتفع تربط حياتها غالباً برجلٍ يخضع لها، الأمر الذي يسمَح بإنقاذ العائلة من الطلاق.

أنتِ تكئين أنَّ أمك كانت تُضطرُّ لحلِّ جميع المشاكل بمفردها، أما والدك فلا يُبادر، فيتشاجرُ أهلُك بسبب ذلك. لو هو كان يُبادر لتشاجرا أكثر بعد. الإنسان المُتكبر غير راضٍ دائماً، يستحيل إرضاءه. هو يكون سعيداً حين تتحقَّق جميع رغباته فقط، - لكن في الحياة الواقعيَّة هذا أمر مستحيل.

مرض السُّكري، مشاكل الأوعية، النزيف الخفيف في المُخ لدى الوالد – كلُّ هذا نتيجة عدم القدرة على تحمُّل الألم والإهانات من الإنسان المُقرب. دائماً يُرافق الإنسان المُتكبر التعلُّق والغيرة المُفرطتين. من ناحية، تقوم الشجارات بين أهلٍ بإفساد صحَّتهما وتسميم حياتهما، ومن ناحية أخرى، تُساعدُهما على عدم التعلُّق ببعضهما. التعلُّق يقتلُ أسرع من الحقد.

انعدام الأصدقاء لدى والدك وأسلوب حياته يشهدان على أنه لا يُحسِنُ التواصل مع الناس وغير قادر على التضحية. الإنسان المُتَكَبِّرُ يعجزُ عن التضحية والخسارة ولا يُريد التضحية والخسارة.

أَنْ صَحَّتْكَ ضعيفة، - أمرٌ طبيعي. الطفل ذو التكبر المرتفع يضعُ بشكل لاواع "الأنا" البشرية خاصته (ego) في المقام الأول ويصعُبُ عليه تحمُّلِ المواقف الصادمة. يؤثرُ هذا الأمر سلبيًا على طاقته الاستراتيجية الرفيعة الضرورية لولادة أنجابه في الدنيا. يعجزُ الطفل عن تخطي التوتر، فيقوم الجسم بردة فعلٍ على انخفاض الطاقة، فتتشتت الحساسية.

إعجابك بالصبيان في عُمرٍ مبكرٍ هو أحد دلائل التكبر، إذ يُصبحُ الأهم للإنسان المُتَكَبِّرُ البحث عن اللذة وليس التواصل مع الإنسان. هذه هي الشهوة التي تستبدل الحب خلسةً. إن كان الإنسان لا يشعرُ بالنفس فهو يجري خلف الجسد ساعيًا لإرضاء رغباته، فالجسد يحتاج للذة. أنت لم تُعلّمي سماع النفس، لذلك كنت تتبعين حاجات الجسد وفي شبابك كنت تتبعين أسلوب حياة فارغ.

شريكك الأول كان لك دواءً يَكْبُحُ تمتُّعك بالحياة ويدفعُك نحو الله. أنتِ تمكّنت من تقبُّل الوضع، لذلك لديك اليوم زوجٌ وأبناء. الوضع المُسبِّب للألم حولك نحو الله، فبدأت نفسك بالتغيير. أنتِ قرّرت إيقاف نزعة الانهيار والسير في طريق تطهير ونمو النفس. الإيمان، الصلاة، السفر إلى الأديرة كَوْنُوا التوجُّه الصحيح، فساعدتك هذه الدفعة إلى الله بالتغلب على مشاكلك، لذلك وُلِدَ الطفل الأول سليماً.

خلال فترة الحمل الثانية خَفَّ سَعْيُكَ لله كون الحياة أصبحت سيرةً ومُريحَةً. كلما كانت حياة الإنسان أكثر يسراً وكلما تضاءل عدد مشاكله، اشتدَّ تعلُّقه اللاواعي بالحياة وأسرع هو في نسيان الله.

بالمطابقة نشأت لدى الطفل الثاني مشاكل. خفاء الخصية هو أحد أشكال العقم، أما العقم فهو احتِجاج المصير ضد ظهور الأطفال غير المُتناغمين. هؤلاء الأولاد لن يتمكنوا من تقبُّل الموقف المُسبِّب للألم، الإرادة الإلهية، هم سيحتجّون في داخلهم، يكرهون الناس وسيحاولون تدمير الكون. إن أرادت الخليقة قتل الجسم، فلن يُسمَحَ لها القيام بذلك. بهذه الطريقة يحصل تطويق ظهور الأولاد في الدنيا.

مشاكل النظام البولي التناسلي تشهد على عدم القدرة على تحمُّل الألم من الإنسان القريب، تشهد على الغيرة، سرعة الضيم، الميل لإدانة الناس.

الأمراض التي كُنْتَ تُعَانِينِ مِنْهَا فِي الطُفُولَةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْتِعْدَادَ لِلْإِدَانَةِ وَالتَّخْلِي عَنْ الْحُبِّ تُجَاهَ الْإِنْسَانِ الْقَرِيبِ مُرْتَفَعٌ جَدًّا.

كَلَمَّا كَانَتْ عَائِلَتُكَ أَكْثَرَ تَنَاعُمًا مِنْ الْخَارِجِ وَكَلَمَّا كَانَ زَوْجُكَ أَكْثَرَ حَنَانًا وَاعْتِنَاءً بِكَ، زِدَادَتْ عَلَيْكَ صَعُوبَةُ التَّغْلُبِ عَلَى التَّعَلُّقِ بِمَا هُوَ بَشَرِي وَازْدَادَ اشْتِدَادُ تَكَبُّرِكَ سُرْعَةً.

أَنْتِ تَكْتَبِينَ أَنَّكَ فَقَدْتَ الْقُدْرَةَ عَلَى تَقَبُّلِ الْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ، تُحَاوِلِينَ تَخْطِيطَ وَحِسَابَ كُلِّ شَيْءٍ، - هَذَا دَلِيلُ تَصَوُّرٍ صَارِمٍ لِلْعَالَمِ. عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْعِيشِ بِالنَّفْسِ هِيَ نَتِيجَةُ حَيَاتِكَ الْمُرِيحَةِ.

بِطَرِيقَةٍ مَا عَلَيْكَ أَنْ تُكَوِّنِي لِذَاتِكَ بِيئَةً غَيْرَ مَرِيحَةٍ، حِينَهَا سَيُصْبِحُ التَّغْلُبُ عَلَى التَّعْلُقَاتِ أَكْثَرَ سَهُولَةً. صَبُّ الْمَاءِ الْبَارِدِ، الرِّيَاضَةُ، الرِّحَالَاتُ الطَوِيلَةُ سِيرًا، تَقْنِيَاتُ كِبَاحِ الْوَعْيِ الْمُخْتَلِفَةِ، الصَّلَوَاتُ، الصُّومُ الدَّوْرِي - هَذَا كُلُّهُ يُسَاعِدُ فِي التَّغْلُبِ عَلَى التَّعَلُّقِ الدَّاخِلِيِّ. عَلَى زَوْجِكَ أَنْ يَمْنَعَكَ عَنْ الشُّعُورِ بِالرَّاحَةِ، عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا، وَفِي حَالِ الضَّرُورَةِ عَلَيْهِ أَنْ يُعَامِلَكَ بِصِرَاطَةٍ، - أَمَّا أَنْتِ فَعَلَيْكَ تَعَلُّمُ تَقَبُّلِ ذَلِكَ.

مِنْ الضَّرُورِيِّ تَغْيِيرِ الطَّبَعِ الْخَاصِّ: كُلُّ يَوْمٍ تَعَلَّمِ التَّضَحِّيَّةَ، الْعَنَافَةَ، التَّنَازُلَ، اللَّيْنَ، الصَّبْرَ، عَدَمَ النَّدَمِ وَعَدَمَ الْقَلْقِ، التَّنْحِي عَنْ شُعُورِ الْحَقَانِيَّةِ وَالْعَدَالَةِ الْخَاصِّ مَعَ الشُّعُورِ بِأَنَّ الْحُبَّ أَهَمُّ مِنَ الطَّمُوحَاتِ وَالتَّصَوُّرِ الصَّحِيحِ عَنِ الْعَالَمِ. بِقَدْرِ مَا سَتَتَّحِينَ عَنِ الْمَنَارَاتِ الْكَاذِبَةِ، سَتَتَحَسَّنُ حَالَتُكَ الْفِيزِيَاءِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ.

نِعْمَةٌ أَمْ شَرٌّ

العقل أو المشاعر؟

يمكن مُشَاهَدَةُ فيلم الإخوة كوهين "الرجلُ الجدِّي" عددا لا مُتَناهيا من المرات. هذا الفيلم مُخَرَج بِشَكلٍ لَامِعٍ وَمَبْنِي بِالْمُطَابَقَةِ مع قوانين الوجود. كما في الكتاب المُقَدَّس مُشَفَّرٌ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ. في الفيلم لا وجود للتفكير الخطي والجواب الجبهي عن الأسئلة. معروضةٌ فِيهِ مَوَاقِفٌ يُمْكِنُ تَفْسِيرُهَا بِطُرُقٍ مُخْتَلَفَةٍ. كُلُّ إِنْسَانٍ، حَسَبَ مُسْتَوَى نُفُوسِهِ، سَيَجِدُ فِي هَذَا الْفِيلْمِ حَقِيقَةً مَفْهُومَةً بِالنِّسْبَةِ لَهُ، حَقِيقَةً تَتَنَاسَبُ مع إمكانياته الإدراكية. تَلْمِيزُ الصِّفِ الْأَوَّلِ سِيرَى جَدَوَلِ الضَّرْبِ، تَلْمِيزُ الصِّفِ الْعَاشِرِ سِيرَى خَوَارِزِمِيَّةً مُعَقَّدَةً.

القِصَّةُ الْمَعْرُوضَةُ فِي هَذَا الْفِيلْمِ بَسِيطَةٌ وَغَامِضَةٌ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ. بَطْلُ الْفِيلْمِ الْأَسَاسِيُّ - يَهُودِي مُتَدَيِّنٌ، يُنْقِذُ جَمِيعَ الْوَصَايَا الدِّينِيَّةِ بِدَقَّةٍ. هُوَ جَدِّي، دَقِيقٌ فِي الْمَوَاعِيدِ، حَيَاتُهُ مَوْزُونَةٌ، مُنَظَّمَةٌ، هُوَ لَا يَسْمَحُ لِدَايَتِهِ بِشَيْءٍ زَائِدٍ. هُوَ تَعَلَّمَ السَّيْطَرَةَ عَلَى مَشَاعِرِهِ، وَعَيْنُهُ سَاكِنٌ، صَافِي وَطَاهِرٌ. الْأَهَمُّ - الْإِلْتِزَامُ بِالْوَصَايَا، حِينَهَا سَيَمْنَحُ اللَّهُ الصِّحَّةَ، الْيُسْرَ وَالنَّجَاحَ. يَكْتَشِفُ هَذَا الرَّجُلُ الْجَدِيدِ، الْمُؤْمِنُ أَنَّ زَوْجَتَهُ تَخُونُهُ. ثُمَّ تَنْهَارُ جَمِيعُ مَشَارِيعِهِ وَمُبَادِرَاتِهِ. هُوَ يُصَلِّي، يُحَاوِلُ فَهْمَ مَا يَحْصُلُ، - لَكِنْ دُونَ جَدْوَى. هُوَ يَرْتَاغُ إِذْ يُلَاحِظُ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ مُسَاعَدَتَهُ يَمْرَضُونَ، هُمْ كَذَلِكَ يُصَابُونَ بِمَتَاعِبٍ أَوْ يَهْلِكُونَ. كَأَنَّ الْمَصِيرَ نَفْسَهُ يُلَمِّحُ لِلْبَطْلِ الْأَسَاسِيِّ بِأَنَّهُ يَسِيرُ فِي الْإِتِّجَاهِ الْخَاطِئِ.

مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الدِّينَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ إِنْ أُصِيبَ الْإِنْسَانُ بِمَآسِيٍّ، فَذَلِكَ يَعْنِي وُجُودَ سَبَبٍ مَا لِذَلِكَ، إِذَا هُوَ أَخْلَ بِوَصِيَّةٍ مَا. الْبَطْلُ الْأَسَاسِيُّ لَمْ يُخَلِّ بِأَيِّ وَصِيَّةٍ، لَكِنَّ اللَّهَ أَعْرَضَ عَنْهُ لِسَبَبٍ مَجْهُولٍ. هُوَ يُحَاوِلُ يَأْنِسًا إِجْبَادَ مَخْرَجٍ وَلَا يَفْهَمُ مَا الَّذِي أَصَابَ حَيَاتِهِ. هُوَ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْحَاخِمِ، يُحَاوِلُ اسْتِيبَانِ أَسْبَابِ مُشَاكِلِهِ بِمُسَاعَدَتِهِ، لَكِنَّهُ لَا يَحْصُلُ عَلَى إِجَابَةٍ مُقْنِعَةٍ.

حَالَتُهُ الصِّحِيَّةُ سَيِّئَةٌ، وَفِي نَهَايَةِ الْفِيلْمِ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُصَابٌ بِالسرطان. هَذَا التَّشْخِيصُ مُرْتَبِطٌ بِمَفْهُومٍ مِثْلَ التَّكْبَرِ. غَالِبًا يُصَابُ بِالسرطانِ النَّاسُ

العاجزون عن تقبُّل ما يحصل ويندمون على الماضي. هم يحتجّون في داخلهم على ما حصل.

لا يُشرّح في الفيلم الخطأ الذي اقترَفه البطل الأساسي. سمعتُ أنّ الحاخامين فسّروا هذا الفيلم بالطريقة التالية: هو أخلّ بالوصيّة إذ وضع للطالب علامة أعلى، فعوقب على ذلك. لكن اللّغز يكمن في أنّ المشاكل بدأت لديه قبل ذلك.

يُنفذ البطل الأساسي جميع الوصايا بأدقّ تفاصيلها، لكن المآسي والمتاعب تنهال عليه. في حين أنه يُقال في العهد القديم أنّ في حال إلّزم الإنسان بجميع الوصايا، سار في سبُل الله وضبط ذاته عن اقتراف الخطيئة فهو سيكون سليمان ستُنجبُ زوجته وماشيئته ستتناسل وتتكاثر... لكن في الفيلم يُظهرُ أمرٌ آخر تماماً، وكان من المُفترَض طبعاً أن يُلَمَح المخرجون إلى المكان الذي يجب البحث فيه عن اللّغز.

يُمكن إيجاد حلّ اللّغز في عنوان ومُقَدِّمة الفيلم. عنوان الفيلم – "الرجُل الجدّي". ما هي الجديّة؟ لنفترض أنّ شخصاً كُلفَ بمهمّة وطُلب منه التعاطي مع ذلك بجديّة. هذا يعني التعاطي بانتباهٍ وتحكُّم كبيرين. هذا يعني أنّه لا يجوز التكلُّل وإجازة الأخطاء.

لدى الإنسان الجدّي تحكُّم زائد بالموقف دائماً، الإنسان الجدّي لا يُجيزُ إمكانيّة انهيار الموقف. الجديّة الدائمة هو التحوُّل التام إلى المنطق البشري. المنطق البشري مُرتبَط ارتباطاً وثيقاً بالوعي الذي يُحاولُ تسيير العالم المُحيط من خلال التَحكُّم به وإخضاعه للذات. وحين يُصبحُ هذا التَحكُّم مُفرطاً، يبدو حينها أنّ الإنسان لا يخلُ بالقوانين العليا لكن مع ذلك، في جوهر الأمر، يُصارِغُ الإرادة الإلهية باستمرار.

المزحة هي موقفٌ غير مُتَوَقَّع. بمُمارَحة الشخص نحن نضعه في تلك الشروط التي لم يتَوَقَّعها، أي نُدمِرُ تصوُّره المُعتاد عن العالم. أي نكتة هي تدمير للموقف. نحن نضحكُ حين من المُفترَض البُكاء. المغزى من النكتة – الحفاظ على المزاج الجيد حين يكون الإنسان في حالة سيئة.

الميل للفكاهة هو دليل الاستقلاليّة عن العالم المُحيط. الإنسان الذي يتمنّع بروح الفكاهة يملكُ طاقةً داخليةً مُرتفعة وقابليّةً مُرتفعة للحياة، هو قادرٌ على تقبُّل انهيار ما هو مُعتادٌ ومُسْتَوَرٌّ، هو قادر على تقبُّل الموقف المُفاجئ. أما الجديّة فلا تُجيزُ أي انهيارٍ.

الجديّة هي رغبةٌ في جعل العالم ثابتاً وراسخاً. الإنسان ذو الطبع الجديّ عدائيٌّ حتماً. التحكُّم التام بالوضع أمرٌ مُستحيل، وإنَّ العدائيّة كنتيجةً للتحكُّم تظهرُ حتماً. حالة الإنسان الجدي مرتبطةٌ بالعالم المحيط، وكلما اشتدَّ ارتباطه بالقيم البشرية، اشتدَّت رغبته في الحفاظ على جرميّتها. إنسانٌ مُماثلٌ عاجزٌ عن تقبُّلِ الفقدان والخسارة.

الإنسان الجديّ يكفُّ عن أن يكون مؤمناً. بطل الفيلم الأساسيُّ يلتزمُ صدقاً بجميع الوصايا، يتبعُ جميع الإرشادات الدينيّة، لكن في واقع الأمر هو مُلجّدٌ في الداخل. هو لا يتقبَّلُ الإرادة الإلهية بتاتا؛ وأكثرَ من ذلك، - هو يُصارعُ الإرادة الإلهية. هو عاجزٌ الاعتزال عن وعيه، عن الحقائق التي يُدرِكها من خلال عقله، ويبدأ بفقدان الوحدة مع الله. يستحيل إدراكُ الخالق بالعقل.

فيلم "الرجل الجدي" يبدأ من قصّة-أمثولةٍ غير مفهومة بتاتا للوهلة الأولى. إنها العصور الوسطى، بيتٌ صغيرٌ، شتاءٌ، صقيع. امرأةٌ تنتظرُ زوجها بجانب الموقد. يعود الزوجُ إلى المنزل في وقت مُتأخِّر من المساء مُحضِراً معه ضيفاً - رجلاً عجوزاً ساعده على إصلاح عجلة العربّة أثناء العاصفة الثلجية مُنقِذاً بهذه الطريقة حياته.

العجوز يُشبه أحد سُكان الضيعة المُجاورة الذي تُوفّي قبل ثلاث سنوات حسب تأكيدات الزوجة. إذا هذا ليس إنساناً، إنما روحٌ شريرةٌ في هيئة إنسان. بعد قيامها بهذا الاستنتاج تضربُ الزوجة العجوزَ بالسكين في صدره. لكنه لا يموت، إنما مُبتسماً بطريقة غريبة يبدأ بالتراجع ويُغادر المنزل. الإنسان الطبيعي لن يبتسم في مثل هذه الشروط...

فمن هو هذا الشخص إذا، - إنسانٌ أم روحٌ شريرة؟ من الذي على حقّ، - الزوج الذي قام بعمل خير بدعوته للعجوز إلى المنزل، أو الزوجة التي أنقذت العائلة من الشيطان؟ في الأمثولة معروضٌ نزاعٌ وجهتيّ نظر. من ناحية، تفكيرُ المرأة المنطقي والعاقل، ومن ناحية أخرى، سلوك الزوج غير المنطقي المبني على شعور الامتنان والحب.

هنا نندكّرُ الاختلاف الأساسي بين اليهوديّة والمسيحية. في اليهودية معروضٌ بوضوح كيف يجب أن يتصرّف الإنسان. إن أسىء إلى الإنسان، إن هو أهين، ففي هذه الحال يحق له الردُّ بالطريقة نفسها، - "العين بالعين، السنّ بالسن". على المُذنب أن يُعاقب، يجب أن يكون العقاب بمُستوى الجريمة.

المسيحية لا تمنح جواباً ذو مدلول واحد على سؤال: هل يجب مُعاقبة المُذنب أم لا؟ يُقال أن الرحمة أعلى من العدالة. إن أذنب الإنسان لكن مع ذلك هو يتوب ويُريد التغير، فيجب الصفح عنه مرات كثيرة ودعمه. لكن إن كان الإنسان لا يريد التغير، حينها يجوز ويجب التعامل معه بصرامة حسب مخطط "لا تلقوا الذرّ أمام الخنازير".

العلاقة الصحيحة بالعالم دياكتيكية. كون الله واحد فلا وجود لمُتناقضات مقطوعة عن بعضها، لا وجود للخير فقط أو الشرّ فقط. كل شيء من الله، - إذا كل شيء إلهي، كل شيء شرعي بدرجّة مُطلقة، أما مفاهيم الخير والشر فتنشأ على المستوى السطحي فقط.

الشیطان كذلك من الله. حسب اليهوديّة، الشيطان هو يدُ الله. لا يحقُّ لنا تقسيم العالم إلى "أسود" و"أبيض"، كُرة "الأسود" وتقديس "الأبيض" والتفكير بأن الله يمنحنا الخير فقط، أما مصدرُ الشر فهو الشيطان. هذه طريقة تفكير وثنيّة لا تمنح فرصة لتقبُّل المواقف المُسيبة للتوتر بشكل صحيح. إن كان لا يحقُّ حبّ الشر، حينها حتماً تنشأ عدائيّة تجاه الشر ورغبة في تدميره. يبدأ الإنسان بتقديس الخير ويتعلّق به.

مؤخراً رُويَت لي قصّة مُثيرة للاهتمام. كانت امرأة في حالة ضيق قوي، غالباً كان المال لا يكفيها لإطعام أبنائها. كتبت رسالة لمُحطّة إذاعيّة روت فيها عن فقرها المُدقع. كتبت أنها تتوجّه لله طالبةً منه المُساعدة والحماية. قرّر موظّفو الراديو مُساعدتها. لكن واحداً منهم، مُلحد، قرّر الاستهزاء بإيمانها. وكُلّ إحدى الموظّفات الشابات بشراء كمّ كبير من المواد الضرورية وإبصالها للمرأة وسؤالها إن كانت تُريد أن تُعرف من أرسل لها المواد. ثمّ إضافة: "أرسل هذه المواد الشيطان". كان مُهتماً بمعرفة ردّة فعل المرأة. اشتترت الموظّفة المواد وأوصلت للمرأة حقائب مليئة. فرحت المرأة كثيراً شكرت وقالت أنها ستُصلي من أجلها. سألت الموظّفة:

- هل تريدان أن تعلّمي من أرسل هذه المواد؟
- لا أريد، - ابتسمت المرأة، - أنا لا أبالي بذلك بتاتا. حين يُريد الله المُساعدة، حينها حتى الشيطان يخدم.

بطلا الأمثلة المعروضة بصِفَة مُقدّمة للفيلم "الرجل الجدّي" مُحقان على طريقتيهما، لكن على المتسوى الخارجي انتصرت المرأة. هي تتحكّم بكل

شيء في المنزل، هي أخذت على عاتقها دور القاضي الأساسي حين أخذت السكين وحاولت قتل الضيف. انتصر المنطق البشري. تنازل المنطق الإلهي. هذه الأمثلة هي البذرة التي تنمو منها جميع الأحداث التالية. العدالة وُضعت أعلى من الرحمة. في هذه البذرة يستتر مصير بطل الفيلم. لديه كذلك انتصر المنطق البشري - منطق التطرفات، منطق التعلق، منطق التحكم المفرط بالموقف وانتصار الوعي على المشاعر. في هذه الأمثلة يستتر قضاء البطل الأساسي المحتوم، - هو قام بخياره الداخلي، وهذا الخيار يُوصله إلى الهاوية.

المنطق البشري عايدٌ وضروري للتكيف مع موقفٍ مُعيّن، للبقاء على قيد الحياة اليوم. نحن لدينا تفكير ضروري للبقاء على قيد الحياة الآن، ويوجد تفكير يُدكرنا بأن علينا البقاء على قيد الحياة غدا وبعد غد. المنطق الإلهي هو منطق مقاييس زمنية هائلة. على الإنسان أن يقتصد من تناول الطعام في الخريف إن كانت مؤونة الشتاء قليلة، وحينها هو سيتمكن من البقاء على قيد الحياة شتاءً.

اقتران المنطق الإلهي بالمنطق البشري مع أولوية المنطق الإلهي يسمح للإنسان عدم نسيان مصالحه الشخصية والبقاء على قيد الحياة غدا وبعد غد وليس اليوم فقط.

العيش مع الاسترشاد بالمنطق البشري فقط، المنطق الذي تُظهره الزوجة في الأمثلة، يضمن لنا العدائية. عاجلاً أم آجلاً سنبدأ بكره العالم كله، سنبدأ بمصارعة ونسئل في هذا الصراع غير المتكافئ.

إن قمنا في الحياة بالاسترشاد بالمنطق الإلهي فقط، حينها سنقوم بتنفيذ القواعد العليا، لكننا سننسى أشغال اليوم وكذلك قد نهلك. سننوقف عن حل المشاكل الآنية ونصبح غير قابلين للحياة. سنفقد للاهتمام بجسدينا، بحياتنا. في الهند يتوقف عدد كبير من المنقشين عن الاهتمام بجسدهم، صحتهم، فينخلون ويموتون.

قال عيسى المسيح: "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله". في الحياة يجب اتباع منطقتين، لكن يجب أن يكون أولوية المنطق الإلهي الذي يسمح لنا بتخطي المواقف المُسببة للتوتر بشكل صحيح. في الواقع، المنطق البشري والمنطق الإلهي من وجهة النظر العليا هما منطق إلهي. يوجد الخالق غير المتجلي، يوجد الخالق المتجلي الذي نحن عبارة عن جزء منه، ويوجد الخالق الأعلى، المتسامي الذي يجمع كل شيء.

إن بدأ البطل الأساسي في الفيلم "الرجل الجدّي" التصرّف بشكل صحيح، وافقَ على الحل الوسط، - فلمَ هو يحصلُ بعد ذلك على نبأ حزين عن صِحَّتِهِ؟ من المُحتمَل أنه قد تخطى "نقطة اللاعودة". وعلى الرُغم من أنه قد تلمّس الطريق الصحيح، هو لن ينجح في تغيير مصيره كون الحداثة قد شغلت. هذا أشبه بأن يتوب الشخص لفعله بعد أن يكون قد أدارَ بِجِدَّةٍ مِقوَدَ السيارة التي يقوُدُها بسرعة كبيرة. هو يفهمُ أنّه قد اقترَفَ خطأ، لكن الأوان يكونُ قد فات لتجنُّب الحادث...

يوجدُ احتمال آخر. الشخص وجدَ الحَلَّ الوسط، زاد الحبُّ والتناغم في نفسه. إلا أن فعلا واحدا لا يستطيعُ تغييره، - رُسَخَ انتِصارُ الوعي على المشاعر طويلا في وعيه الباطن، جذبةُ العلاقة بالعالم توغّلت عميقا جدا. يوجدُ شرحٌ ثالث. قام الإنسان بتصرّفٍ صحيح، لكنّه لن يؤدي إلى تغيير الطبع. هو سيعتبرُ ذلك خطأ، يتوب، سيحاولُ التكفير عن ذنبه ولن يتمكّن من إدراك المعنى الحقيقي لفعله.

الفيلم "الرجل الجدّي" يعرضُ بشكل ممتاز كيف يُمكن السعي لله والبر، لكن مع ذلك نسيانُ أمر المنطق الإلهي. بالارتكاز على المنطق البشري وحده يمكن تدمير المصير الخاص، خسارة الصّحة ثم الحياة كذلك.

مشاكل الإنسان الروحاني

توجدُ لدى كلّ إنسان صورةٌ عن العالم يُكوِّنها ويُنيّمها باستمرار. على صورَتنا عن العالم أن تعكسَ بشكل واسع كلّ ما يحصل معنا ومن حولنا. كثيرون يعجزون عن تقبُّل الرأي الغريب والموقف المُفاجئ. هم يسعون بشكل لاواع لتدمير مصدرِ التوتر، أو الابتعاد عنه، أو تدمير ذاتهم. لقد صادفتُ أناسا ذو تصوّرٍ صارمٍ جدا عن العالم. إن تخطّت درجة الصرامة حدا مُعيّنا، حينها يسهلُ على الإنسان أكثر الدفاع عن ثباتِ صورَتِه عن العالم بدل تميّتها.

على الصورة عن العالم أن تكون مرنةً. مع الحفاظ على بُنيّتها عليها أن تتغيّر وتتطوّر، أي تنهار وتكون ثابتة في الوقت عينه. كلما كنا كمُ الحُبّ لدى الإنسان أقل، ازدادت صورَتُه عن العالم صرامةً.

بأي طريقة يحصلُ تصلُّبُ صورَتنا عن العالم؟ حين نشعرُ بأن الله هو الخالق الذي يصدرُ منه كلّ شيء، حينها نفهمُ أنّه أولي. جميعنا خرجنا من

الخالق وثانويون بالنسبة له. لذلك على نموذجنا عن العالم، صورتنا للعالم، تصوراتنا عن العالم أن يتكيفوا باستمرار مع الإرادة الإلهية التي يستحيل علينا إدراكها مطلقاً. علينا أن نكون مستعدين لتغير صورة العالم وتطورها. ما إن ينشأ لدى الإنسان شعور بأنه أولي، أما الله ففي مكان ما بعيداً، تبدأ عملية تصليب صورة العالم فوراً. كل كائن حي يريد أن يعيش، ولذلك من الضروري أن يحافظ على "الأنا" خاصيته. ما إن ينشأ لدى الإنسان شعور أولية "الأنا" خاصيته، شخصيته حتى تصبح صورته عن العالم أولية وينشأ سعي للحفاظ عليها ثابتة.

لكن أبدي الله وحده. على كل ما ولد أن يموت. على جميع القيم البشرية أن تنهار. نحن نشعر في وعينا الباطن أنه يستحيل أن تكون صورتنا عن العالم كاملة، أنه يستحيل أن تعكس الكون في كل تنوعه. ستكون صورتنا عن العالم ناقصة دائماً ومحكوم عليها بالانهيار. حين نحاول الحفاظ عليها راسخة وجعلها أبدية نحن ندخل حتماً في صراع مع الكون.

الإنسان الذي فقد شعور أولوية الإلهي يجل بالوصية الأولى. عاجلاً أم آجلاً هو يصل إلى الإخلال بالوصية الثانية: "لا تجعل لنفسك معبوداً...". ف يبدأ الإنسان بتقديس ما هو خارجي في هذا العالم، ما لا يمكن أن يكون أبدياً، فينشأ لديه خوف الفقدان، العدائية والاحباط.

العلي هو مصدر كل شيء، من دون الطاقة الإلهية لا يمكن لأي كائن حي أن يبقى على قيد الحياة. كل كائن حي يتخلى في داخله عن الله يبدأ بفقدان قواه الحيوية ويموت.

حسب أسطورة الكتاب المقدس، الشيطان - كائن توهم ذاته أعلى من الله، شعر بأولويته وبدأ بمنازعة الإرادة الإلهية. الله واحد، كل شيء من الله، - إذا الشيطان كذلك من الله. الشيطان هو نزعة عدم الكمال الموضوعة في كل ما هو حي. توجد نزعة الشيطنة، لكن لا وجود للشيطان ككائن واقعي. صورة العالم الصارمة مشروطة بشكل خاص بتصورنا الخاطئ عن شخصيات الكتاب المقدس الأسطورية التي تعكس نزعات معينة في نمونا وتفكيرنا.

أبدي الله وحده، والله حب. علينا التفاعل مع كل ما يحصل بالحُب فقط. يجب السعي لإدراك أي توتر بفرح داخلي. لهذا يجب تذكر أن لا وجود للشيطان. أبدي الله وحده، وهو وحده حاضر كل ثانية أينما كان وفي كل شيء.

كُلُّ شيء من الله - إذا كَلَّ شيء شرعي، إنسانيٍّ لأقصى درَجَةٍ ويؤدي إلى الحب. حتى أكثر الخسائر والمآسي قسوةً تملك مغزى تربويا وخلاقا. المرض، المآسي، الموت - كَلَّ ذلك مُساعدةً من الأعلى. هذا الانهيار الذي يأتي حين ينقُصُ الحبُّ في النفس.

النزاع مع العالم المحيط يدفع الإنسان إلى النمو، - هذا يحصل حين يزدادُ الحب في النفس. إن كان الحب ناقصا يتحوَّل النزاع إلى تدمير للمنافس أو تدمير للذات. نحن نحاولُ تدمير العالم، ثم نهلكُ بأنفسنا. وكلما كان النزاع مع العالم أكثر حِدَّةً، ازداد هلاكنا سرَّعةً.

النزاع - هو صِراع المُتناقضين. يُصبحُ النزاع مُدمِّرا حين تكون الوحدة، الحبُّ والإيمان بالله معدومين. حين يكون ذلك مُتوقِّرا، حينها يؤدي أي نزاع إلى التعاون، المُساعدة، الصداقة، النمو، لا إلى تدمير المُنافس. بقدر ما نحن نرى إمكانيةً للنمو الذاتي، نحن نكفُّ عن أن كون عدائيين.

إن كنا نُجيدُ النزاع بشكل صحيح، حينها يُصبحُ النزاع نموًّا، أما التوتُّر ففعمةٌ. الشعور الداخلي بالحضور الإلهي في كلِّ شيء يمنحنا شعورَ الوحدة مع العالم كُلِّهِ ومع مُنافسينا. التعاطي الصحيح مع التدمير، مع تغيُّر الموقف، إدراكُ أنَّ أي نزاع هو نموٌّ وليس مأساةً، يسمَحُ للإنسان التعاطي بشكل صحيح مع العالم وتحويل الانحلال إلى نمو.

لدى الإنسان الروحاني يقع في المقام الأول شعور الحق الخاص به، شعور التفوق، كره الشر وليس الحبُّ. لكن كون الله واحدٌ وكلُّ شيء من الله، فإنَّ أي إدانة، حقد، زعلٍ طويلي الأمد هم عدايَّةٌ مُوجَّهةٌ ضد الله تتحوَّلُ إلى برنامج تدمير ذاتي.

يجب فهم أنَّ الخير والشر هما وجهان لعملة واحدة، أنَّ كلَّ ما يحصل إلهي. كلُّ شيء ينمو ويتطوَّر بالمُطابَقة مع قانون التثليث، قانون وحدةٍ وصِراع المُتناقضين. من يفهم ذلك لن يُقدِّس التطرُّفات.

على المُتناقضات أن تتفاعل، تتصارع، تُدافع عن فرديّتها، وفي الوقت نفسه عليها أن تفهم أنها مُوحَّدةٌ وأنها وحدةٌ تامة على المستوى الإلهي. حينها سيُساعدنا كلُّ موقفٍ في الحياة على النمو وعلى أن نكون سعداء.

إيقاعات الجسد والروح

تقديس القيم المادية يبدو كأنانيّة، رغبة في إهانة قمع الآخر، كاستهلاكية تامة، كـ رغبة في استغلال الإنسان الآخر لمصالح شخصية طماعه.

كيف يبدو تقديس الروحانية؟ إن على المستوى المادي نحن جميعا منفصلون ومُعَرَّضون للأنانية، فأَنْ تقديس الروحانية يبدو للوهلة الأولى جميلا للغاية، يوجَدُ في الروحانية الكثير من الغيريّة. على المستوى الروحي نحن مُوحَّدون جميعا، فينشأ شعور جمالٍ، وحادّة وسعادة شاملة. هذه المشاعر تُشبه الحب، وهناك إغراء خلطها مع الحب.

حين لا يُقَدِّس الإنسان الله، إنما يُقَدِّس الروحانية المُرتَبطة بالمستقبل، حينها هو يُريد أن يكون الجميع مُوحَّدِين على المستوى السطحي، يريد أن يكون الجميع مُوحَّدِين معه، يُشبهونه، يعيشوا مثله، يتنفَّسوا مثله، يتنازَلوا له، يُحبوه، - على الكون كلّهُ أن يكون مُوحَّدًا معه. يريد الإنسان على مستوى الوعي الباطن أن يُخضع الكون كلّهُ لادّاته وبناءه على صورته ومثاله. في هذه الحال لا مفرّ من النزاع. كون القيم الروحية أكثر شموليّة، فإنّ تقديسها أكثر خطورة بكثير من تقديس القيم المادية.

أتذكّر كلمات سيرغي يسينين (Serguey Yesenin): "الخشن يُمنَحُ الفرح، الرقيق يُمنَحُ الحزن". فيما مضى كانت هذه الجملة قريبة مني لأنني كنتُ أشعرُ غالبا بالحزن في نفسي، وكنتُ أجهلُ كيفية التغلب على هذا الشعور. مع الوقت أدركتُ أنّ "الخشن" هو الإنسان الذي يحيا بما هو مادي. هو أناني، بخيل، حسود. هو يُقَدِّس اللذة، "الأنا" البشرية خاصّته (ego)، هو يسعى للحصول على أكبر قدر ممكن من المُتعة والفرح للحياة.

أما "الرقيق" فهو من يُقَدِّس الروحانية، المستقبل ويُريد أن يكون العالم رائعا، أما العلاقات بين الناس - فمثاليّة. هو حزينٌ لأنه يُدركُ على مستوى الوعي الباطن أنّ العالم لن يتناسب أبدا مع مثله، مع صورته الاصطناعيّة، المرسومة عن العالم. عقله وإدراكه يتطوّر، لكنه جديّ، حزين، ومشاعره تبدأ بالانحطاط.

الروحانيون يُبدون داخلا عدائيّة أقوى بكثير تُجاه العالم من الأشخاص الأنانيين والماديين المُتأرّضين. كقاعدة عامة، الناس الذين يُقَدِّسون القيم الروحية العالية وفقدوا الوحدة مع الله لا يعيشون طويلا كونهم يفقدون قواهم الداخليّة والخارجية. يبقى عليهم إما الامتناع عن الروحانية، أو البدء بتقديس ما هو مادي، أو الموت.

لذلك في المُجْتَمَع المُلجِد بدايةً يؤمن الشباب بالمثل، يَحْيُونَ بالمستقبل، ثم يرفضون هذه المثل ويبدؤون التفكير بالمال، اليسر وحدهما، مؤكدين أنَّ الغيرية، الوحدة، الحب - قصصٌ.

الإنسان الذي يحيا بالجسد لا يفكر بغير ذاته، يُنافس الآخرين ويضع ذاته دائما في المقام الأول. الإنسان الذي يُقَسُّ الروحانية، - غيري، مستعدٌ لتدمير ذاته من أجل الآخرين. هو يشعر بأنَّ الجميع موحَّدون، لكن مع ذلك يعتبر أنَّ على الجميع أن يكون موحَّدين معه، يُشبهونه. هو يُحاول إدراج العالم كله ضمنَ إطار تصوُّراته.

الإنسان المُتعلِّق بالروحانية جدي للغاية. هو يكتئب، يُدين، يندم على الماضي. هو يُدرك العالم بوعيه فقط، فتبدأ صورته عن العالم بمنافسة الواقع الإلهي. كلما كان تقديمه لصورته عن العالم إلى المقام الأول أكثر نشاطا، أصبح هو في الداخل أكثر عدائية تجاه الواقع الذي يحيط به، الواقع الذي لا يتناسب مع مثله وتصوراته عن تركيبة العالم.

كلما كان عدد النعم التي تمتلئها أكثر، ازدادت خطورة الارتباط بها. القيم الروحية هي سعادة هائلة، لكن امتلاكها قد يُصبح أكثر خطورة من امتلاك القيم المادية.

الإنسان المؤمن بالله الواحد يرى الحبَّ في كلِّ شيء. الحبُّ ينتصر، يُربي ويُغيِّر العالم كله. الإنسان الذي لم يبلغ التوحيد الحقيقي يُقسِّم العالم إلى خير وشر. حينها يتصدَّر الوعي، السلوك الصحيح، التحكم بالموقف المقام الأول. إنسانٌ مُماثلٌ يبدأ العيش بعقله، لا بنفسه.

الإنسان كائنٌ مُتطوِّر، وعيه مرتبطٌ بالجسد الفيزيائي وهو يخدمُ الجسد الفيزيائي. لكن الوعي ثانوي، أما النفس فأوليَّة. في الواقع نحن نُفكرُ بالمشاعر، أما الفكرة فنحتاجها لنقل المعلومات للناس الآخرين. التفكير هو عمليةٌ صوريَّة، جسدية، في المراحل الأخيرة فقط هو يتحوَّل إلى عملية فكرية.

الشعور أولي، أما الأهم فهو الحب. حين يكون الحب بالنسبة للإنسان أهم من المنطق، أما الرحمة فأهم من العدالة، حينها هو يتَّجهُ لله. وحتى حين يتصرَّف هذا الإنسان بشكل غير منطقي هو يُنقِذ نفسه بالرحمة والحب. لكن إن كانت العدالة هي الأهم بالنسبة للإنسان، إن من أجل العدالة هو يمتنع عن الحب، فحتى بالالتزامه التام بجميع الوصايا، هو يتَّجه في الواقع إلى الشيطان وليس الله.

بهدف الشعور بما هو إلهي يجب التغلب على الارتباط بالنفس وليس بالجسد والروح فقط. الروح أقوى من الجسد، والنفس أقوى من الروح. حين يُعاني الجسد، تتعزّر الروح. عندما تُعاني الروح، حين يحصل انهيار المستقبل، - تُصبح النفس أقوى. حين تتعذب وتُعاني النفس، حينها يشتد حبّ الله. كل شيء يُحدّد في حياتنا بأن كنا نحافظ على الحب تجاه الواقع الإلهي المحيط.

قال المسيح: "طوبى للفقراء بالروح". الروحانيّة، الاستنارة، العدالة، العقل، الذكاء، المواهب - هذا كله رائع إلى حين يصطدم بمصالح النفس والحب. حين نقوم بإعطاء القيمة المطلقة لإدراكنا، حين تتكوّن صورتنا عن العالم من الأفكار وليس من المشاعر، حينها نتوه حتما في طريق الحياة ونُصابُ بمشاكل.

حين تكون النفس والحب الأهم بالنسبة للإنسان، ثم تليهما العدالة ومنطق، حينها يكون الواقع الإلهي في المقام الأول بالنسبة له، وفي المقام الثاني - تصوّراته الخاصة عن العالم. هذا الإنسان يكون مرّنا، قادرا على التغيّر، هو يبتسم، يفرح ويُفتّح على العالم.

بهدف الفرح يجب الشعور بأنّ الإنسان نفس. إنسان النفس مُتناغم. هو يُحبّ ذاته ويُحبّ الآخرين. نفسه تُملي عليه كيفية التصرف. إنسان النفس يفرح دائما، حالته لا ترتبط بنواحي الوجود المادية والروحية.

الشعب اليهودي عاش تجارب قاسية جدا كانت في واقع الأمر خلاصا له، - من خلال المُعانة كان يشتدّ السعي لله على مستوى الوعي الباطن. تمكّن اليهود من تلمس الترياق ضد الجديّة، ضد تقديس الروحانية. على المستوى الظاهري هي موازنة النواحي الروحية بالمادية: على الإنسان الاهتمام بالناحية المادية للحياة من خلال إعارتها اهتماما كافيا، وليس الاهتمام بالحالة الروحية فقط.

كذلك يشتهر اليهود بروح الفكاهة: يعلم الجميع النكت اليهودية. الفكاهة هي قدرة الحفاظ على الفرح حين تنهار الصحّة، المصير والحياة. الشعب اليهودي قادر على أن يفرح بالرغم من الظروف. هذا هو التوحيد. تفاؤل الشعب اليهودي هو أحد دلائل الإدراك الحدسي لإرادة الإلهية والسعي لله. قال رُسُل المسيح: "فرحوا دائما". التفاؤل، الاتكال على الله، قدرة الشعور بالإرادة الإلهية في كل شيء، قدرة الامتناع عن المنطق البشري، قدرة تقبّل

انهيار المستقبل والحفاظ على السعادة، قدرة إخماد نشاط الرأس والعيش
بالنفس – هم دلائل المُوَجِّد.

الخاتمة

حتى الآن لا يتفكّر كثيرون في ماهية التكبر، في أسبابه والدلائل التي تُشير إلى أنه قد ساد في النفس ووضع بدايةً لانهيار الصحة والمصير، الخسائر والمآسي الكثيرة. ينشأ التكبر حين تزول الحاجة للحب والإيمان بالله. الإنسان الذي فقد حاجة التوحد مع السبب الأول يُشبه الشجرة التي تمتنع عن جذورها. أغصانها وأوراقها قد تبقى كثيفةً لبعض الوقت، لكن الشجرة تكون قد هلكَت.

أوجه التكبر لامتناهية، وبقدر ما تكون حياتنا مُتنوّعةً، بقدر ما يمكن أن تبدو مفاجئةً ظاهرة التكبر. لقد اعتدنا على التعريف البسيط: التكبر هو النفوق، الكبرياء، احتقار الناس.

لكن إهانة الذات الزائدة هي تكبر كذلك. الإنسان الذي يُسيء التفكير عن ذاته أو المُستاء من العالم المحيط لا يشتبه حتى بأنه يُعزّز تكبره ويخلق لذاته عددا كبيرا من المتاعب. أما من يُساعد الناس عن غير طمع فيبدأ بإفسادهم بتولعه بهذه المساعدة ولا يشتبه بأنه بسلوكه الخاطئ يُعزّز التكبر في ذاته وفي الآخرين.

سبب التكبر هو التعلّق بالعالم. كلما اشتدّ تعلّقنا بالنواحي الوجودية المُختلقة، أسرنا في نسيان أن مصدر حياتنا هو السبب الأول الذي نرتبط به من خلال الحب في نفسنا. البخل، الحسد، عدم ضبط الشهوة، عقدة العظمة وعقدة النقص، تقدّيس اليأس أو أفكار ما — هذه كلّها دلائل أن نفسنا ناسية الحب تتوق إلى اللذة وأنه تبدأ بشكل غير ملحوظ عملية فقدان مغزى حياتنا الأساسي.

يهدف الشفاء من المرض يجب وضع التشخيص بشكل صحيح. بهدف التغلب على التكبر يجب فهم طريقة ظهوره وتكوّنه.

الله واحد، هو مصدر كلّ شيء، الإيجابي والسلبي حاضرا في عالمنا شرعا. على المستوى الإلهي كلّ شيء مؤحد، لكن من الخارج العالم مُتنوّع. حين يكون الإنسان قادرا على التفكير بطريقة دياكتيكية وفي نفسه يحيا الحب الذي يسمح له بأن يكون غير مُرتبط بالسعادة والمأساة، - حينها يبدأ

الإنسان بالتغلب على تكبره مُدركاً أنَّ الحياة، الغرائز، الرغبات ولكُّ ما نحن نملكه، - مُجرَّد وسيلة للنمو وإدراك الخالق.

بقدر ما نحن نُدركُ خطرَ التكبر ونشعرُ به، بقدر ما نُغيِّرُ كلَّ يوم طبعنا نحو الأفضل، نتعلَّم الحب، الصَّفح، تربيَّة الذات والآخرين، - نحن نُصبِحُ سُعداء حقاً دون حجبِ النفسِ بأشكالٍ مُختلفة من السعادة الظاهرة.

قال سيرافيم ساروفسكي (Serafim Sarovski): "اكتسب الروح المُطمئنَّة، وستنجم مئات النفوس بجوارك". بإنقاذنا لأنفسنا وتحسيننا لطبعنا نحن قادرون على مُساعدة البشرية كلّها وليس ذاتنا، أبنائنا وأحفادنا فحسب.

الفهرس

٣	كلمة مُترجم الكتاب
٦	المقدمة
٨	المشكلة رقم واحد
١٢	مستويات التكبر
١٤	بداية الخطيئة
١٦	الكتب المقدسة عن التكبر
٢٣	مصفوفة المستقبل
٢٩	قصتان
٣٥	مصير الإنسان الموهوب
٤٥	أسئلة عن الخطيئة الأساسية
٤٥	المُخْرَجُ من مِصِيدَةِ الْفَارِ
٦٢	منطقَةُ اللَّهِ
٧٤	مسائل عائليّة
٨٧	قوانين النفس
٩١	مذهب الجسد
٩٣	التوتر – حياة أم موت؟
٩٦	المصير والصحة
١٠٩	نِعْمَةٌ أم شَرٌّ
١٠٩	العقل أو المشاعر
١١٤	مشاكل الإنسان الروحاني
١١٦	إيقاعات الجسد والروح
١٢١	الخاتمة

أوّل إصدار لترجمة كتاب سيرغي ن. لازاريف "أوجه التكبر" من الروسية إلى العربية
بشخصته الإلكترونية – حزيران ٢٠١٩

ترجمة: م. سبيل

أوّل إصدار لكتاب "أوجه التكبر" باللغة الروسية: روسيا – سانت بطرسبورغ، ٢٠١٨

